

العدد الثاني والأربعون ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م

الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية

أدب المسلمين في غرب أفريقيا

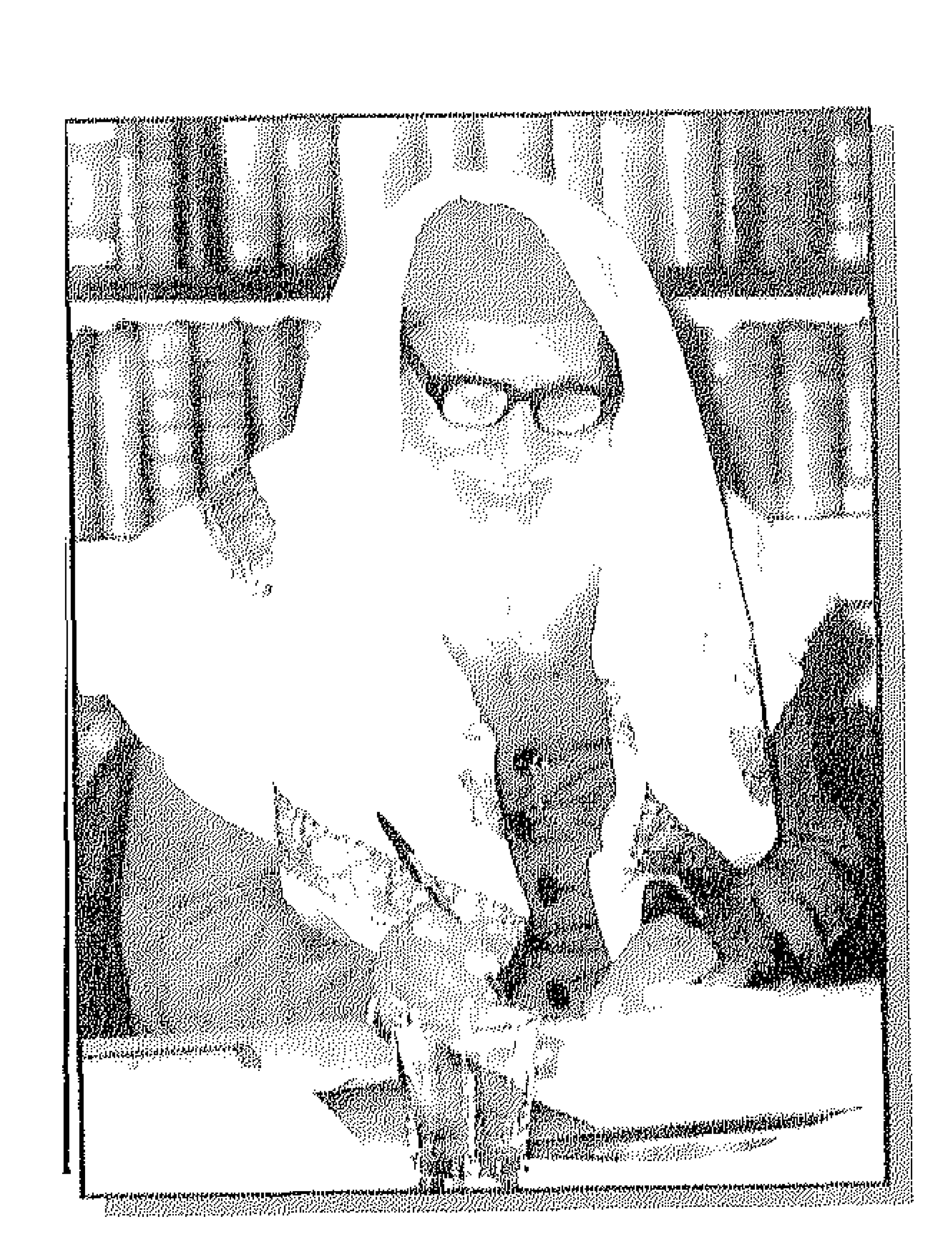
محمد حسن بريغش

من رواد الأدب الإسلامي

اسمعوها مني صريحة أيها العرب بالإسلام أعزكم الله *

إلى الأمة العربية

لو جمع العرب في صعيد واحد واستطعت أن أوجه إليهم خطابا تسمعه آذانهم، وتعيه قلوبهم لقلت لهم: أيها السادة! إن الاسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ هو منبع حياتكم، ومن أفقه طلع صبحكم الصادق، وإن النبي ﷺ هو مصدر شرفكم وسبب ذكركم، وكل خير جاءكم - بل وكل خير جاء العالم - فإنما هو عن طريقه وعلى يديه، أبى الله أن تتشرفوا إلا بانتسابكم إليه، وتمسككم بأذياله والاضطلاع برسالته، والاستماتة في سبيل دينه، ولا راد لقضاء الله، ولا تبديل لكلمات الله.



إن العالم العربي بحر بلا ماء كبحر العروض حتى يتخذ سيدنا محمدا ﷺ إماما وقائدا لحياته وجهاده، وينهض برسالة الإسلام كما نهض في العهد الأول، ويخلص العالم المظلوم من براثن مجانين الغرب - الذين يأبون إلا أن يقبروا المدنية، ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم - ويقود العالم من الانهيار إلى الازدهار، ومن الخراب والدمار والفوضى والاضطراب إلى التقدم والانتظام والأمن والسلام، ومن الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان، وإنه لواجب على العالم العربي سوف يسأل عنه عند ربه، فلينظر بماذا يجيب؟!.

الشيخ أبو الحسن الندوي

---

* كان سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي حريصا على نشر هذه الوصية منذ صياغته لها في عام ١٣٧٠ هـ إلى أن توفاه الله. وقد رأينا أن تكون افتتاحية هذا العدد آملين أن تنقل إلى الصحف والمجلات الأخرى، بل إلى شتى وسائل الإعلام في هذه الظروف التي تمر بالأمة العربية.

الحادي عشر




الأدب الإسلامي

مجلة فصلية

تصدر عن :

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

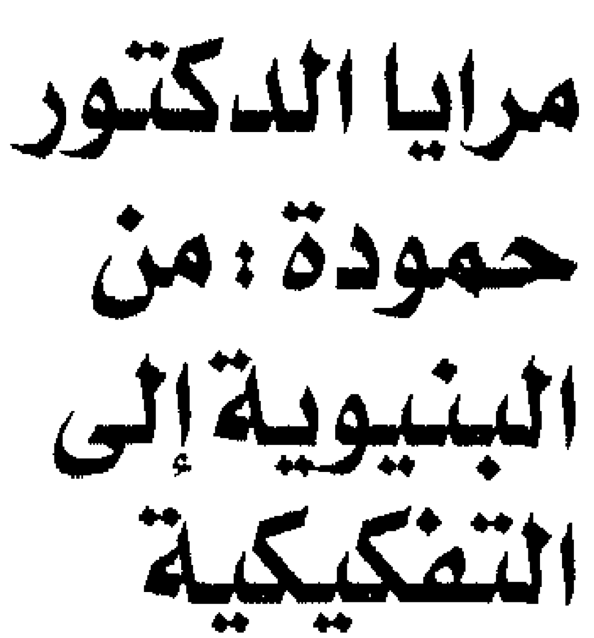
المجلد الحادي عشر

العدد الثاني والأربعون

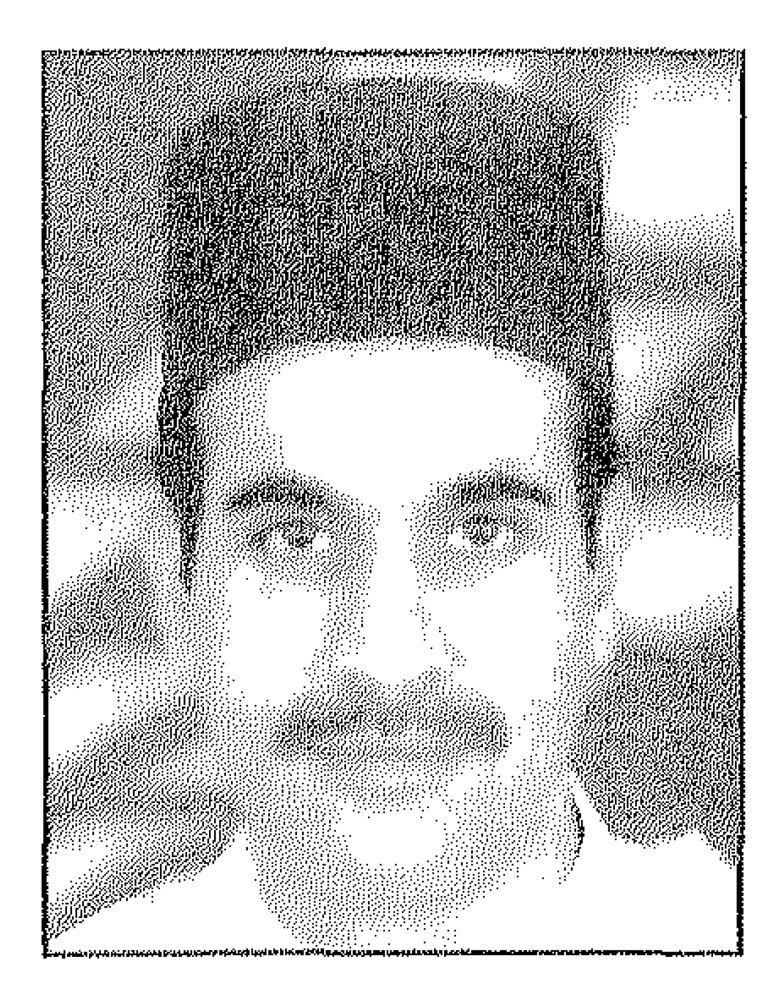
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه

مرايا الدكتور حمودة : من البنيوية إلى التفكيكية



قراءة في المجموعة القصصية : إيقاعات في قلب الزمن

المراسلات والإعلانات : السعودية - الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦

هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨ / فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

Web page address :www.adabislami.org

E-mail:info@.adabislami.org



في هذا العدد

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره.
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن خمس عشرة صفحة.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

الاشتراكات

- **للأفراد في البلاد العربية : ما يعادل ١٥ دولاراً - خارج البلاد العربية: ٢٥ دولاراً.**
- **للمؤسسات والدوائر الحكومية : ٣٠ دولاراً.**

أسعار بيع المجلة

دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو مايعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو مايعادلها، اليمن ١٥٠ ريالاً، السودان ٢٥٠ دينار، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية

« غزوة بدر الكبرى نموذجا »

بقلم : نجيب الجباري
المغرب

هل أضر الإسلام بالشعر أم أفاده ؟ وإلى أي مدى كان الشعر في خدمة الدعوة الإسلامية؟

تساؤلات شغلت كثيرا من النقاد، سواء منهم المدافعون عن الإسلام أم المهاجمون، فهؤلاء يقولون إنه لما جاء الإسلام حط من مستوى الشعر وحارب الشعراء وأنزل بهم ضربة معنوية قاضية ويستدلون بالآية الكريمة التي تقول : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ (١) **وأولئك يؤكدون أن الإسلام لم يهاجم الشعر ولم يحارب الفن ويستشهدون بسيرة الرسول ﷺ الذي كان يتذوق الشعر، وكان يستنشد الخنساء ويقول لها : هيه يا خناس، وكان يقول لحسان: اهجهم وروح القدس معك .**

والحقيقة أن الإسلام لم يضر الشعر، وتأييده له لم يقتصر على استحسان الرسول ﷺ لكعب بن زهير، أو قوله هيه يا خناس .. بل كان تأثيره أعمق وأبعد من ذلك حيث هز الإسلام بقرآنه نفوس العرب وبهرهم بإعجازه، وملأ نفوسهم إعجابا بنبيهم ومهابة بفصاحته وبلاغته، وافتخر النبي ﷺ بذلك حين قال : «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش» كما أنه أعطى للعرب مجالا لتجديد شعرهم، وهو مجال الدعوة إلى مبادئ الإسلام النيرة الخالدة .. وقد كان الرسول ﷺ يستحسن شعر حسان ابن ثابت ويحثه هو وغيره من شعراء الأنصار على هجاء قريش والرد على شعرائها، بل إن حسانا كان يكلف بالرد على شاعر كل وفد يأتي إلى النبي ﷺ ولا سيما في عام الوفود، وهذا كله وما إليه يدفع أن يكون الرسول قد وقف من الشعر والشعراء موقفا سلبيا كما ذهب المهاجمون . وأما الآية الكريمة التي يستدلون بها فواضح منها أن القرآن إنما يهاجم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول . فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر، وإنما هاجم شعرا بعينه كان يؤذي الله ورسوله، وكذلك استثنت الآية الشعراء المسلمين حيث قالت فيما بعد : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (الشعراء) ، وكذلك الحديث النبوي الذي يقول : «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلئ شعرا» (٢) . يراد به الشعر الفاحش أو الشعر المناهض للدعوة الإسلامية .

وكذلك الخلفاء الراشدون كانوا كثيرا ما يتناشدون الأشعار ويقصون بعض الأخبار عن جاهليتهم، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه نسابة راوية للشعر، وكان يتمثل به أحيانا في خطابته كخطبته المشهورة في يوم السقيفة، وكذلك كان الفاروق رضي الله عنه، الذي قال عنه ابن سلام الجمحي : «كان لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر» (٣) .

وقد ساعد ظهور الدعوة الإسلامية بأحداثها وقيمها الجديدة على ازدهار بعض الأغراض الشعرية مثل الدعوة إلى الإسلام والجهاد، وشعر الفتوح والمغازي والغزوات، ومدح الرسول ﷺ ورثاء الشهداء، ومناقضة خصوم الدعوة، وعمل بالمقابل على تقلص وخمول أغراض أخرى كشعر الخمر والغزل الإباحي والمديح التكسبي ...

ومن النماذج الشعرية الإسلامية الرائعة والرفيعة المفعمة بصدق العاطفة النابعة من إيمان عميق بالخير ورفض لقوى الشر والفساد، ما قيل في غزوة بدر الكبرى .

خبر غزوة بدر الكبرى:

تعد غزوة بدر الكبرى أول مواجهة في تاريخ الإسلام بين الحق الإلهي والباطل الجاهلي، لأنها كانت الغزوة الأولى التي فتحت المجال أمام الإسلام لينتشر في أقاليم الجزيرة العربية، وليدخل التاريخ الإنساني من بابه الواسع، حيث لم يكن انتصار المسلمين في غزوة بدر المباركة على قبيلة عادية كسائر القبائل الجاهلية، بل كان انتصارا على أقوى سلطة سياسية في ذلك الوقت، وهي قبيلة قريش التي كانت تقوم بحماية البيت ومن هنا كانت الهزيمة التي لحقت بها يوم بدر هزيمة نكراء، نتج عنها تغيير في ميزان القوى السياسي والديني بلغة العصر .

و «بدر» اسم بئر حفرها رجل من غفار اسمه بدر، وقيل هو بدر بن قريش بن يخلد الذي سميت قريش به، وقيل : إن (بدرا) اسم رجل كانت له بدر .. وهي على أربع مراحل من المدينة .

وقال "ابن هشام» : نقلا عن «ابن إسحاق» : قالوا : لما سمع رسول اللهﷺ بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم إذ ظنوا أنها لن تكون سوى مناوشة كسابقاتها والتي قتل فيها عمرو بن الحضرمي[٤]، ولما أرسل أبو سفيان خبر سرية المسلمين إلى قريش بوساطة " ضمضم بن عمرو الغفاري " تجهز الناس سراعا وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي، كلا والله ليعلمن غير ذلك»[٥] .

وهكذا خرجت قريش بكامل أشرافها وفرسانها لملاقاة الرسولﷺ والمسلمين، وفي الجبهة المقابلة، جبهة المسلمين نجد الكل يجتمع حول رسول اللهﷺ يشد أزره ويؤكد له بأنهم لن يقولوا له كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام ﴿ ... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾(المائدة) وإنما قالوا له: نحن معك، فسر بنا على بركة الله . وما كان من الرسول الكريم إلا أن قال لهم : سيروا وأبشروا فإن الله وعدني بإحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ..

وصدق الله وعده لرسوله الكريم، حيث التقى الجمعان يوم سابع عشر من رمضان، فانهزم المشركون وقتل من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم، ولم يستشهد من المسلمين سوى أربعة عشر رجلا ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[٦] .

بعض ما قيل من أشعار يوم بدر

لم يكن الشعر بمعزل عن السيوف والدروع والرماح، بل رافقت قصائد الشعر الأبطال المسلمين تحمسهم وتدعوهم إلى التشبث بالإسلام والتيقن من النصر وتزيدهم تأكدا من قوتهم الربانية التي لاتقهر، فليس هناك حدث كبير إلا وواكبه الشعر ورافقه، وكان أكبر الأحداث دعوة الرسولﷺ إلى الإسلام، وهي دعوة اضطرته إلى حمل السيف للدفاع عن الإسلام وخوض المعارك والحروب .



وكان مما قيل من الشعر يوم بدر، وتراد به القوم بينهم لما كان فيه قول «علي بن أبي طالب» :

ألم تر أن الله أبلى رسوله
بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل[7]
بما أنزل الكفار دار مذلة
فلاقوا هوانا من إسار ومن قتل

وقال كعب بن مالك أخو بني سلمة :

عجبت لأمر الله والله قادر
على ما أراد، ليس لله قاهر[8]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري أيضا [9] :

تبلت فؤادك في المنام خريدةٌ
تسقي الضجيع ببارد بسام

وهي قصيدة من اثنين وعشرين بيتا يذكر فيها حسان فرار الحارث بن هشام وما لاقاه فريقه من تقتيل وتنكيل على أيدي المسلمين، يذكر ذلك في روح حماسية واضحة مفتخرة بذلك النصر الخالد، كما تميزت القصيدة بمطلع غزلي يشتكي فيه الشاعر من السقم الذي أصاب قلبه بسبب حب «خريدة»، وهو يحافظ على أصل من أصول القصيدة العربية القديمة ألا وهو المقدمة الغزلية . وقد اعتمد الشاعر في ذلك على التصوير الحسي تارة، وعلى النسيب تارة أخرى، وتكاد القصيدة وخصوصا في لحظة تصويرها للحرب أن تقترب من البنية القصصية حيث يسرد خلالها الشاعر قصة فرار الحارث بن هشام تاركا أهله في أسوأ حال من قتل وأسر :

إن كنت كاذبة الذي حدثتني
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم
ونجا برأس طمرة ولجام

غير أن هذه اللحظة الكلية في التصوير قامت على لحظة تصويرية جزئية منحت للنص صورة التقريرية والبيانية، وشكلت البنية العميقة التي تسهم في تشكيل المعنى .

ولما انتقل الشاعر من الغزل إلى ساحة الوغى غير من لهجته وإيقاعه الشعري، فاختار من الكلمات ما يدل على الحركية والسرعة والقوة كما نجد في قوله :

طعنتهم والله ينفذ أمره
حرب يشب سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركنه
جزر السباع وأسنة بحوامي

فالشاعر يلون نفسيته تبعا لطبيعة الغرض خاصة في الجزء الأخير من القصيدة حيث سيعلن فرحته بانتصار المسلمين واندحار المشركين .

عود على بدء

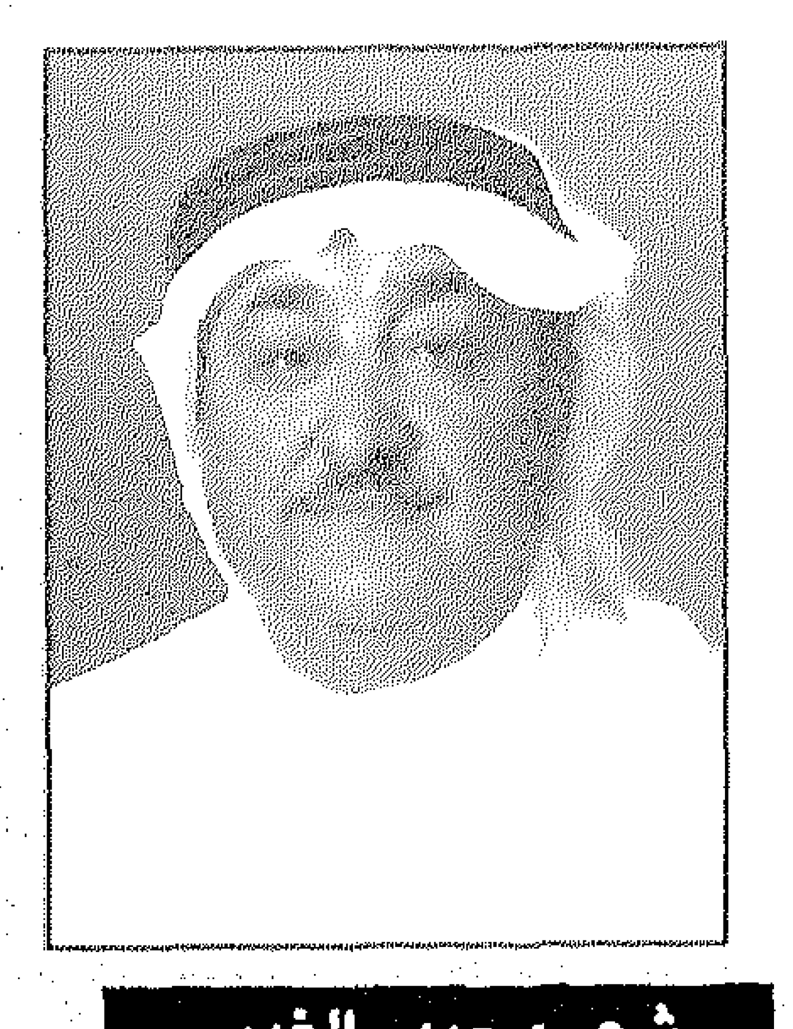
حظي المتن الشعري الذي قيل في غزوة بدر الكبرى باهتمام كتب الأدب والتاريخ مثل الأغاني وسيرة ابن هشام وكتب الصحابة، مثل الإصابة والاستيعاب، والمفضليات والأصمعيات، واتخذته بعض المعاجم اللغوية كلسان العرب لابن منظور مادة صالحة للاستشهاد به على بعض القضايا اللغوية، وتحمست له بعض كتب الاختيارات لمستواه الفني كحماسة أبي تمام والبيان والتبيين للجاحظ، وغيرهما، وسلك ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء نفس المسلك .

إلا أن الإحاطة بهذا المتن الشعري أمر صعب وشاق لغزارة مادته نصوصا وأبياتا، وتنوع أغراضه كالفخر الحماسي والرثاء والهجاء والمديح النبوي . حيث لم تخل قصيدة أو مقطوعة إسلامية من الإشارة إلى عظمة الرسول ﷺ وحنكته الحربية وقيادته الحكيمة قبل المعركة وإبانها وبعدها . لكن الأهم عند المسلمين هو الاهتمام بالجماعة وبوجودها المادي والمعنوي، فكانت المعركة بالنسبة إليهم معركة الوجود أو عدمه لذلك أولوها عنايتهم وأرجؤوا مدح الرسول ﷺ لمناسبات أخرى . ■

الهوامش

(١) سورة الشعراء : الآيات من ٢٢٣ - ٢٢٥ .
(٢) ابن رشيق : العمدة، الطبعة ١، الجزء ١ ، ص١٢، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، ١٩٦٣ .
(٣) البيان والتبيين : الجاحظ، ١:٢٤١، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٦٠ .
(٤) سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد ١، ص٦٠٥ - ٦٠٧ .
(٥) نفسه، م.م، ص٦٠٩ .
(٦) سورة الأنفال الآية ١٢ .
(٧) مطلع قصيدة من ١٥ بيتا، انظر سيرة ابن هشام، المجلد ٢،ص١٢ .
(٨) مطلع قصيدة من ١٦ بيتا، انظر سيرة ابن هشام، المجلد ٢، ص١٤ - ١٥ .
(٩) قصيدة من ٢٢ بيتا، انظر ديوان الشاعر، الجزء ١، ص٢٩ - ٣٠ .





شعر: حيدر الغدير
السعودية

* إلى الهمام أحمد، الابن والأخ والصديق ... والأمل.
مقاربة لقصيدة الدكتور عبدالكريم المشهداني الرائعة في ابنه أحمد والتي نشرت في مجلة الأدب الإسلامي، العدد (٢٤).

يا هماماً تلوح في مقلتيه ... سطوة الصقر باسطا مخلبيه
يتنزى كأنما فيه عشق ... للعلا مقلق يجور عليه
ذاد عنه المنام إلا قليلا ... وحباه في وقدها جمرتيه
كره العجز منذ شب وآلى ... أن تكون الأمجاد طوع يديه
هو سيف، كلا، فللسيف غمد ... ربما اشتاق أن يفيء إليه
وهو ما اشتاق أن يفي لغمد ... فمناه دوما على راحتيه
وعلى قلبه ندامى صبوح ... وغبوق طابا وفي جفنيه
يرتضيها غمدا إذا ما اقتناها ... عنوة تستكين في ساعديه
هو ملك لها .. ويهفو إليها ... وهي ملك له وتهفو إليه

* * *

غار ترب منه وغار رفاق ... ورنت ظبية إلى وجنتيه
غازلته فكان جلمود صخر ... فكفاها أن غازلت مقلتيه
وهو ماض في دربه يتغنى ... والعناد الملح في عينيه
يقحم الصعب فالمحال محال ... عنده والقنوط في نعليه
وعلى عارضيه صبر وجمر ... زيناه وزينا عارضيه
يحفر الصخر حيث يعيا سواه ... هازئا منه هاشما أوعريه

* * *

أيها الأحمد الشجاع المرجى ... لمشيبي الذي أرى إصبعيه
ينسجان الونى وثوب رحيلي ... في غد قادم أرى شاطئيه
فلتكن لي وأنت أهل رواقاً ... وبساطاً آوي إلى جانبيه
ولتكن فارسا يُرجَّى ويُخشى ... سوَّدته صنائع من يديه
أنزلته الأعلى وأهدته تاجاً ... من جلال يزهو على مفرقيه

* * *

ولتك الشهم قد تمناه مجدٌ ... مذ رآه ومذ وعى أصغريه
سألوه: من الفتى؟ فازدهاه ... فرح باذخ وأومى إليه

خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه

نماذج من الأدب الإسلامي المتميز

كثيراً ما نجد أنفسنا ونحن بين يدي كتاب تراثي في حديقة كثيرة العطاء متنوعة الزهور، تعبق عطورها فتملأ أنفسنا بمشاعر شتى .. وأقرب مثال لذلك كتب السير والتراجم، فأنت تقرأ فيها الأحداث، وتتصور الشخصيات وكأنها تتحرك أمامك، وتستمتع ببيان ناصع يجري على ألسنتها، فتحظى بألوان شتى من الأدب والفكر والتاريخ، وقد تكتشف حقائق كانت غائبة عنك ..

ومن ذلك ما نجده في بعض كتب السير والتراجم التي تحدثت عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وصورت جوانب من حياتهم، ونقلت إلينا عباراتهم، وجعلتنا أقدر على تصور شخصية كل منهم، وأقدر على فهمها والاستفادة مما أفادته وهي تتربى في مدرسة رسول الله ﷺ وتصقل ذاتها بتوجيهات كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ومن تلك الجوانب التي نراها



بقلم: د. عبدالباسط بدر

بوضوح الجانب البياني، خطب أولئك الصحابة الكرام، وأقوالهم المأثورة، والتي تعد فصلا قيما من فصول الأدب الإسلامي فهو تعبير بياني رفيع، أنبتته سليقة قوية صحيحة، ورفدته روافد البلاغة المثلى من التعبير القرآني المعجز، ومن البيان النبوي العالي فما من صحابي عاش مع رسول الله ﷺ حقبة من الزمن إلا وأخذ من آيات الله التي يحفظها الكثير، وأخذ من عباراته ﷺ الكثير، وصار ما أخذه ذخيرة يصدر عنها في تعبيره، فإذا وقف يخطب تدفقت جداول

العطاء الإيماني من تلك الذخيرة، وخالطت نسيج عباراته، وأضفت عليها جمال الفصاحة وسحر البلاغة .

وبين يدي نموذج لذلك يستحق أن نصفه بأنه نموذج متميز، متميز بشخصية صاحبه، وظروف حياته، وطبيعة المواقف التي ظهر فيها النموذج، هذا النموذج هو خطب الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وعثمان بن عفان - كما نعرف - متميز في شخصيته، فهو الرجل الهادئ الحكيم، والتاجر البارع الذي كسب أموالا طائلة قبل الإسلام وبعده، والصحابي الذي أصهر إلى رسول الله ﷺ في ابنتيه رقية ثم أم كلثوم رضي الله عنهما، وواحد ممن لازموا رسول الله ﷺ إلى آخر حياته، فتوفي - كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه - وهو راض عنه . ولو رحت أعدد جوانب التميز في شخصيته لاستغرق ذلك مني الوقت الطويل.

وعندما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة أصبح بحكم منصبه يرتقي المنبر ويخاطب الرعية في أمور شتى، شأنه في ذلك شأن أبي بكر وعمر من قبله رضي الله عنهم جميعا . وكان مما اهتم به في خطاباته نصح الرعية وتذكيرهم بمواعظ رقيقة بليغة تلامس شغاف القلوب، تذكرهم بما لا ينبغي أن يغفلوا عنه، والذكرى تنفع المؤمنين، تذكرهم بحقيقة الموت والحياة، لتكون هذه الحقيقة طريقا إلى تحقيق التقوى وتعميقها، فالموت قادم لا يتخلف، وشواهده نراها كل يوم ونعرفها فيمن سبقونا من أهلينا وأقاربنا والجنائز التي تمر بنا، وهي جديرة بأن تجعلنا نستعد له . يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه عن ذلك في خطبته : « **ابن آدم! اعلم أن ملك الموت الذي وكل بك لم يخلفك، ويتخطى إلى غيرك منذ أنت في الدنيا، وكأنه قد تخطى إليك غيرك وقصدك، فخذ حذرك واستعد له، ولا تغفل فإنه لا يغفل عنك . واعلم يا ابن آدم إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لها لم يستعد لها غيرك، ولا بد من لقاء الله، فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك** » .

إن التميز الذي رأيناه في شخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه في توجهه التجاري واستغراقه حتى البراعة والثراء يجعلنا ننظر بدهشة وإعجاب إلى هذا التوازن الدقيق في تعامله رضي الله عنه مع قضية الحياة والموت، فطالما رأينا النماذج الناجحة من التجار ورجال الأعمال تشغلهم تجاراتهم وأعمالهم عن أن يصلوا إلى هذه الرؤية الناصعة، غير أن عثمان رضي الله عنه الذي امتلأت نفسه بالإيمان العميق أمسك بذلك التوازن، فهو يكسب الأموال الضخمة من جهة، وينفق في سبيل الله الأموال الضخمة ويجهز جيش العسرة، ويتصدق بقافلة فيها الآلاف المؤلفة .

ويتجلى هذا السلوك المتوازن في خطابته، حيث يقول موجها الرعية ومبينا لهم ما ينبغي أن يفعلوه فيما آتاهم الله من الرزق، يقول : « **إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها . إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المعاد إلى الله** » .

وتصل هذه الرؤية الإيمانية العميقة في خطابات عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي توجيهاته إلى البوابة التي يفوز فيها كل من يبلغها ويدخلها .. بوابة التقوى .. فهي الجسر إلى رضوان الله وإلى جناته، وهي التي يريد عثمان رضي الله عنه من كل مسلم أن يبلغها بسعيه في الدنيا، وبمكاسبه، وبتفكره وبتذكره يقول : « **اتقوا الله فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نورا لظلمة القبر ... اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنة من بأسه، ووسيلة عنده ...** » .

وبعد : فإن هذه التوجيهات وأمثالها عندما تصدر من عثمان بن عفان رضي الله عنه، تحمل بين أثنائها فضلا عن آثار الإيمان العميق، وظلال مدرسة رسول الله ﷺ في التربية والتوجيه، تحمل آثار التجربة العملية الواقعية، تجربة رجل عمل في الدنيا ونجح فيها وكسب .. ولكن نجاحه وتميزه لم يحجب عن بصيرته إدراك الآخرة والعمل لها، والتزام السبيل المؤدي إليها سبيل التقوى .. وعندما تنسكب هذه التجربة بكل روافدها العظيمة وبتفاعلاتها الكثيرة في خطبة تتناقلها كتب السير والتراجم تصبح نصا من نصوص الأدب الإسلامي المعطاء .. نصا نجد فيه التجربة والعبرة والبيان الناصع .■



مرايا الدكتور حمودة المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية

بقلم : إبراهيم عباس غانم
مصر

إن واقعنا الثقافي العربي يذكرني بأسطورة - الشاطر حسن - الذي ذهب لإحضار الدواء لمحبوبته من البلاد البعيدة، وفي بقعة (ما) من الأرض وقف محتارا إذ وجد أمامه ثلاثة طرق وتساءل أيها (طريق السلامة)، و(طريق الندامة) و(طريق اللاعودة) .

وكذلك نحن في مطلع القرن الجديد وبينما نواجه رياح التفتيت وطوفان العولمة نتساءل إلى أي اتجاه تتوجه ثقافتنا العربية، بعد أن جربنا كل الثقافات الأجنبية وبعد وضوح الرؤية، وعلى رغم ما عندنا من أساتذة ومعلمين على درجة الدكتوراه في كل الثقافات اكتشفنا أن كل هذه الثقافات لا تعبر عن شخصيتنا الحقيقية، وأنها حولتنا إلى مسخ لا شكل له ولا مضمون، عندئذ كان لا بد لنا من وقفة لإعادة النظر في هذا الواقع الثقافي الذي يشكل وعي الأمة العربية، وظهرت الدعوة للبحث عن الجذور، ونحت مصطلح عربي أدبي خاص بنا، وقد لاقت هذه الدعوة استحسانا من المؤيدين لها خاصة في هذا العصر الذي تحاول فيه المجتمعات النامية الاحتماء بأصولها التاريخية والتراثية من شر العولمة والتغريب.

من أجل ذلك كان لزاما علينا - نحن المعتدلين - كشف الستار عن هذه الثقافات المستوردة وإعادة تقييمها حتى نشكل أرضا صلبة يقف عليها أولادنا من بعدنا استعدادا للانطلاق نحو مستقبل أكثر خصوصية مع بداية القرن الجديد .

إن هذا ما دفعني لاستقبال كتاب (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك للدكتور عبدالعزيز حمودة والصادر عن سلسلة عالم المعرفة ٢٣٢) بترحاب شديد ورغم حجمه الكبير (٤٠٠ صفحة تقريبا) إلا أنني عكفت على قراءته عكوف الطالب على الدرس استعداداً ليوم الامتحان، فماذا كانت نتيجة هذا الاعتكاف؟! .

في البداية لا بد أن أعترف بجهلي - ولا خجل - فقد سبقني الدكتور عبدالعزيز حمودة بمثل هذا الاعتراف في بداية كتابه - لقد جعلني هذا الجهل أتصدى للكتاب (النص) وأنا أعزل من سلاح (أفق التوقع) مما كان له الأثر في عدم تحقيق (التناص أو البينصية) التي ستؤدي إلى (موت المؤلف) ومولد (الميتانقد) من خلال (الميتالغة) مما سيكون له الأثر في تحقيق (لا نهائية المعنى) عند التفكيكيين من خلال مبدأ (إساءة القراءات) التي جعلت المتلقي يصبح هو المبدع الحقيقي للنص الجديد كي تتحقق أدبية النقد أو إبداعية الناقد .

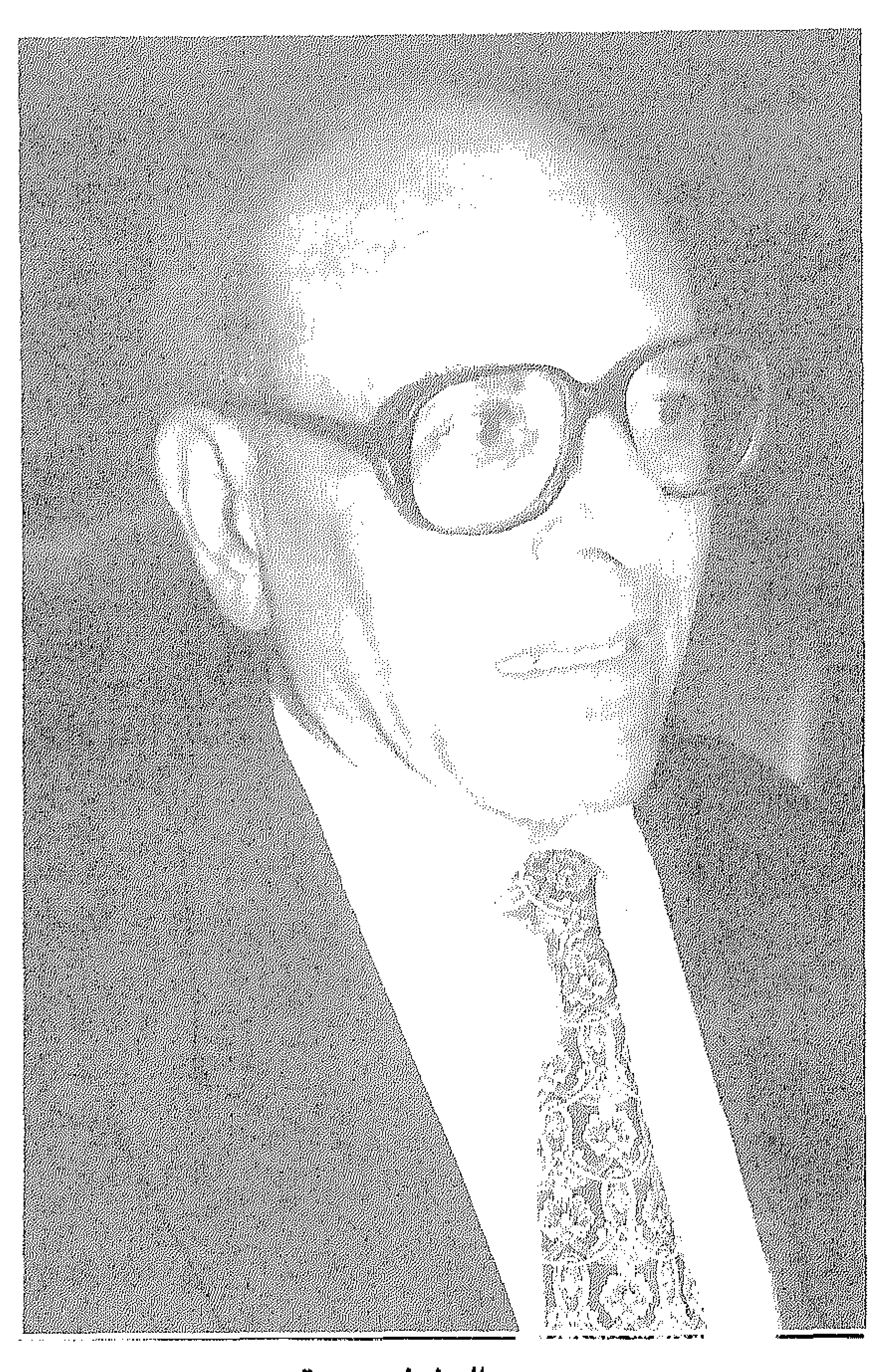
وبدلا من (إنارة النص) الذي هو الوظيفة الحقيقية للنقد والناقد يجد القارئ نفسه في دوامة كما يقول الدكتور عبدالعزيز حمودة:

«إن القارئ يجهد نفسه كثيرا ويدخل في متاهة إثر متاهة ليخرج منها في النهاية مرهق الفكر وقد فقد توازنه تماما بعد أن ابتعد أميالا عن النص بدلا من الاقتراب منه».

واسمحوا لي أن أتخذ من تبسيط هذه المصطلحات مدخلا لهذا العرض عملا بمبدأ صاحب البحث الذي يقول: **«معصيتي الأولى هي تبسيط المعلومات بقدر الاستطاعة، فأنا هنا لا أخاطب القارئ المتخصص»** واعتبرها معصية، لأنه يرى أن من يحاول تبسيط البنيوية والتفكيك في عرف أصحابها عاص لأن فلسفتهم بنيت على الغموض .

وعندما ننظر مصطلحاً مثل (أفق التوقع) الذي هو محور من محاور نظرية التلقي عند تبسيطه يقول دكتور حمودة : **«هذا التوقع تحدده ثقافة القارئ وتعليمه وقراءاته السابقة أو تربيته الأدبية والفنية»** باختصار هو كل المخزون الثقافي والحياتي للقارئ بعد أن يضاف إليها تقاليد الجماعة التي ينتمي إليها القارئ .

وعندما نقارب - بمعنى نناقش - مصطلح (التناص - البينصية) سنجده مسؤولا بالاشتراك مع (أفق التوقع) عن اختفاء النص الحقيقي حيث إن هذا الأفق مسؤول عن تفسير النص وتحديد


د . عبدالعزيز حمودة

المعنى كما يقول الدكتور عبدالعزيز: **(إن تفسير النص وتحديد المعنى يقررهما أفق المتلقي القارئ للنص)** إن النص قبل القراءة عبارة عن مجرد كومة من الأوراق ومجموعة من الحروف والكلمات يجمعها القارئ في ذهنه ويضيف إليها من مخزونه الثقافي وتقاليد جماعته ما يحدد المعنى ويساعد على التفسير، وعندئذ يصبح ما كان نصا مكتوبا في عقل القارئ منتجا آخر ما بين نص أو (تناص - بينصية) إذ يحمل نصوصا أخرى كانت عبارة عن آثار من أفق (أفق المتلقي) تلك رؤية تفكيكية تختلف عن (النصية) التي ارتبطت بالبنيوية وتعني تحليل النص الأدبي من داخله وعدم الاستعانة بأي شيء خارجه، وهو ما يقول عنه النقد الجديد (الموضوعية)، وليس معنى ذلك أن (التناص) يعني فوضى التفسير أو القراءة مطلقا فإن كل

قارئ يمثل جماعة ينتمي إليها هي التي تحدد مسار القراءة، وفي الكتاب يقول :

«إن التغيرات التي في تفسير النص تعرف بالحدود والضوابط . وإنها تغيرات محدودة ومحكومة لأن القارئ ليس طليق اليد تماما في استخدام أي استراتيجية قراءة تحلو له، فالقارئ ينتمي إلى جماعة تفسير معينة تنتج حقائق تفرزها تقاليدها . إن الإطار المرجعي للجماعة هو الذي يحدد للقارئ ما يمكن أن يقوله أو لا يقوله في تفسير النص» .

وقبل الانتقال إلى المصطلح الثالث وتبسيطه (موت المؤلف) أعترف أنني قد أصبت - قبل فهمه - بصدمة، خاصة وأنا في الأصل كاتب ومؤلف «دراما» ولكن بعد التعرف على معاني العناوين للفصول الأربعة التي يتكون منها الكتاب، وبعد فهم مضمون العناوين الجانبية (أربعون عنوانا) .

أجدني بت على وشك الاقتناع بأن المؤلف قد مات حسبما يقول صاحب البحث **«المؤلف قد مات بالفعل يوم اعتمدت الحركة النقدية (النموذج اللغوي) أساسا لمقاربة البناء (مناقشة النص) فقد كانت جميع معطيات النموذج اللغوي تشير كلها في اتجاه (موت المؤلف) منذ السنوات المبكرة للقرن العشرين حيث كان التركيز على العلاقة بين الأنساق (الأنظمة) وليس بين النص ومؤلفه»** .

ومهما حاول الأكاديمي أن يكون بسيطا في أسلوبه فإنه سيكون صعبا على القارئ العادي الذي لا يحسن سوى قراءة المجلات والصحف السيارة، لقد استخدم الدكتور عبدالعزيز حمودة ما يقرب من مئة صفحة ليقول لنا: إن (النموذج اللغوي) الذي اكتشفه فدينان دي سوسير يركز على العلاقات داخل البنية اللغوية - علاقة الحرف بالكلمة (العنصر بالوحدة) وعلاقة الكلمة بالجملة (النسق الأصغر) وعلاقة كل منهما بالنسق الفردي (أي النص الأدبي)، ثم علاقة كل هذه بالنسق الأكبر (في اللغة قواعد النحو والصرف)، أما البنية الأدبية (النموذج الأدبي) فقد سار على نهج النموذج اللغوي منذ أن اعتمده ليفي - شتراوس من حيث العلاقات بين الوحدات المكونة للرواية (مراحل تطور الحدث والحبكة في الرواية الأدبية أو الدرامية مثل التعقيد والصراع والانقلاب ثم الاكتشاف) وهذا النموذج يهتم بالشكل دون المضمون، وعليه فإن اهتمامه يكون بنظام الكلمات في السياق أو الوحدات في البناء الدرامي أو الروائي، ولا يهتم الناقد بالدلالات (المعاني) وعن ذلك يقول الباحث :

«إن فشل البنيوية الحقيقي والذي تلتقي عنده ألوان القصور المختلفة في التحليل البنيوي هو عجز المنهج عن تحقيق المعنى برغم أن محوري النقد الحداثي كله هما: اللغة والمعنى .. وإذا سلمنا بكفاءة المنهج البنيوي في تقديم تحليل منهج علمي للغة فمن الصعب التسليم بكفاءته في تحليل النصوص الأدبية وإنارتها وتحقيق المعنى» .

باختصار شديد، إن المنهج العلمي من الممكن أن يكون مفيدا في علمية اللغة أما علمية الأدب فمن الصعب أن نقيم نموذجا تقاس عليه كل النصوص الأدبية في الرواية مثلا أو في الشعر لأن الإبداع حالة وجدانية والعلم حالة إدراكية، ومن هنا تكون الاستحالة .. ولكن .. ما علاقة كل هذا بموت المؤلف؟ العلاقة ظاهرة واضحة، فإن البنيوية - كما كانت ما قبلها (النقد الجديد) - تنادي باستقلالية وذاتية النص بعيدا عن قصد المؤلف، وعن المتلقي، وهنا إنكار لوجود المؤلف، أما في التفكيك فإن (التناص) وانتفاء القصدية والتأكيد على دور القارئ المتلقي قد أودت بالمؤلف، وإذا كانت أهم حقائق الحياة هي (موت) و (ميلاد) فإن (موت المؤلف) أعقبه (ميلاد الميتانقد) وهو مصطلح يعني (نقد النقد) من ناحية، وإبداعية النص النقدي من ناحية أخرى، فهما يمثلان وجهين لعملة واحدة تجمع بينهما اللغة الشارحة (الميتالغة) وهي لغة تلفت النظر إلى مقصدها، وتحتشد بالتقاطعات والتداخلات غير المفهومة والمربكة، وتتسم بالغموض المتعمد والمراوغة المقصودة . وتتطلب الاستعانة الدائمة بمعاجم حديثة في الدراسات النفسية واللغوية والنقدية لتحديد دلالات المفردات، ناهيك عن الرسوم والجداول والأشكال الهندسية، والجبر

مما كان محيرا للقارئ البسيط ... ويقول الدكتور حمودة في هذه الجزئية :

«إن النقاد الحداثيين لا يخفون طموحهم في أن يتحقق القبول النهائي للنقد باعتباره أدبا دون أن يكون في ذلك تهديد للأنواع القائمة مثل الشعر - الرواية - القصة - الدراما» .

ولتحقيق هذا الهدف فقد ارتدوا مسوح (عباءة) الإبداع، فكانت النتيجة النهائية أن النقد الحداثي تحول هو نفسه إلى نقد النخبة بل نخبة النخبة، ومن قبل ارتدوا مسوح العلماء عندما حاولوا تطبيق مبادئ المنهج العلمي، فأبعدهم ذلك عن تحقيق هدفهم في مقاربة النص، إذ إن تحقيق العلمية لا بد أن يكونه على حساب المعنى كما يقول الباحث في كتابه :

«إن أخطر التهم التي توجه إلى المشروع البنيوي ترى أن العلمية أدت إلى اختزال أو تصغير النص بصورة أفقدت التحليل العلمي القدرة على تحقيق المعنى حيث إن تفسير الدلالة لا يعني تحقيق المعنى».

إن هذا الفشل جعل أصحاب المشروع التفكيكي يبدؤون مشروعهم بالشك في المنهج العلمي، والشك في إمكانية تحقيق علمية النقد سعيا وراء تحقيق المعنى ولكنهم - للأسف - لم يستطيعوا تحقيقه كما ينبغي، إذ إن الاهتمام بدور القارئ / المتلقي، ومبدأ إساءة القراءات وتداخل التداعيات وتشكيل التناص وتعدد القراءات بعد تعدد القراء سوف يوجد تعدد التفسيرات، وبالتالي تعدد المعاني، وعندها يحدث ما حذر منه الباحث من إرهاق للفكر وابتعاد عن النص بدلا من الاقتراب منه، وتنتهي الوظيفة الحقيقية للنقد حسب قول الدكتور الباحث :

«إن أتباع المنظورين النقديين يشتركون في إنجاز واحد، وهو حجب النص، فالقارئ ينهمك في فك طلاسم الشفرة النقدية التي ترتدي مسوح العلمية عند النقاد البنيويين وينهمك أكثر في فك خيوط النص النقدي بتداخلاته وتركيبيته وأصدائه واقتطافاته عند النقاد التفكيكيين، وفي الحالتين (ضاع النص) ولم يتحقق المعنى، وفشل المشروعان في الواقع في تحقيق الأهداف التي أسسوا عليها مبادئهم الأساسية» .

وهنا يطرح سؤال .. هل معنى أن الباحث في كتابه وسعيه لكشف مثالب الحداثة يرفض هذه الحداثة ؟ والإجابة من خلال البحث تقول :

«إن هذه ليست دراسة ضد الحداثة، لقد عشنا قرونا طويلة من التخلف الحضاري يجعل الحداثة ضرورة من ضرورات البقاء، وليست ترفا فكريا ولكن .. أي حداثة نعني ؟

نحن فعلا بحاجة إلى حداثة حقيقية تهز الجمود وتدمر التخلف وتحقق الاستنارة، لكنها يجب أن تكون حداثتنا نحن وليست نسخة شائهة من الحداثة الغربية».

لقد حدد الباحث الهدف من كتابه بأنه يرفض تقليد الآخرين، ويتطلع إلى حداثة عربية الجذور، ويرى أن الحداثة الغربية تقليد مشوه لا يصلح عندنا لأسباب ذكرها في فصل يتكون من اثنتين وخمسين صفحة بعنوان (الحداثة - النسخة العربية).

يبدأ الباحث في عرض أسبابه ويقسمها إلى شقين، الأول نظري، والشق الثاني تقني تطبيقي، فهو يرى نظريا أن جذور الحداثة فكرية بالدرجة الأولى وثقافية قبل أي شيء آخر، فقد أعطانا الحداثيون العرب فكرا لقيطا مجهول النسبة عندما استوردوا مصطلحا أدبيا، يختلف في واقعه عن الواقع العربي تاريخيا واقتصاديا وفكريا وفلسفيا،

وحاولوا زراعته داخل الواقع الثقافي العربي الذي رفض التعايش مع هذا النتاج الفكري الفلسفي الغريب، فكانت الحداثة الغربية في واقعنا ضربا من العبث أدت بدورها إلى نشوء فجوة بين القارئ العادي لنقاد الحداثة العربية وهؤلاء الزمرة المستغربة التي تحولت إلى مجموعة من النخبة تخاطب نفسها فقط، وحول هذا المعنى يقول الباحث :

«رغم انتماء المصطلح النقدي الغربي إلى التراث الفلسفي الغربي فإن المتلقي المثقف وليس العادي (عندهم) يجد صعوبة في تحديد دلالاته – فما بالنا إذا كان المصطلح الغربي الذي تكتسب شرعيته ودلالاته داخل الإطار الفكري للفلسفة الغربية يستخدم الآن في النسخة العربية للحداثة خارج هذا النطاق الفكري، إننا نستعير المصطلح النقدي ونخرجه من دائرة دلالته داخل القيم المعرفية فيجيء غريبا ويبقى غريبا ويذهب غريبا والنتيجة الطبيعية هي فوضى النقد التي خلقها الحداثيون» .

أولاد صناع الحداثة الغربية لا يفهمون آباءهم فكيف يريدون منا أن نفهمها؟! والحق يقال – ليس العيب فيهم إنما الخطأ يقع على الحداثيين العرب الذين فشلوا في تنقية المصطلح الوافد من عوالقه الثقافية الغربية، مثلما فشلوا في نحت مصطلح نقدي جديد خاص بهم، مما أوقعهم في فجوة الازدواجية المتعددة الجوانب فكانت :

١- ازدواجية الولاء .

٢ – ازدواجية القيمة.

٣- الازدواجية الفكرية .

٤ – الازدواجية البيئية .

٥ – ازدواجية التزامن أو الزمن .

ويكون السؤال – لماذا كل هذا ؟ وما هو السبب ؟

إن السبب الظاهر – كما يقولون وأختلف معهم- هو هزيمة ١٩٦٧ .

فلم يأتنا ذلك إلا بعد سقوط الحلم، فأصبح رد الفعل للضياع رفضا للواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي العربي ونظرة إلى الأمام لإثبات وجودنا الثقافي ومن الجانب الأيديولوجي، ثورة تتجه إلى تدمير عمد النظام القديم بما فيه من عادات وتقاليد ورغم ذلك نراهم في شعاراتهم يناقضون المبادئ الأساسية للحداثة حينما يرفعون شعار الأصالة والمعاصرة . وإعادة قراءة التراث من منظور حداثي، أو استقراء الحداثة في مفردات التراث العربي في الوقت الذي تكشف فيه كتاباتهم بصفة مستمرة عن تأثرهم الواضح إن لم يكن نقلهم الصريح عن الحداثة بمفهومها الغربي، وهنا تكمن أزمة الحداثيين العرب في جوهرها خاصة عندما يدعون إلى القطيعة المعرفية للتقاليد الموروثة كأن تنسحب مظلة الحداثة – كما يحدث من بعضهم – على النصوص الدينية بصفة محددة في محاولات لأنسنة الدين – ونحن نرفض ذلك بشدة – إذ إن تطبيق مقولات البنيوية والتفكيك على نص ديني يوقعنا في محاذير ربما لا نقصدها :

ويقول الدكتور عبدالعزيز حمودة حول شعار الأصالة والمعاصرة :

«أما الإشكالية الأخيرة التي تثيرها الدعوة للحداثة العربية فهي التناقض الأساسي في موقف الحداثيين العرب (بين) رؤاهم النهضوية المستقبلية و (بين) محاولة إعادة تفسير التراث الثقافي أو استقرائه للوصول إلى تأكيد تراثي لمقولاتهم الحداثية الجديدة» .

وتناسوا أن فرضيات الحداثة نفسها هي رفض صريح لمقولة (الأصالة والمعاصرة)، فالجمع بينهما أمر شبه مستحيل، إذ إن الأصالة تعني العودة إلى التراث . فإذا كنا ننشد الأصالة حقا فعلينا أن ننحت مصطلحا خاصا بنا نابعا من واقعنا بكل مكوناته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

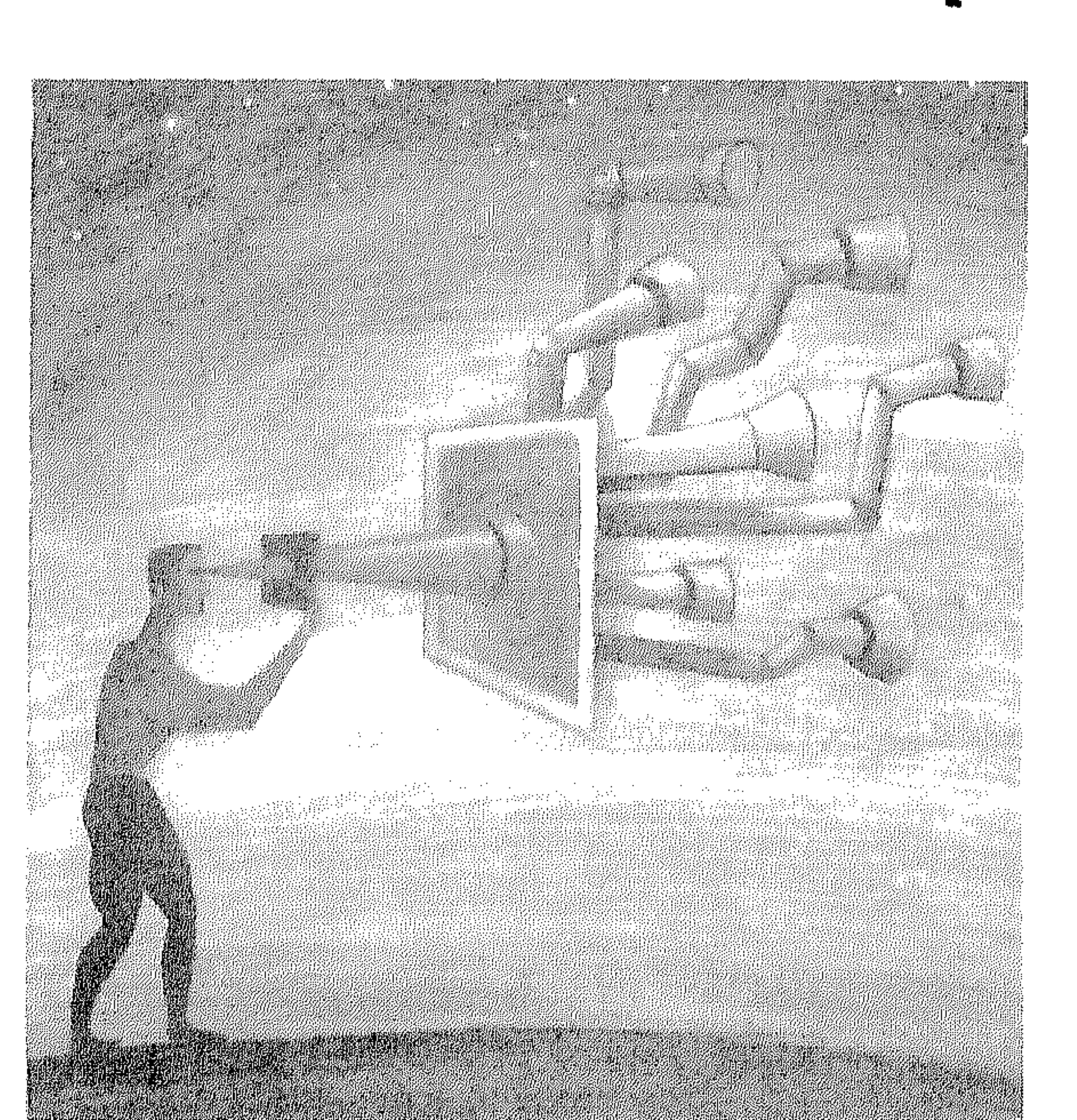
ذلك ما كان من الشق الأول حول أسباب الباحث لرفض الحداثة الغربية .

وعن الأسباب التقنية البحثية التي يطبقها الحداثيون العرب، يرى الدكتور حمودة أنها عبث لا طائل من ورائه، فإن التمسح بالصبغة العلمية لصياغة قانون عام يحكم النشاط الإبداعي محكوم عليه بالفشل كما يقول الدكتور الباحث :

«سوف يظل هذا التقنين معرضا للانهيار بالكامل حينما يجيء إلى الوجود نص إبداعي جديد يخرج على تلك القوانين ويفرض قوانينه (هو)، وعندها سوف يضطر النقد من جديد لمحاولة التقنين وهكذا إلى ما لا نهاية، وهذا يؤكد عبث الجهد الذي بذله البنيويون في محاولتهم» .

وعندما يعرض الباحث لجزئية (إضاءة النص) التي هي وظيفة النقد الأساسية يقول :

«إن ما يحققه البنيويون في حقيقة الأمر ليس (إضاءة النص) بل حجب النص بتركيز النقد على لغته، وأدواته، قبل الاهتمام بالنص المبدع، وهذا التركيز على (الميتالغة) من جانب نقاد (الميتانقد) الحداثيين يصحبه لفت أنظار للنص النقدي» .

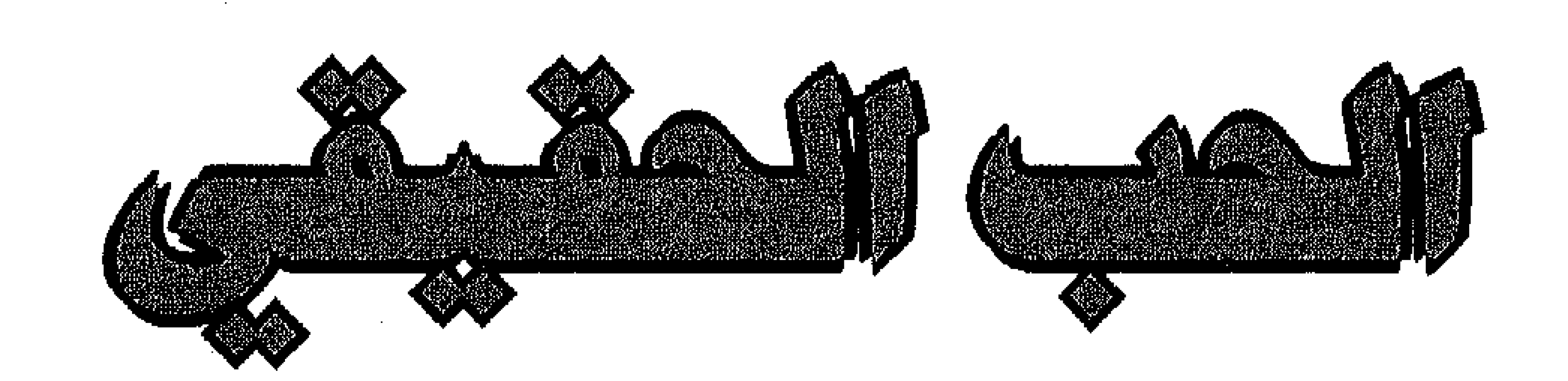


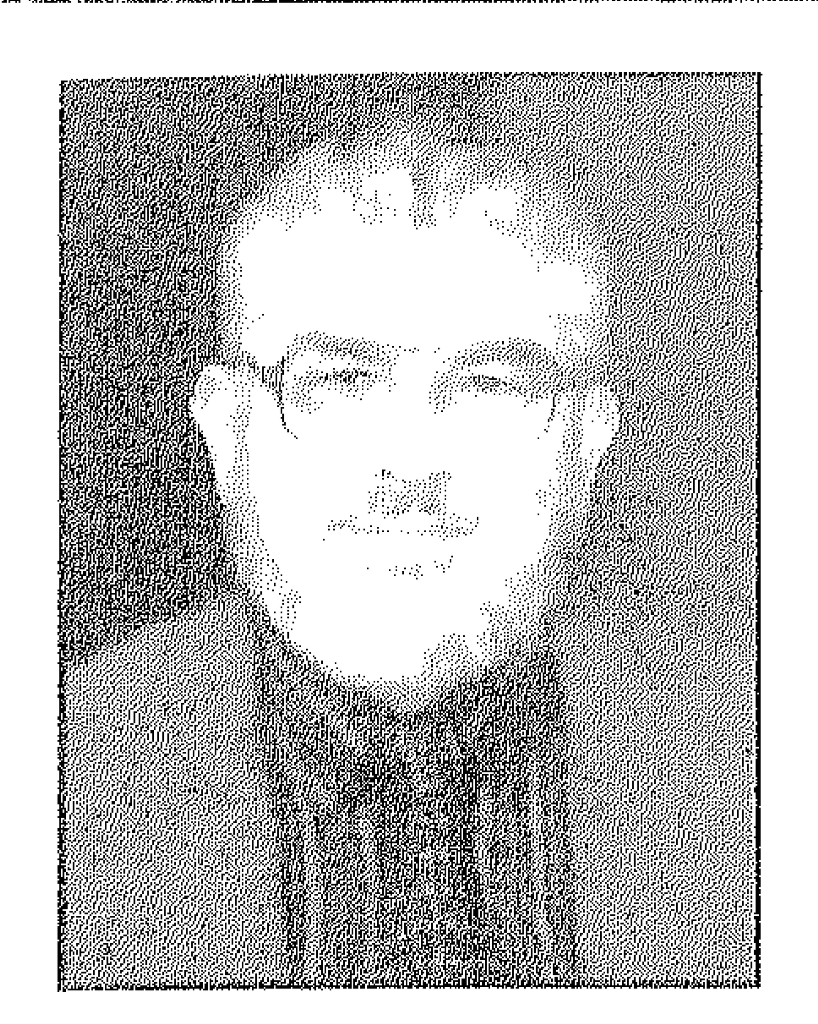
وإذا كان النقد البنيوي يحجب النص عن المتلقي فإن التفكيك يضيع النص تماما، وهذا هو جوهر التفكيك من خلال لا نهائية القراءات، وبذلك تلتقي المدرستان حول هدف واحد (موت المؤلف) (اختفاء النص)، متمسكين بمبدأ قديم هو إنكار القصدية، ولكن ليس بمعناه المعروف في المذاهب السابقة عليهم، بل بمعنى قصد المؤلف غير موجود، لأن النص الثابت ليس له وجود، وفي هذا الفراغ تصبح قراءة القارئ هي الحضور الوحيد وبذلك تصبح كل قراءة نصا جديدا مبدعا، من خلال (أفق التوقعات والتناص) إذ إن النص يعني ما يريد له القارئ أن يعني .

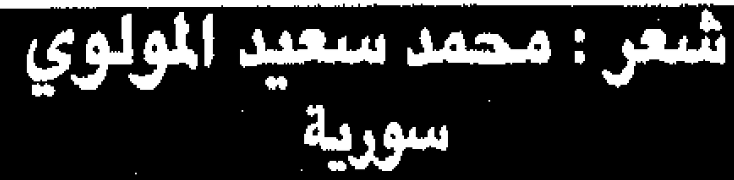
تلك كانت رؤية الباحث في كتابه (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك) ويلخصها لنا في هذه العجالة بقوله :

«إن أخطر ما فعله النقاد العرب من بنيويين وتفكيكيين -في رأيي-، أنهم برغم حماستهم المحمودة لتحقيق نهضة فكرية عربية، وسعيهم الدؤب لتحقيق الاستنارة الثقافية التي نحن في أشد الحاجة إليها، فشلوا في تحقيق هدفين أساسيين: الأول إنشاء حداثة عربية حقيقية، والثاني أنهم أمسكوا العصا من المنتصف عندما احتفظوا بالطابع الماركسي للبنيوية، وهذه المحاولة جعلت النسخة العربية من البنيوية لا تختلف كثيرا عن الواقعية الاشتراكية، ويرجع ذلك التناقض في جانب أساسي منه إلى افتقار الحداثي العربي إلى فلسفة خاصة به، فهو يستعير ويقتبس من المدارس الفكرية الغربية، ويحاول تقديم نسخة عربية خاصة به لا ترتبط بواقع ثقافي أصيل، ومن هنا تجيء الصورة النهائية مليئة بالثقوب والمتناقضات».

وما كاد ينتهي هذا الفصل (٥٢) صفحة حتى تتواقد علينا ثلاثة فصول أخرى بأسمائها (الحداثة .. النسخة الأصلية) (البنيوية – سجن اللغة) (التفكيك والرقص على الأجناب) وإذا كنا نختلف مع الباحث في بعض معطيات بحثه مثل (أدبية النقاد) ونتفق مع كثير مما جاء في بحثه مثل (نحت مصطلح عربي خاص بنا)، فلا يسعنا في النهاية إلا الاعتراف بأن كتاب «المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك» كان نورا كاشفا أضاء كل المسالك المظلمة . ويبقى السؤال هل وجد الشاطر حسن طريقه ؟ ■







السحر في عينيك طفل يكبر ... من قال: إني عاشق متكبرُ؟

كسر الهوى من شوكتي فأضاعني ... وكذاك يصنع باطش متجبِّرُ

فأنا الذي ملك الغرام شكيمتي ... وأذلني فيما أبين وأسترُ

فرضيت من دنياي حباً قاهراً ... ذل الهوى يحيي النفوس فتفخرُ

غابات عينك والبحور وما حوت ... دنيا عجائب للقلوب تسحَّرُ

وشراع حبي في بحارك سابح ... يجتاحه موج عظيم يكسرُ

حب تأصل في الجوارح والنقى ... جعل الحياة جميلة لا تقهرُ

كم أبحرت سفن الهوى من خافقي ... ثم انثنت نحو الشواطئ تمخرُ

ما أتعس القوم الذين توهموا ... في خمر باطية هموماً تنثرُ

وصفوا الخمور وما أراقوا من طلى ... وخمور ريقك يا حبيبة أقدرُ

إن يصطبح قوم بكأس آثم ... فكؤوس ثغرك زمزم أو كوثرُ

شهْد وسكْر في معين رضابها ... هذا الشراب وغيره لا ينظرُ

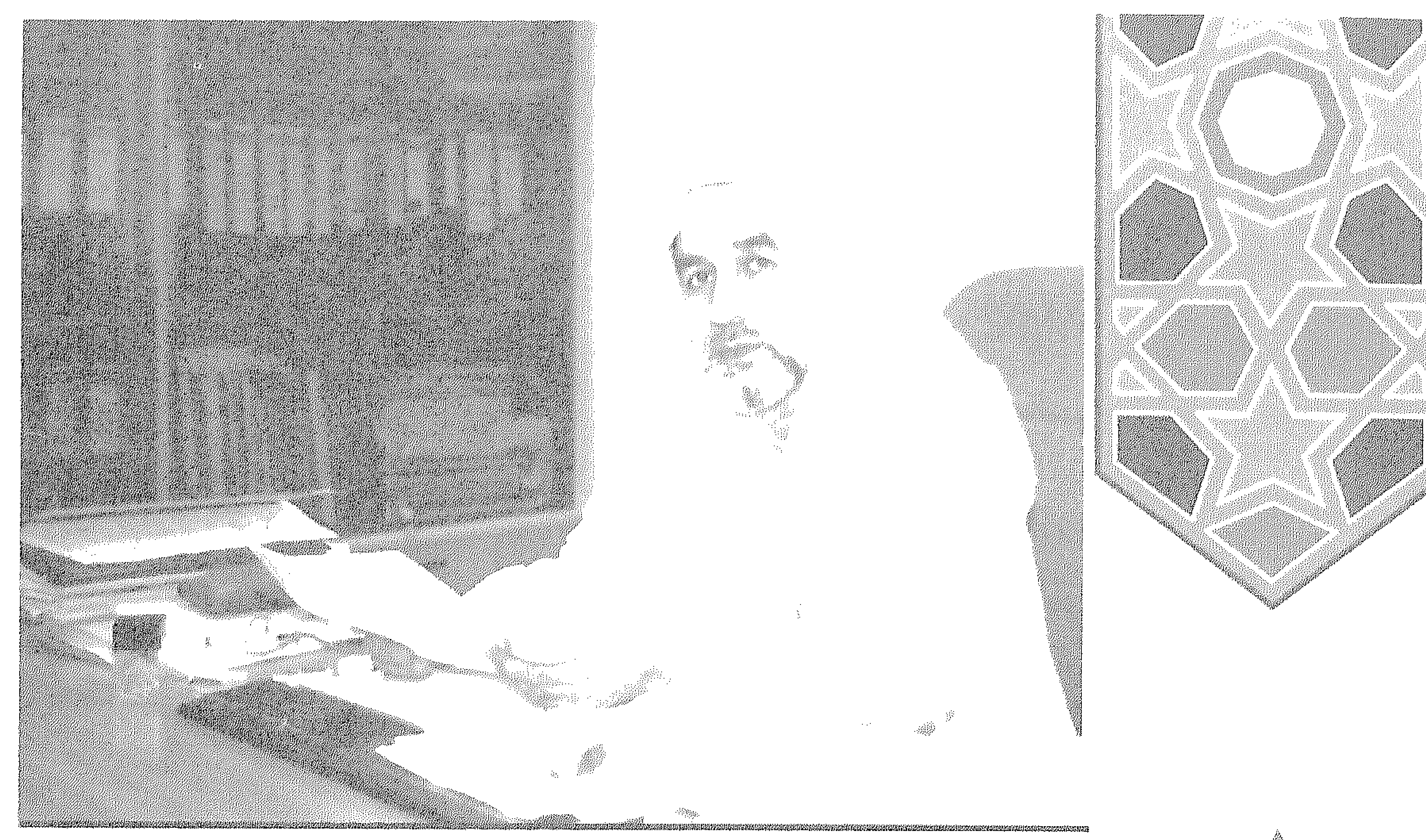
لم أعرف الإثم الذي قد جربوا ... حب الحقيقة في الفؤاد الأكبرُ

إن الحقيقة في الحياة كما أرى ... شرع الإله وبالسعادة يزهرُ

فبه عرفت الحب ينمو طاهراً ... وبه شربت الخمر حلا تسكرُ

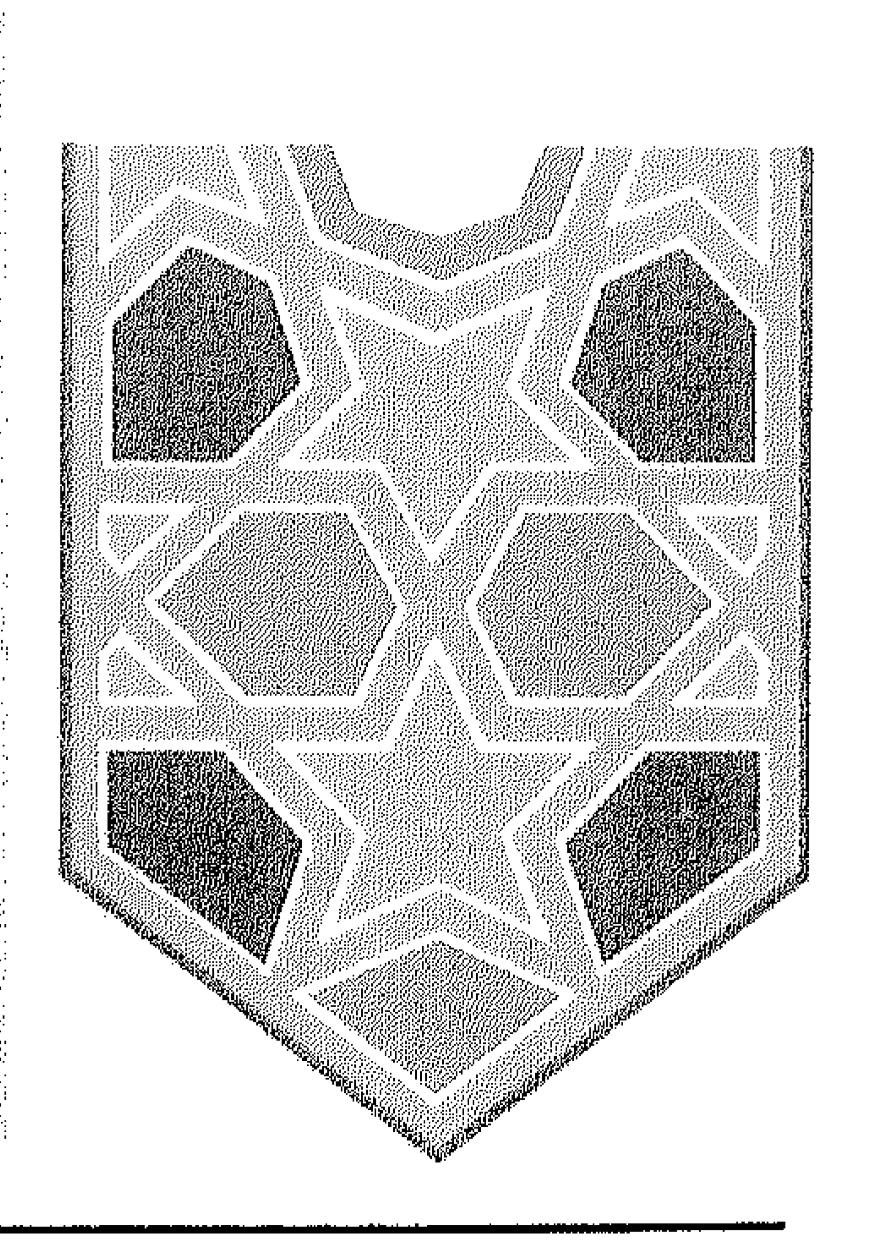
شرع قضى أن السعادة قسمة ... لمن اتقى وعلى الطريقة يعبرُ

فالحب حق في الحلال ونهجه ... عقد يجِّمع للقلوب ويصهرُ

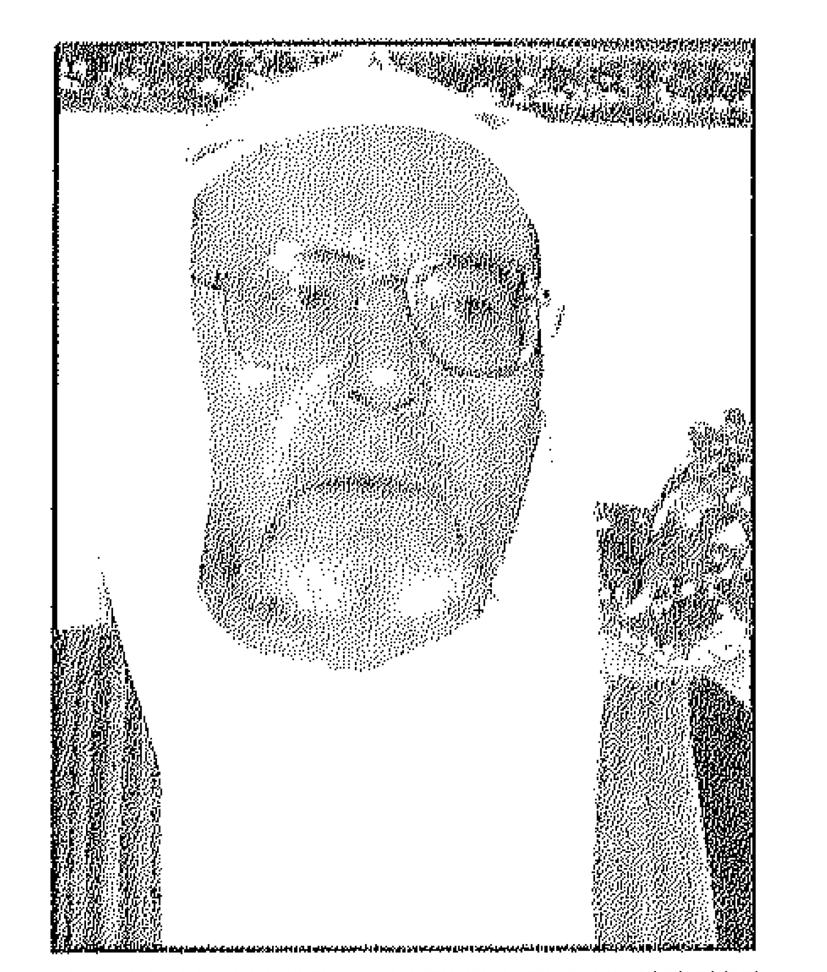




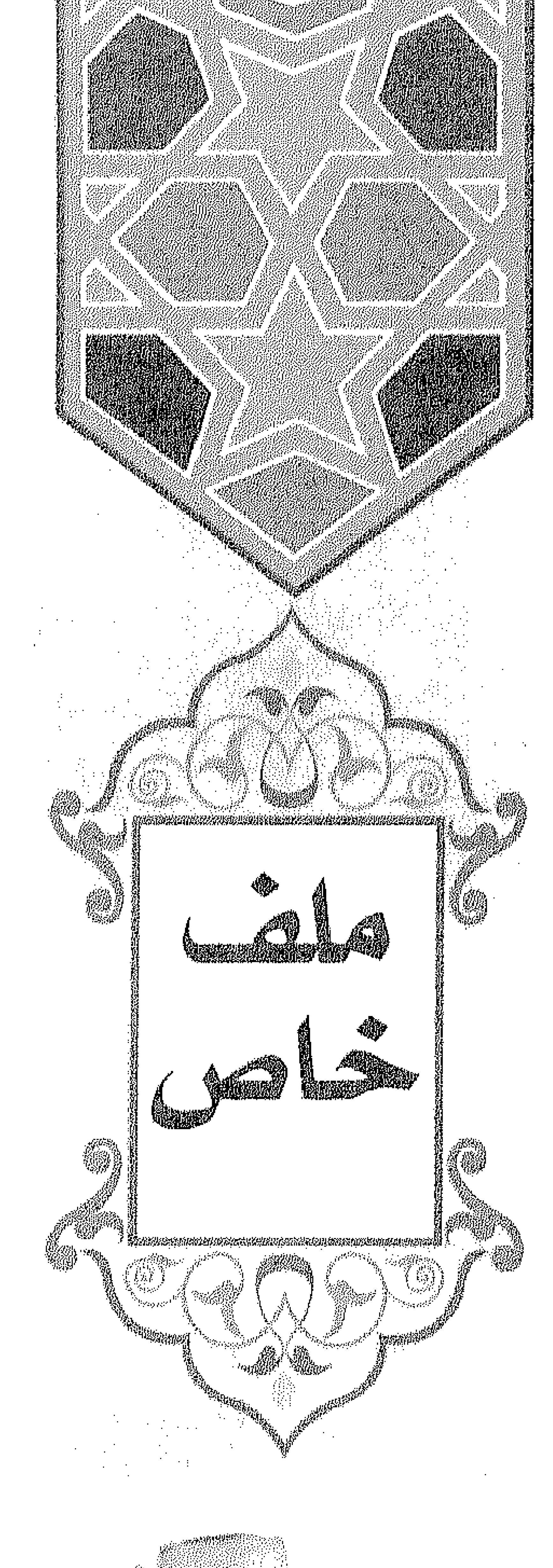
من رواد الأدب الإسلامي
الأديب الداعية
محمد حسن بريغش



أبو الحسن .. كما عرفته



بقلم: د . عبدالقدوس أبو صالح



كنت أراه عرضاً في بعض المناسبات ، وكان طلق المحيا دائم الابتسام في وجوه الناس ، وإنما بدأت معرفتي به في الجلسات التمهيدية لإنشاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وكنا نعقدها مع ثلة كريمة من مؤسسي الرابطة في الندوة العالمية للشباب الإسلامي ..

كانت حماسته للأدب الإسلامي أشد ما تكون ، وكان أشد ما يحرص عليه هو تميز الأدب الإسلامي وفرادته ، مع الإصرار على أن الأديب الإسلامي لا يجوز أن يكون مزدوج الشخصية ، يؤمن بالأدب الإسلامي فناً ، ويخالف الإسلام خلقاً والتزاماً بأوامره ونواهيه .

ثم كانت رابطة الأدب الإسلامي ، فبذل في سبيلها جهده ووقته ، ولم يكد يتخلف عن لقاءاتها وندواتها ومؤتمراتها ، مع ما ندب نفسه إليه من التأليف في الأدب الإسلامي، تعريفاً وعرضاً، ونقداً لبعض الإبداع فيه، وبخاصة في ميدان القصة والرواية ، بالإضافة إلى ما كتبه في فن السيرة والتراجم وفي التربية الإسلامية وأدب الطفل المسلم .

ثم كان من قدر الله وابتلائه أن نزغ الشيطان بينه وبين بعض إخوانه في الرابطة ، فانقطعت صلته بها سنوات عديدة ، ثم دُعي إلى العودة إليها بقرار من رئيس الرابطة يمحو آثار تلك الأزمة ، بل يمحو كل إجراء اتخذ فيها ، وجاء في ذلك القرار : " أن أبواب الرابطة مفتوحة له ليعود عودة كريمة ، وحتى يفيد الرابطة من عطائه وجهوده في خدمة الأدب الإسلامي ورابطته التي لا تنسى ما قدم لها " .

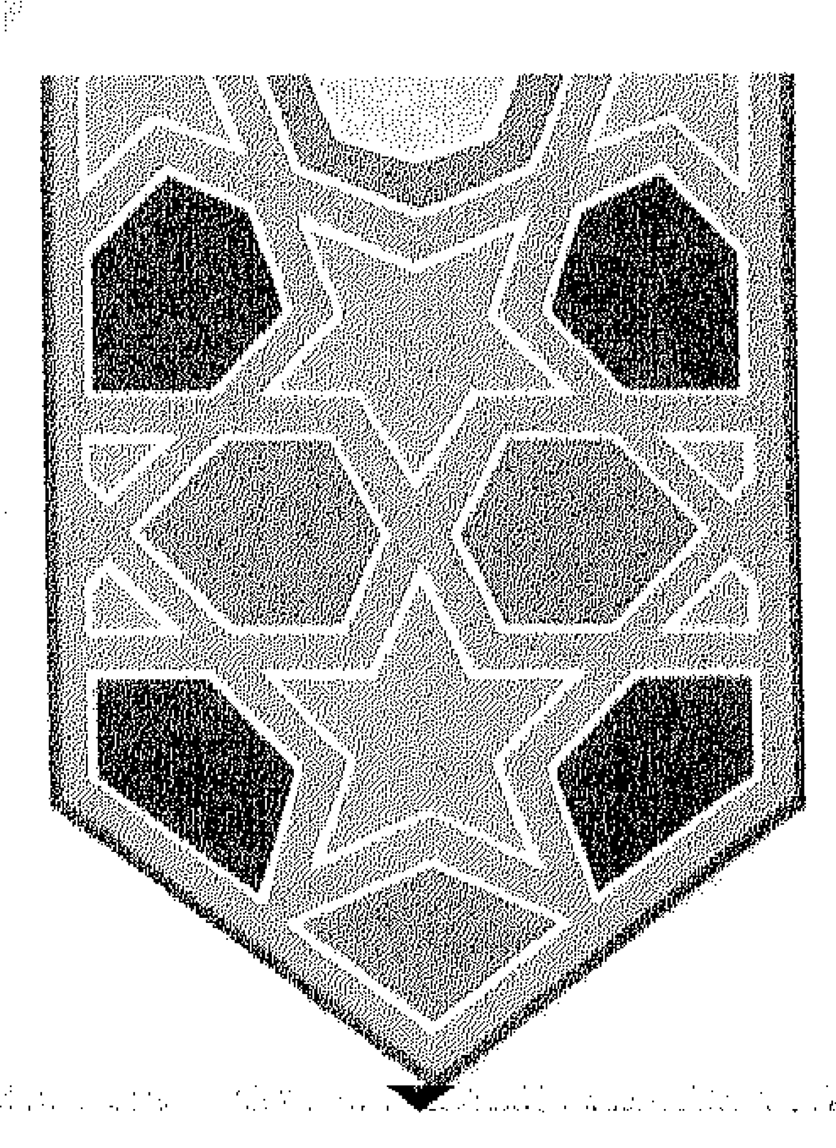


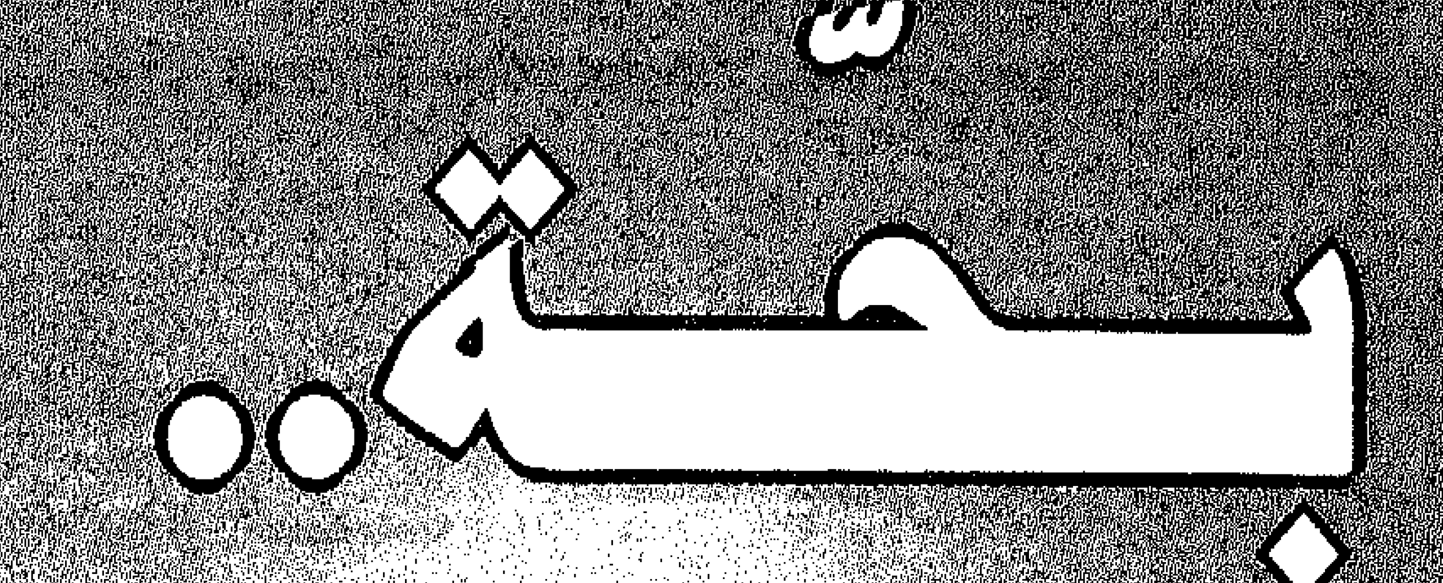
ولكن الأستاذ بريغش آثر أن يظل على ما كان وقف نفسه له من جهود في ميدان الأدب الإسلامي وغيره من ميادين التأليف ، وقد توافر له الوقت إذ كان متفرغاً لذلك ، لولا منغصات المرض الذي كان يزداد يوماً بعد يوم ، ثم استفحل بعد وفاة ولده بحادثة أليمة ، إلى أن كان قضاء الله وانتهاء الأجل والانتقال إلى رحمة الله تعالى .

وهكذا خسر الأدب الإسلامي رائداً من رواده الأوائل ، كان يملك قلماً سيالاً وحساً نقدياً وثقافة واسعة وحرصاً على الأصالة ، وتفانياً في خدمة الدعوة .

وجاء هذا الملف الذي نضعه بين يدي القراء الأعزاء تكريماً تسهم به رابطة الأدب الإسلامي العالمية لأحد المؤسسين لها والعاملين السابقين فيها .

والله نسأل أن يتغمده بعفوه ويظله برحمته كفاء ما قدم لدينه وأمته .





بحّة..

في رثاء محمد حسن بريغش



بقلم: صالح بن علي الأحمر*
سورية

في برهة من الأيام، وتحت أنقاض ظرف ما.. أجد نفسي ملقى على قارعة حنجرتي.. عاجزا حتى عن أداء الدور الطبيعي لحبالي الصوتية.

تتضخم في نفسي المعاني.. تكبر وتكبر وتكبر حتى تتضاءل أمامها أدواتي.. أمسك بتلابيب الأحرف.. أهزها.. أراودها أن تقول (أفعل) مما اعتادت.. ترمقني بيأس.. تطرق.. وتترنح، وتوشك أن تخذلني.. توشك.. ثم.. تخذلني..! فألقيها من يدي، لتتبعثر بين السطور العطشى لكلمة تستحق أن تكتب اليوم!

أعود إلى حبال صوت قلمي/ ألمي.. أدلكها بزيت الوفاء والحُب.. أسألها أن تتماسك أمام طوفان لم أعهده.. فتهتز نبراتها.. تحاول اختراق جدار الصوت، وتختار مفرداتها المبحوحة من أقصى حدود الأصوات الممكنة.. (لو اختارت أبعد من ذلك لما استطعتم سماعها)!

* * *

محمد حسن بريغش..

عفيف تروق الشمس صورة وجهه

ولو نزلت شوقا؛ لحاد إلى الظل!

ذاك هو الأستاذ الكبير محمد حسن بن علي بريغش، الذي آثر أن يعمل ويعمل بينما يتحدث الكثيرون.. اختار الظل في هذه الدنيا، ثم رحل عنها، ونسأل الله تعالى أن يكسوه إياه في الآخرة.

كنت في الحادية عشرة من عمري عندما طرقت بابه وقدمت له (طفل بلا مأوى).. أول قصة كتبتها.. وكنت في الثالثة عشرة من عمري عندما وضعت بين يديه (في الساحة).. أول قصيدة كتبتها.. ومرت السنون وبقي الأستاذ يرعاني حتى قبيل وفاته بأيام.

....

إذا ظننتم أنني أبالغ في الحديث عن أستاذي.. فلعلها إساءة من حيث أردت الإحسان.. فما أنا إلا كشمعة أرادت أن تمدح الشمس فبخستها حقها إذ قاسها الناس بها.. وما أنا إلا أصغر من يحق له الكلام عن الأستاذ أبي حسن.

* * *

ترك أستاذنا محمد حسن أكثر من عشرين كتابا مطبوعا في الدعوة والأدب والتربية.. وقبل حوالي شهر من رحيله - عليه رحمة الله - زاره الأستاذ فهد السنيدي مع فريق من قناة المجد الفضائية، ليستضيفه في برنامج: صفحات من حياتي.. إلا أن تصوير الحلقة توقف بعد أول فاصل، حيث لم يستطع الأستاذ أبو حسن المتابعة بسبب حالته الصحية (كان مصابا بمرض القلب) وأرجئ تصوير الحلقة إلى..

إلى حيث سبق الأجل الأمل، وطويت هذه الصفحة المضيئة لقامة من قامات التربية والأدب والدعوة.

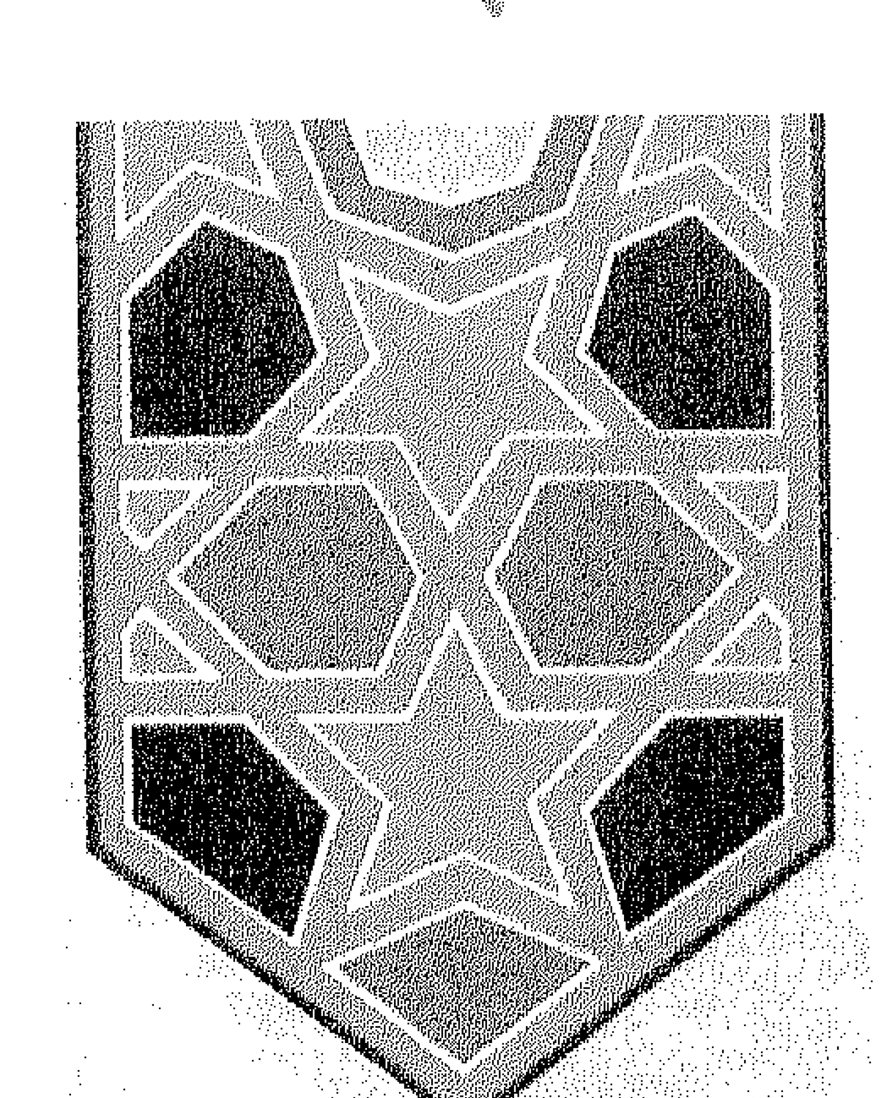
---

* رئيس التحرير العام في شركة (بث) للإعلام، والمجلات التي تصدر عنها وهي: (بث) و(صدى) و (مدى) ، ومشرف برامج المنوعات في قناة المجد الفضائية.



الأديب الداعية محمد حسن بريغش

بقلم: د. فهمي النجار
سورية



كتبت في مذكرتي في صفحة يوم السبت ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ:

- في هذا اليوم توفي الأخ والصديق الوفي أبو الحسن - محمد حسن بريغش..

- في هذا اليوم ودع أهله وأحباءه، راحلا، راجعا إلى الله تعالى، وعلى وجهه ابتسامة الرضى..

- ولقد بلغني أنه قال لأهله.. وهو في طريقه الأخير إلى المشفى التخصصي.. «سامحيني سامحيني.. أشهد أن لا إله إلا الله.. وأن محمدا رسول الله.. وراح يكررها.. هذه آخر كلماته.. ثم دخل في الغيبوبة.. وتوفي في اليوم الثاني.

قبل يومين من وفاته، اتصل بي هاتفيا ليطمئن على عيني، بعد أن أجريت لها عمليتا المياه الزرقاء والبيضاء.. وكانت هذه شيمته يوميا بعد إجراء العملية قبل عشرين يوما.. ويعتذر عن الزيارة بسبب قلبه المكلوم حيث يلتزم البيت لا يغادره.. بعد أن نصحه الأطباء بعدم الحركة.

- أخلاق رفيعة تندر في هذا الزمان.. وهمة عالية لا تقبل الركون إلى الأرض، وأمثال أبي الحسن يقل عددهم، لكن يجل قدرهم.. حتى إذا ماتوا فهم أحياء، فكم من أناس موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأناس أحياء تموت القلوب برؤيتهم..

- لقد عشت معه سنين طويلة، وزاملته في العمل، والتقينا على أسلوب واحد في الحياة.. الصدق والصراحة وعدم المجاملة على حساب الحق.. لقد رأيته لا يرضى لنفسه من كل شيء إلا أحسنه، ولا يرضى من العمل إلا أتقنه، متمثلا بقول رسولنا الكريم ﷺ «إذ عمل أحدكم عملا فليتقنه».. لا يرضى بأنصاف الحلول.. ويرتفع عن سفاسف الأمور.. جدي في السلوك، نشيط في العمل، سباق إلى الخيرات.. ومع ذلك فهو دائما يلوم نفسه ويعد نفسه مقصرا تجاه الدعوة إلى الله.. في زمن تكالبت الأمم على الإسلام، وقصرت الهمم لدى المسلمين، في رد عدوان الظالمين.. وأمام هذا الشعور بالتقصير لا ييأس من روح الله.. ونصره.. ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (يوسف).

من نحت الصخر إلى نحت العقول :

ولعل من يطلع على طبيعة بلدته الجميلة (التل) التي تقبع على تلة عالية بالقرب من دمشق.. والتي ولد فيها عام ١٩٤٢ م، وبيئته الفقيرة التي ولد فيها، وعاش وهو يرى والده ينحت الصخر لإعداده للبناء، في بلده أولا، ثم في غربته في أقطار عربية متعددة ليقيت أود أولاده، وليوفر لهم أسباب الحياة الكريمة.. ومن ثم اضطر ولده محمد حسن للعمل، وهو مازال طالبا، ليعين والده، وليوفر أسباب الحياة لإخوته وأهله..

حين يطلع القارئ الكريم على رحلة الحياة هذه للوالد والولد، وما واكبها من مشقة، يجد الجواب على أسئلة كثيرة حول شخصيته الفكرية والأدبية والاجتماعية والنفسية.. فمن مهنة والده (نحت الصخر) وتقويمه، وصقله ليقيم الأبنية الجميلة، أخذ محمد سلوك نحت السلوك والأفكار في الدعوة إلى الله، والكتابة في مجال الأدب والنقد، وتوليد الأفكار.

وكما كان والده - يرحمه الله - يصر على أن تكون الصخرة التي يعالجها مستوية من جميع الجهات، وناعمة الملمس، لتأخذ مكانها في البناء، كان محمد يسعى دائما وبإصرار على أن يكون من حوله مكتملي الصفات السلوكية والدينية ويعارض كل نقص في الشخصية الإسلامية بخاصة.

ومن قسوة الحياة المادية لعائلته.. أخذ أبو الحسن معنى الصبر الحقيقي والجلد تجاه هذه القسوة.

ومن كلمات والده الفقير.. عرف كيف يفتح أبواب العلم والأدب، وحب المطالعة.. ثم الكتابة والإبداع.

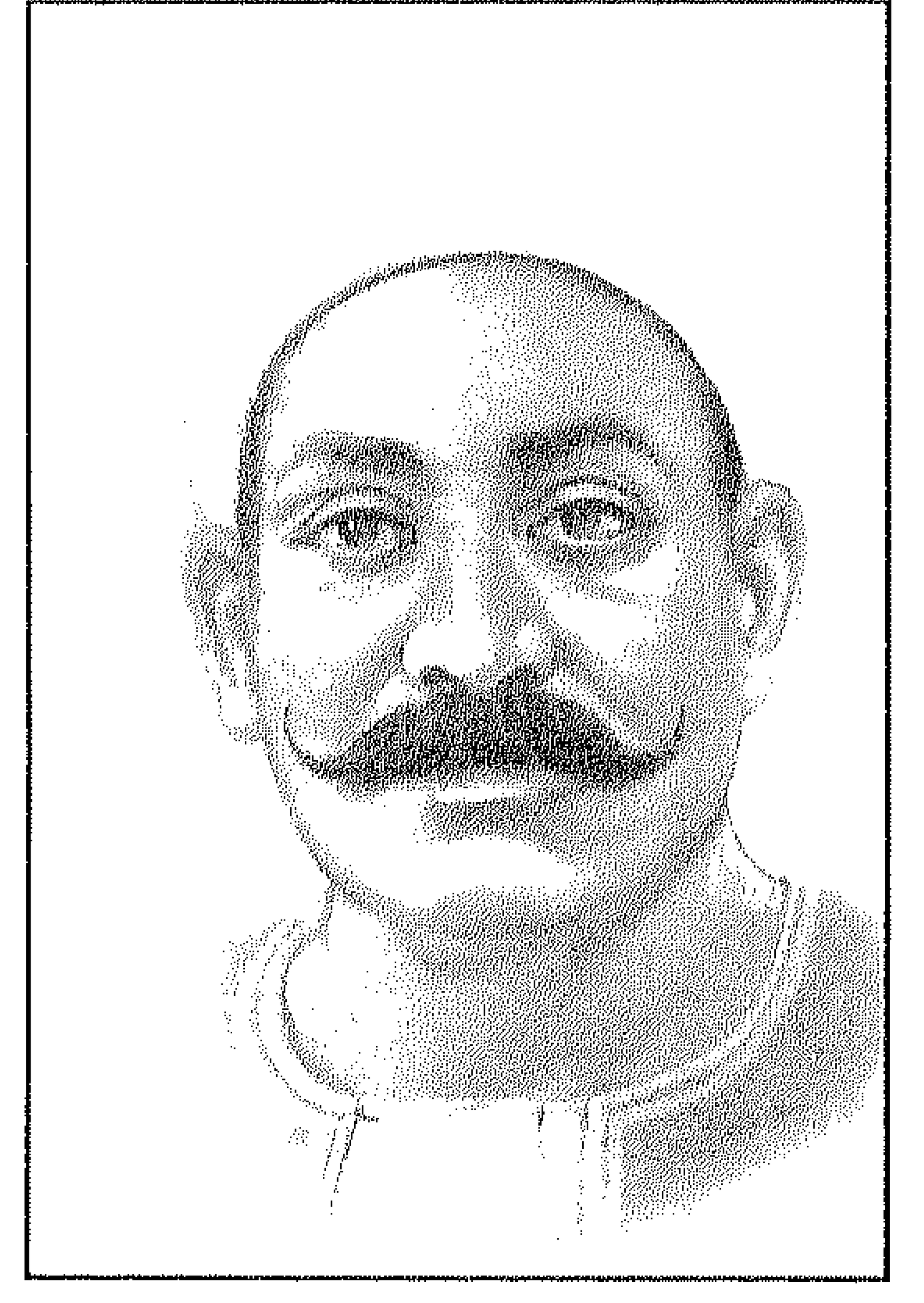
قال له يوما - حسب ما يرويه شخصيا عن مسيرة حياته -:«لا أريد جمع الثروة أو امتلاك العقارات، ويكفيني من الثروة حصولكم على التعليم، وإذا رأيت أحدكم يقف يخطب في الناس، ثم سقط ميتا، أكون راضيا» [1].

من هذه الكلمات العظيمة الواعية والتي تحمل كثيرا من المسؤولية والأمانة تجاه الأبناء، تعلم أبو الحسن، حب العلم، وحب التضحية في سبيل المبدأ الذي يؤمن به، واعترافا بالجميل، كانت أول كلماته في إهداء أول كتاب ينشر له:«والدي ! لقد فتحت عيني على الحياة، لأراك تنقش على الصخر، وتعارك الجبال، وتذوق مرارة الحياة لكي تشعل ضوءا في كوخ مظلم، لقد عز عليك أن تنال ما طمحت إليه، فقصدت بعناد أن تقهر الجهد وتمزق قلب الصعاب، وتصارع الفقر لكي تنيلني مع إخوتي هذا النور الذي عز عليك مناله.. أبي.. ! إليك أقدم هذه الباكورة، هذا العمل المتواضع، علك أن تجد فيه شيئا من زهورك التي أنبتها في قلب الصخر، وسقيتها دما ودمعا وعرقا.. إليك وأنت في صبرك وجلدك.. أقدم هذا الكتاب إكبارا لإخلاصك ووفاء لوفائك، وكلمة عرفان لأبوتك.. من ابنك» [2].



الكتابات الأولى في الأدب والفكر

وانطلق بعد ذلك أبو الحسن في طريق العمل والمعرفة.. بدأ مطالعاته في السنة الخامسة الابتدائية، وركز في مرحلته الدراسية المتوسطة والثانوية على الكتب الأدبية والفكرية.. قرأ كتب العقاد وتأثر كثيرا بكتاباته.. حتى إنه ألقى محاضرة عنه في المركز الثقافي في التل بعنوان «العقاد رائد فكر وأدب»، وهو ما زال طالبا في آخر المرحلة الثانوية.



المنفلوطي

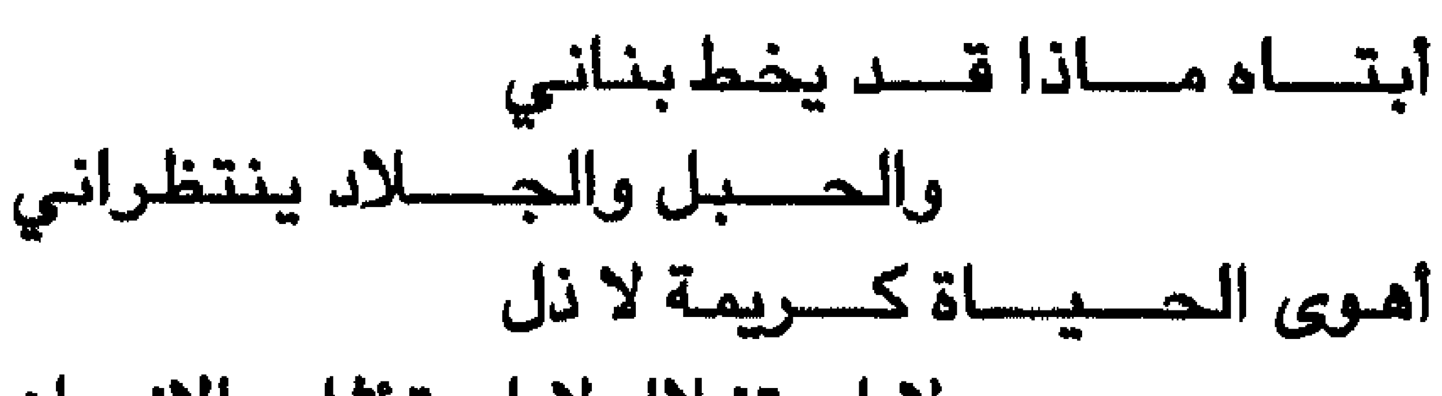
كذلك قرأ للرافعي والمازني وسيد قطب والمنفلوطي وتأثر بأساليبهم.. هذه المطالعات في الكتب الأدبية والفكرية.. دفعته إلى حب الكتابة في وقت مبكر من مسيرته الفكرية والثقافية.. فكتب عن أبي القاسم الشابي الشاعر، الذي اشتهر بقصيدته

التي يستنهض بها أمته للوقوف في وجه الاستعمار والتي مطلعها:

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

وتحدث عنه في محاضرة ألقاها في المركز الثقافي في التل وهو في العشرين من عمره..

أما الشاعر الذي اهتم به أبو الحسن كثيرا فهو شاعر الشباب الإسلامي هاشم الرفاعي.. وقصيدته الشهيرة «رسالة في ليلة التنفيذ» كانت على كل لسان لدى شباب الحركة الإسلامية والتي مطلعها:



أبتاه ماذا قد يخط بناني
والحبل والجلاد ينتظراني
أهوى الحياة كريمة لا ذل
لا استغلال لا استئثار بالإنسان
فإذا سقطت أحمل عزتي
يغلي دم الأحرار في شرياني[٣]

اهتم أبو الحسن بالشاعر الشاب هاشم الرفاعي وهو ما زال في أول دراسته الجامعية.. وألقى عنه محاضرة في المركز الثقافي في التل.. وشعر أن هذه المحاضرة لا توفي الشاعر حقه من الدراسة، فكتب عنه مقالين في مجلة حضارة الإسلام، الأول بعنوان: (هاشم الرفاعي – حياته، نشر في العدد رقم ٢ عام ١٩٦٩ م) والثاني بعنوان:(هاشم الرفاعي – شعر الطبيعة، نشر في العدد رقم ٥، ٦ عام ١٩٦٩ م)... وبعد جهد كبير من قبل أبي الحسن وسفره للقاهرة والاتصال بأهل الشاعر الذي قتل عام ١٩٥٩ م على يد مبغضيه من الشيوعيين أو غيرهم من الطواغيت، استطاع أبو الحسن جمع شعره ونشره بعد سنوات بعنوان (ديوان هاشم الرفاعي – الأعمال الكاملة) (عام ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠ م)[٤].

وأصبحت الكتابة هاجسا لدى أبي الحسن لا تغادر شخصيته الفاعلة المنفعلة بما يدور حوله من



أحداث.. يقول في إحدى مذكراته:«من الذكريات التي لا أنساها، أنه في إحدى الأمسيات صعدت إلى السيارة التي تنقل الركاب من دمشق إلى التل (حيث يقيم)، وجلست في أحد المقاعد بانتظار انطلاقها نحو البلدة، وكانت الظلمة تغشى المكان.. وليس في السيارة إلا عدد قليل من الركاب.. فإذا بالأفكار والخواطر تعج في داخلي.. أجلس في المقعد، وحولي بعض الركاب وكأنني في عالم آخر.. وأحسست بالرغبة في الكتابة، فأخرجت ورقة وقلما، وبدأت أكتب ما دار في نفسي، وملأت صفحة كاملة، كنت أكتب ولا أتبين السطور من شدة الظلمة داخل السيارة، ولما انتهيت كانت السيارة قد بدأت بالسير، فطويت الورقة، ولما وصلت السيارة إلى البلدة أسرعت إلى البيت وفتحت الورقة، وأعدت نسخها قبل أن تضيع مني لعجزي عن قراءة ما كتبت في الظلام، ثم أرسلت هذه السطور في اليوم التالي إلى إحدى الصحف اليومية في دمشق، وفوجئت بعد يومين بنشرها في الجريدة، وكم كانت فرحتي عندما تلقيت التهنئة من بعض الزملاء والأصدقاء» [٥].

واستمر أبو الحسن يكتب.. وهو ما زال في المرحلة الجامعية.. فكتب ثلاث حلقات في الجريدة نفسها التي نشرت له أول مرة، عن الكاتب الجزائري مالك بن نبي وكتابه في مجال الحضارة «شروط النهضة» وما فيه من أفكار مهمة..

يشاء الله أن يزور مالك بن نبي سورية.. ويزور بلدة التل، ويلتقي بالشاب الكاتب محمد حسن ويخاطبه قائلا:«إن كتاب «شروط النهضة» كتب عنه الكثيرون، في القاهرة وبيروت وغيرهما.. وتناوله عدد من الكتاب.. وهذا الذي كتبته أفضل ما كتب عن الكتاب، لأنه عرضه بشكل صحيح» [٦]. هذه الكلمات كانت كافية

لتملأ نفس أبي الحسن بالثقة وتزرع لديه الأمل والاستمرار في الكتابة الملتزمة الهادفة..

وقد يستغرب القارئ الكريم كيف أن كاتبا شابا مثل أبي الحسن استطاع أن يفهم كتابات مالك بن نبي الحضارية التي تستعصي أحيانا على كثير من المثقفين، مما يدل على نضجه الفكري المبكر، وثقافته التي اكتسبها من مطالعاته الكثيرة التي بدأت منذ دراسته الابتدائية..


مالك بن نبي

بداية الكتابة الجادة الهادفة :

ومن باكورة مؤلفاته في سن العشرين **«مصعب ابن عمير – الداعية المجاهد»** كتبه لشباب الحركة الإسلامية الذين يعانون من قسوة الظروف، يقول في مقدمة الطبعة الثانية للكتاب:«أردت أن تكون حياة مصعب بن عمير أنموذجا حيا واضحا للشباب المسلم في كل مكان، ليروا مثالا من خلال مجتمع يعيش بعقيدته، ويتلقى من الحياة، فيظفر بالرضوان والشهادة» (٧).

وقد قال لي مرة: عندما كنت في المغرب – في إحدى ندوات رابطة الأدب الإسلامي.. سمعت كثيرا من رجال الحركة الإسلامية هناك أنهم تربوا على كتاب (مصعب بن عمير) كمثال للتضحية والفداء لدى المسلم.

وفي هذه السن أيضا قدم لنا كتيبه الصغير **«أبو بصير – قمة في العزة الإسلامية»** هادفا إلى أن يكون هذا الصحابي الجليل المجاهد الذي واجه موقفا محرجا بعد صلح الحديبية فخرج إلى الصحراء يقطع طريق قوافل المشركين من أهل مكة، وانضم إليه كثير من المستضعفين. ليكون هذا الصحابي أنموذجا.. «حتى لا ييأس مؤمن بعد محنة، ولا يقعد مسلم أمام عثرة، فالله وحده كفيل بنصر عباده الصادقين، وبقدر هذا الصدق في العمل والعطاء تكون الثمرة والنتيجة» (٨).

أبو الحسن المعلم والمربي

وينال الأديب الشاب محمد حسن بريغش شهادة الإجازة باللغة العربية عام ١٩٦٦ م، والدبلوم العامة في التربية عام ١٩٦٨ م.

عمل في التعليم الابتدائي لمدة قصيرة، ثم مدرسا للغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية في سورية.

ثم تعاقد مع المملكة العربية السعودية مدرسا للغة العربية في مدارس الرياض عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م. وانتقل بعد ذلك إلى الرئاسة العامة لتعليم البنات في مجال المناهج بقسم التطوير التربوي، وبقي في هذا القسم حتى عام ١٤٢٠ هـ، ولقد كان له أثر كبير في تطوير مناهج اللغة العربية في الرئاسة، وألف عددا من الكتب اللغوية ومن آثاره المهمة في الرئاسة موسوعته الكبيرة عن **«تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام»** ومشاركته في تأليف عدد من الكتب الدراسية ومن أهم هذه الكتب (٩):

١ – كتاب المرشد في الإملاء لمعلمات المرحلة الابتدائية.
٢ – كتاب القراءة والكتابة للسنة الأولى لمرحلة مكافحة الأمية وتعليم الكبيرات.
٣ – كتاب القراءة والكتابة للسنة الأولى لمرحلة مكافحة الأمية وتعليم الكبيرات (مرشد المعلمة).
٤ و ٥ – كتاب (القراءة والمحفوظات لدارسات السنة الثانية في مكافحة الأمية وتعليم الكبيرات (للطالبة) وآخر (المرشد المعلمة).
٦ و ٧ – كتاب القواعد للسنة الثالثة من مكافحة الأمية (للطالبة) وآخر للمعلمة).

اهتمامه بالمرأة المسلمة :

وهكذا كان أبو الحسن أثناء عمله في رئاسة تعليم البنات، مثال المسلم الإيجابي المؤثر الداعية

الذي يؤدي واجبه بإتقان وإخلاص، وهو في اهتمامه بالمرأة المسلمة والطالبة يسعى إلى تربية المرأة لتكون أما صالحة متعلمة.

وكان مما قدمه إليهن في هذه المرحلة كتبه المتألقة دائما :

١ – **المرأة المسلمة الداعية (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م).**

٢ – **أسماء ذات النطاقين (جزأين) (١٤٠٢ هـ / ١٩٨١م).**

٣ – **نسيبة بنت كعب الأنصارية (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م).**

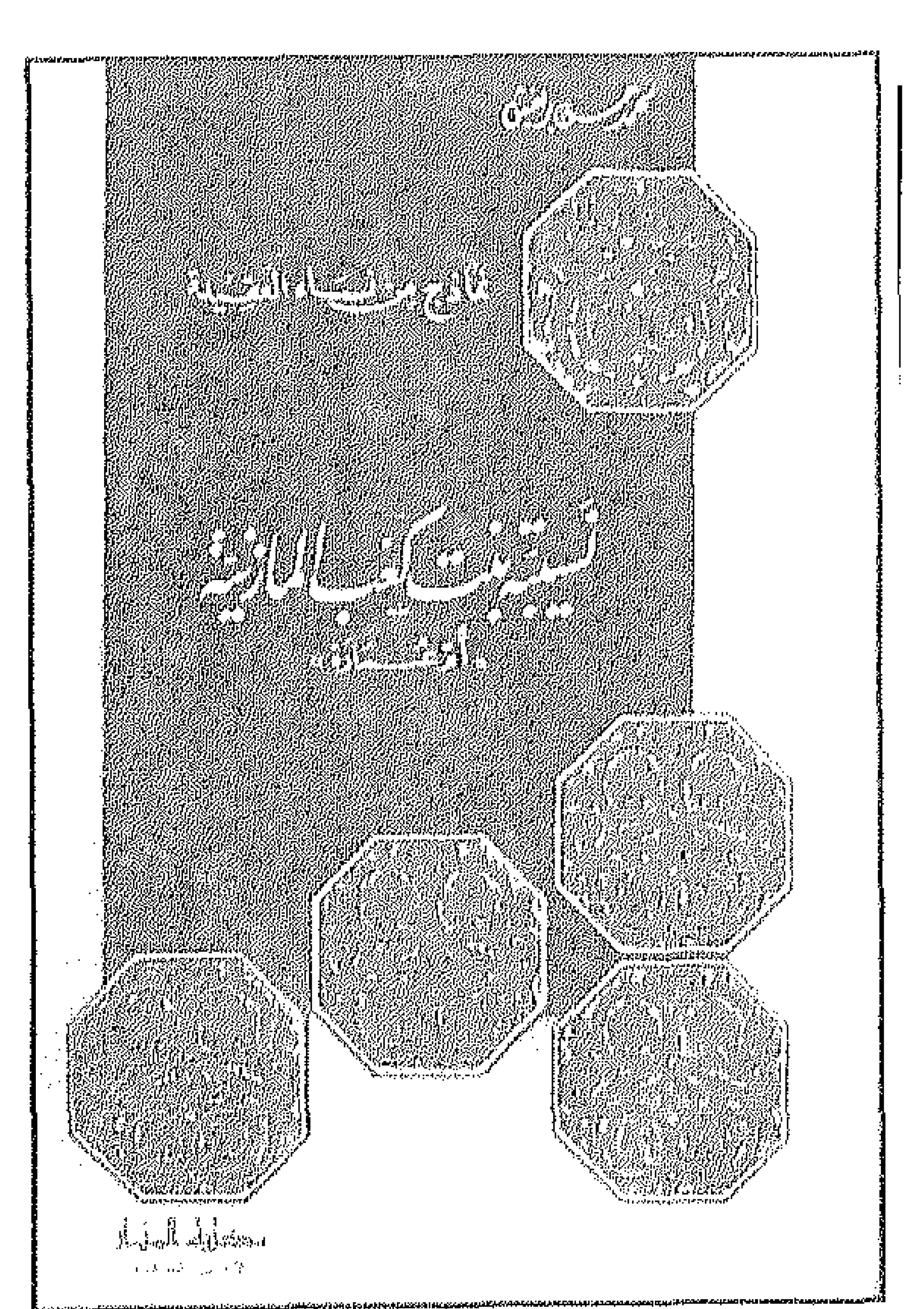
٤ – **المرأة الداعية والأسرة المسلمة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م).**

٥ – **حاضنة رسول الله ﷺ – بركة بنت ثعلبة – أم أيمن (١٤١٨هـ – ١٩٩٨ م).**

أبو الحسن الأديب والناقد

أما اهتمام الأديب الشاب محمد حسن بريغش بالنقد الأدبي، فكان في الثلاثين من عمره عندما بدأ بالكتابة عن بعض الأدباء أمثال: الشاعر محمد منلا غزيل، والقصاص الدكتور نجيب الكيلاني، والشاعر محمد الحسناوي، والشاعر أبو عاصم القاري، والقصاص إبراهيم عاصي، والكاتبة حنان لحام، والقصاص محمد السيد، والشاعر مأمون جرار وغيرهم. وقد نشرت بعض هذه الكتابات في كتابه الأول عن الأدب الإسلامي **«في الأدب الإسلامي المعاصر – دراسة وتطبيق» عام ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ونشرت الكتابات الأخرى في كتابه «دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة»**[١٠].

ويتحدث أبو الحسن عن ريادته في الكتابة عن الأدب الإسلامي بقوله:«ولعلي كنت من أوائل من كتب عن الأدب الإسلامي، ونشر عنه في المجلات ابتداء من العقد السادس من القرن العشرين، ولذلك فوجئ الدكتور نجيب الكيلاني بكتاباتي المبكرة عنه، ولذلك اختار موضوعين لي وضمهما في كتابه «رحلتي مع



الأدب الإسلامي» وهما «عمر يظهر في القدس» دراسة. و «مع روايات إسلامية معاصرة»[١١].

وكذلك يعد كتابه **«الأدب الإسلامي:أصوله وسماته»** من الكتب المهمة التي وضعت المعالم الأولى للأدب الإسلامي، و،عندما بدأت فكرة إنشاء رابطة الأدب الإسلامي كان أبو الحسن من المسهمين الأوائل في إنشاء الرابطة مع الإمام الراحل الشيخ أبي الحسن الندوي – يرحمه الله –، والدكتور عبدالقدوس أبو صالح وغيرهم من مؤسسي رابطة الأدب الإسلامي. وبقي أمين سر الرابطة حتى ترعرعت، ومدت جذورها وأفنانها في العالم العربي والإسلامي، من الهند إلى المغرب العربي.

أدب الأطفال والتربية

ولم يكتف أبو الحسن بأدب الكبار ونقده، بل تعداه إلى أدب الطفولة، وما كتب للأطفال من قصص ومسرحيات، فأخرج كتابه التربوي الأدبي **«أدب الأطفال – تربية ومسؤولية»** بين فيه أن الأدب الإسلامي عنصر هام، ووسيلة أساسية لتربية الطفل المسلم، وبناء شخصيته، واستنبات نوازع الخير لديه. . وهو بهذا يسهم بشكل فاعل «في إعداد الطفل المسلم وتربيته على أسس قويمة وفق منهج سليم مستفيدا من الخصائص الأساسية للأدب، وواعيا العناصر الضرورية للتربية» [١٢].

أما الصحوة الإسلامية المباركة التي امتدت على مساحة الوطن الإسلامي كله والتي اهتم بها كثير من رواد الدعوة الإسلامية أمثال الندوي والقرضاوي والغزالي ومحمد قطب، وكتب الكثير عنها.. إرشادا وتوجيها وتسديدا حتى تؤتي ثمارها في استيقاظ الأمة الإسلامية من سباتها الطويل.

هذه الصحوة أسهم محمد حسن بريغش في التنظير لها.. تربويا، وبيان أهمية التربية الإسلامية وأثرها في مستقبل هذه الصحوة.. فكان كتابه **«الصحوة الإسلامية.. وآفاق التربية»** [١٣]. وليس هو الكتاب الوحيد الذي ألفه في مجال التربية بل أضاف إليه كتبه: **«التربية ومستقبل الأمة، ونحو منهج تربوي أصيل، وقبسات تربوية من الكتاب والسنة (تحت الطبع)».**

كتابة القصة آخر الاهتمامات

وكان من آخر اهتمامات أبي الحسن - يرحمه الله- كتابة القصة.. وفي مجموعته القصصية **«الشيخ والزعيم»** [١٤] كانت قصة «همام وطبيب القلب» ترجمة دقيقة لحياته مع المرض الذي بدأ يعاني منه في منتصف الخمسينات من عمره.. حيث بدأت الأزمات القلبية تلاحقه، وكان اختياره لاسم «همام» ليعبر عن شخصيته قد أخذه من حديث الرسول الأعظم ﷺ «أصدق الأسماء الحارث وهمام»[١٥].

والهمام:فعال من الهم، والهم أول الإرادة، كما يراه ابن تيمية، ولولاه لماتت الإرادة في الإنسان [١٦].

وهكذا.. كان أبو الحسن مثالا للهمة والحركة الفاعلة في الحياة، في كل أمور حياته.. لا يكل ولا يمل من العمل والعطاء.. وفي قصته المذكورة آنفا يقول على لسان طبيب القلب معبرا عن الهمة الدائمة لديه «ولعلنا نتعلم من هذه العضلة الصبورة - أي القلب - أشياء كثيرة: إنها لا تكل عن العمل والعطاء، ولا تتوقف عن القيام بواجبها وإمداد كل أعضاء الجسم بالغذاء والطاقة، قد يتكاسل هذا العضو أو ذاك، قد يصاب بالتوقف أو العجز، ولكن كل هذا لا يمنع القلب عن مواصلة العمل والعطاء أثناء يقظة صاحبه أو نومه.. دأب عجيب وإصرار على العمل والبذل بسخاء أعجب [١٧]».

ولكن قلب أبي الحسن الذي كان يعمل دون كلل أو ملل، أخذ الوهن يصيبه.. وزاده ضعفا ما يعانيه أبو الحسن من حساسية مفرطة، وانفعال تجاه ما يصيب الأمة الإسلامية من نكبات.

لكن إيمانه بربه زاده قوة وصلابة.. وهذا ما عبر عنه في نهاية قصة همام.. قائلا:«إن الإسلام سينتصر أخيرا بإذن الله، وما علينا إلا التمسك بالقيم والصبر والثبات، ولن يكون ذلك إلا بالطمأنينة إلى وعد الله، والعمل بهدوء وثقة ويقين ومصابرة...» [١٨].

وزاد الوهن في قلب أديبنا المؤمن أبي الحسن، ولم تعد تفيده الآلات المساعدة له.. ولا الأدوية، والأطباء المعالجون - لأن قدر الله هو الغالب.. ولا راد لقضائه، رحمه الله وأدخله فسيح جناته. ■

الهوامش

(١) انظر موقع رابطة أدباء الشام على الإنترنت، وقفات وذكريات بقلمه.
(٢) انظر إهداء أبي الحسن لأبيه في كتابه «مصعب بن عمير - الداعية المجاهد»، نشر دا ر القلم، دمشق، ط٤، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م (أول طبعاته كان عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م.
(٣) انظر:ديوان هاشم الرفاعي - الأعمال الكاملة - جمع وتحقيق محمد حسن بريغش، مكتبة الحرمين، الرياض، ط ١، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
(٤) المرجع السابق، ص ٤.
(٥) انظر الهامش رقم (١).
(٦) المرجع السابق.
(٧) انظر مقدمة كتاب «مصعب بن عمير»، ص٩.
(٨) انظر مقدمة كتاب «أبو بصير - قمة في العزة الإسلامية»، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م.
(٩) انظر كتاب:المرأة الداعية والأسرة المسلمة، محمد حسن بريغش، ص ١٨٢، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
(١٠) كتابه «في الأدب الإسلامي المعاصر» نشر مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، و«دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة»، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
(١١) انظر «دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة»، ص ٦.
(١٢) انظر «أدب الأطفال - تربية ومسؤولية»، ص ٥، دار الوفاء - المنصورة، مصر، ط ١، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
(١٣) نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م.
(١٤) نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
(١٥) رواه أبو داود والنسائي.
(١٦) انظر كتاب العبودية - لابن تيمية - تقديم الأستاذ عبدالرحمن الباني، ص١١٢.
(١٧) انظر قصة:الشيخ والزعيم، القصة الأولى في المجموعة:همام وطبيب القلب.
(١٨) المرجع السابق، ص ٤٠.

ملف خاص

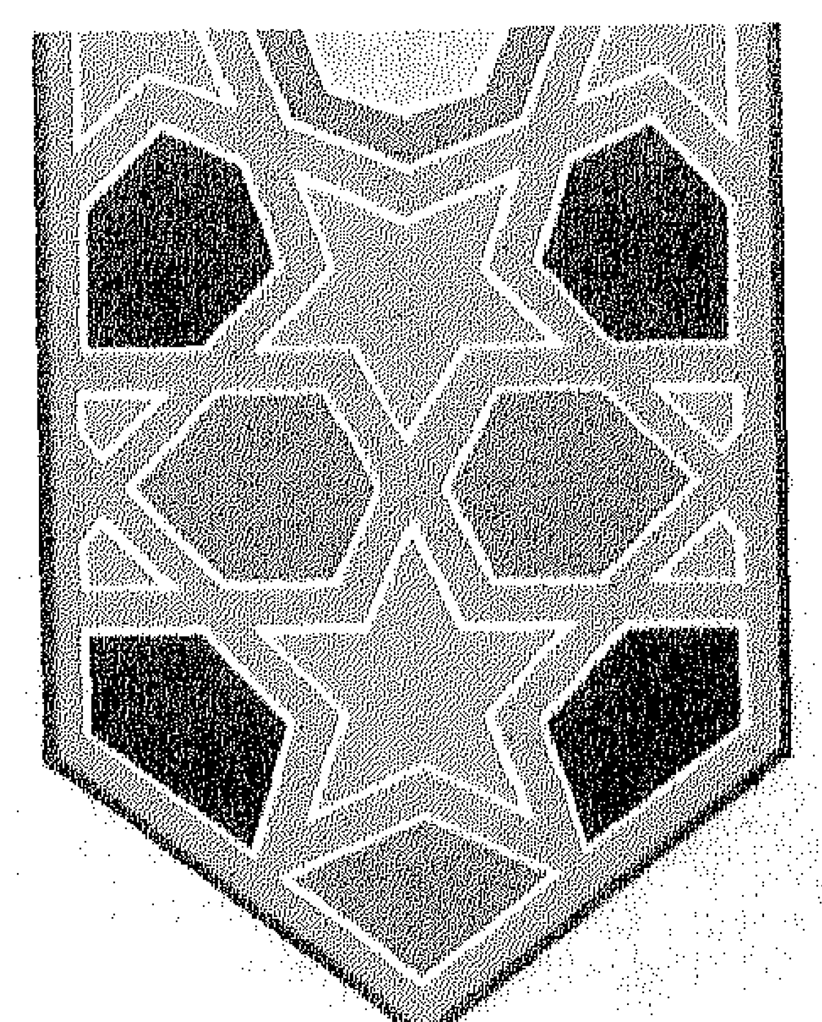
رؤية محمد حسن بريغش النقدية للقصة الإسلامية

محمد حسن بريغش - رحمه الله - حس إسلامي متميز جعله يقدم كثيرا من التناولات النقدية في الشعر والقصة وأدب الأطفال، في ضوء التصور الإسلامي، وقد كشف عن وجهة نظر واضحة في هذا المجال، ترفدها قراءات عديدة في فنون الأدب المختلفة، نصوصا ونماذج، بينما كان اتصاله بنظريات الأدب ومناهجه النقدية بحاجة إلى المزيد الذي لم تسمح له به حياته القصيرة .



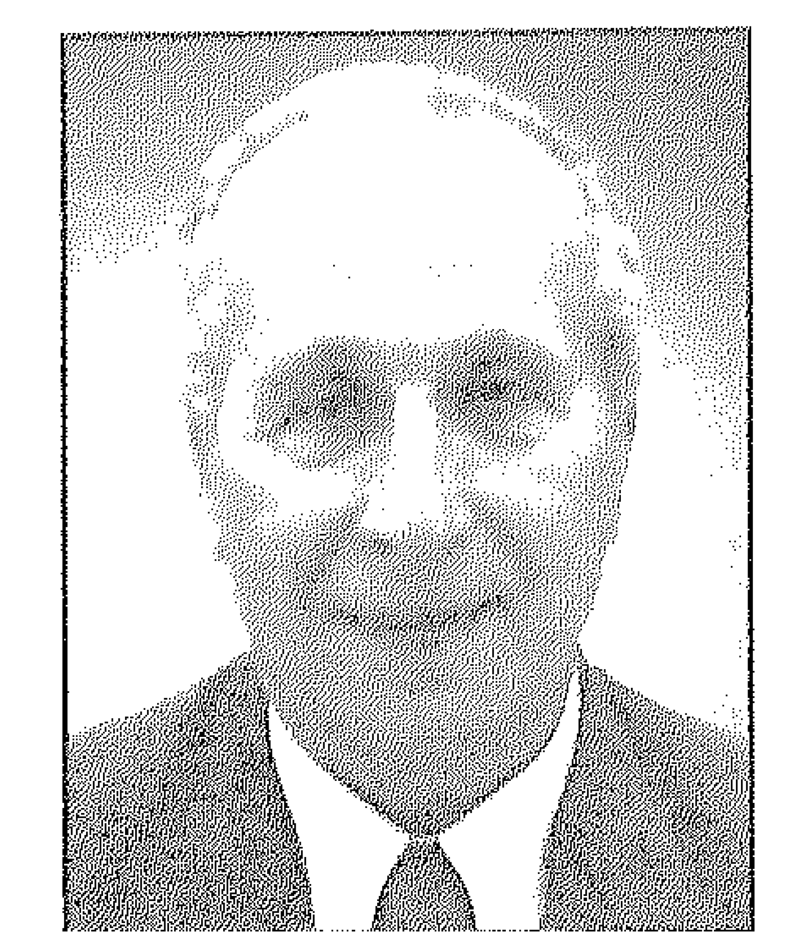
وسأشير إلى بعض جهوده في مجال نقد القصة والرواية والقصة القصيرة) من خلال كتابيه : « **في القصة الإسلامية المعاصرة » ١٩٩٢م و« دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة » ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م،** اللذين يتجلى فيهما جهد قرائي نقدي طيب، فقد عرض فيهما لإحدى عشرة رواية، وثلاث مجموعات قصصية، وأكثر من نصف هذه الروايات والمجموعات لنجيب الكيلاني، كما تناول في هذين الكتابين بعض الدراسات النقدية التي دارت حول الرواية، بالإضافة إلى دراسة حول كتاب الدكتور نجيب الكيلاني « حول المسرح الإسلامي » .

وهذان الكتابان برغم أنهما صدرا في تاريخين مختلفين، لكن المدى الزمني بينهما لا يتجاوز العامين، مما يجعلنا نعتبر ثانيهما امتدادا لأولهما فكريا، والموضوع واحد، فهو محاولة لقراءة عدد من الروايات المعاصرة والمجموعات القصصية ذات التوجه الإسلامي، والكاتب يبتغي التأصيل للقصة الإسلامية من وراء هذه المحاولة، وإن لم يتضح جيدا ما يمثل ذلك لديه، حتى إن اتخاذ عنوان أساسي للكتابين « نحو أدب إسلامي »، يمكن أن يعد كاشفا عن هذه المحاولة تتغياه، فما تزال الأصول والأسس للقصة الإسلامية بحاجة إلى جهود للكشف عنها، وبلورتها، وتقديمها للقراء والمهتمين بالأدب الإسلامي ومريديه، للإسهام في تشكيل نظرية الأدب الإسلامي بصفة عامة، كما أن عنواني الكتابين لا يكشفان عن فارق بينهما في طريقة العرض والمعالجة، بالإضافة إلى أن مادة الكتابين تؤيد ذلك.



منهج بريغش النقدي

وليس هناك منهج واضح محدد ينتهجه الأستاذ محمد حسن بريغش في تناوله للأعمال القصصية، وإنما هي ملاحظات على الجوانب الفكرية، ومدى موافقتها للتصور الإسلامي [1]، وذلك مما أشرت إليه في بداية هذه الدراسة فيما يتصل بالحس الإسلامي المتميز للأستاذ محمد حسن بريغش، فهو يقوم بتلخيص العمل القصصي، ويناقش بعض القضايا المضمونية خلال ذلك، ثم في النهاية يبدي وجهة نظر مختصرة في نهاية التلخيص تتعلق بالنواحي الفنية وهي في الحقيقة لم تنل من اهتمامه إلا أقل القليل، الذي لم يظهر إلا في ذكر بعض المصطلحات الفنية، التي لم ترتبط لديه بتحليل يكشف عنها [2] .



بقلم : د سعد أبو الرضا

وبرغم أهمية هذا التوجه الفكري نحو المضمون، لكن الاهتمام بإبراز الجوانب الفنية في المعالجات النقدية لا يقل عنه أهمية، لأن الأعمال القصصية تجل فني لهذه الجوانب الفكرية، كما تكشف عن قدرة المبدع في هذا المجال . ليأتي الناقد الأدبي فيبرز كيفية جلاء الوسائل التعبيرية الفنية لهذا الفكر، من هنا فإن الاقتصار على أحد هذين الجانبين، أو عدم موازنة الناقد بينهما في الكشف عنهما خلال تفسيره للعمل الأدبي ملمح يمكن أن يمس جوهر العملية النقدية نفسها .

موقفه من النقد عند الآخرين

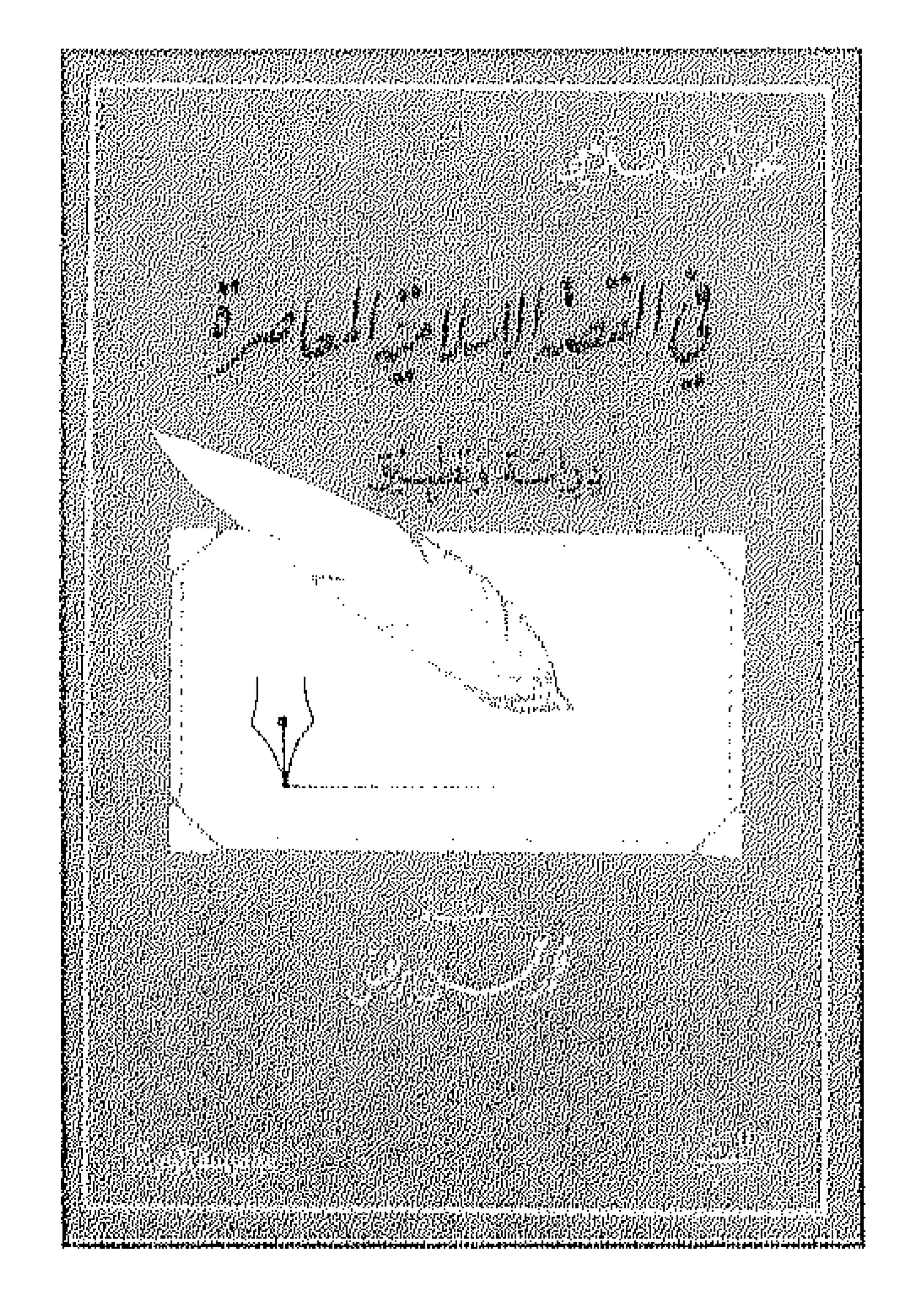
ويتصل بما سبق موقف محمد حسن بريغش من النقد الغربي بصفة عامة، فهو يجعله في مقابل الاستفادة من القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي، لذلك فهو ربما يستبعد تأثر الأدب الإسلامي بهذا النقد الأجنبي وأسسه الفنية، بل يرى أن أعداء هذا الأدب الإسلامي يضغطون على الأدباء الإسلاميين بالتقليل من قيمة أعمالهم الأدبية في ضوء قيم النقد الغربي الذي لا تتفق نصوصهم الأدبية مع شروطه الفنية، وقواعده « التي ترجمها العلمانيون العرب ليحاكموا بها أدبنا، ويصنفوا على أساسها نصوص هذا التراث الأدبي العظيم »[3] .

لكنني أعتقد أن هذه القضية يجب أن ينظر إليها بتصور آخر، فالنقد الأدبي علم من العلوم الإنسانية، وهو لا يتشكل إلا بالجهود الإنسانية الفنية في مختلف الآداب والفنون، وإن أي نقد أدبي في أي مكان لا يمكن أن يعيش بمعزل عن غيره، بل لا ينمو إلا باتصاله بغيره من نظريات النقد وفنون الأدب في أي مكان من العالم، وباتصاله بغيره من العلوم الإنسانية، بذلك يتكامل صرح النقد الأدبي بالنسبة لأي منهج أو فن أو لغة أو وطن، وهذا الاتصال بين النقد الأدبي لدينا وبين ما عند الآخرين في هذا المجال دليل حياة وتقدم ونمو في الوقت نفسه .

بل إن نظرية الأدب الإسلامي لن تتشكل إلا في ضوء التصور السابق، وتفاعل ما لدينا من أسس وأصول نقدية قديمة وحديثة مع مالدى الآخرين من أصول وأسس ومعارف، بشرط ألا يخالف ناتج التفاعل شرعا، أو يتجاوز قيمة إسلامية .

يضاف إلى ما سبق أننا بحاجة إلى دراسات مستفيضة تكشف عن القصة في القرآن الكريم والحديث الشريف تحليلا ودرسا، لتقدم من الأسس ما يشكل أصول القصة الإسلامية، على أن تتآزر وتتواصل هذه الجهود مع ما تقدمه المتغيرات والمناهج النقدية المختلفة، وكل ذلك في ضوء التصور الإسلامي .

من هنا لا تصبح الشروط والقواعد النقدية الغربية هي الأساس، وإنما هي عامل من العوامل التي تتآزر مع ما لدينا للإعلاء من القيمة الفنية للقصة الإسلامية، ولذلك وجدنا محمد حسن بريغش في مكان آخر يدعو إلى الاستفادة مما عند الغرب من أسس في هذا المجال، وهي دعوة تبدو على استحياء في كتابه الثاني [4]، عندما يرى «أن نأخذ من وسائلهم ما يناسبنا ويوافق معتقداتنا » .



أقول ذلك برغم أن هناك كتابات متعددة في هذا المجال منها : « القصة في الحديث النبوي الشريف » للدكتور

محمد حسن الزير، و« خصائص القصة الإسلامية » للدكتور مأمون فريز جرار .

إسلامية القصة:

وقد تجلى في كتابي الأستاذ محمد حسن بريغش اللذين أشرت إليهما في مطالع هذه الدراسة حرصه على التصور الإسلامي في هذا المجال فكرا وأدوات، كما وضحت حماسته نحو هذا التوجه، لكن التمهيد لكتابه الثاني : «دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة »، الذي شغل أكثر من ثلاثين صفحة، وتحدث فيه عن ملامح وشروط القصة الإسلامية، وآفاقها، وموضوعاتها، وواقعها، وسلبياتها، وإطارها الفني، لم يتضح فيه ما كنا نبتغيه من تقديم تصور للأدوات والوسائل التعبيرية التي يمكن أن نعدها لصيقة بالتصور الإسلامي للقصة، وكاشفة عنه، بل إن الصلة قد تبدو منفكة بين هذا التمهيد وما تلاه من دراسات في الكتاب نفسه عن الروايات والقصص التي تناولتها هذه الدراسات، اللهم إلا حماسته للتصور الإسلامي في مجال المضمون، واهتمامه به على حساب قلة الاهتمام، بالشكل الذي جاء على استحياء كما أشرت سابقا، والاهتمام بالمضمون شيء طيب، لكنه لا يكفي في مجال النقد الأدبي الكاشف عن قيمة العمل الفني .

من ثم فقد عرض محمد حسن بريغش لكثير من القضايا والمشكلات التي عالجتها هذه الروايات، وعلى سبيل المثال : ففي تناوله لرواية «الطريق الطويل » لنجيب الكيلاني، أشار بريغش إلى مشكلات الوطن عامة التي حاول الكيلاني أن يربط بينها وبين مشكلات الريف في مصر، وقد تمثل ذلك في سيطرة المستعمر واستغلاله لموارد مصر، وهيمنته على شؤون الحكم فيها، وخلال ذلك يصور تململ الشعب، وظهور الجيل الجديد الذي يقاوم بالمظاهرات، والاضطرابات، ثم تصدي الفدائيين للمستعمر، كما يشير إلى كشف الكيلاني عن قضية فلسطين، خلال المشكلات التي كانت تدور على ألسنة الناس، وهكذا يتجلى كثير من الجوانب السياسية والاجتماعية المقترنة ببعض اللمسات العاطفية .

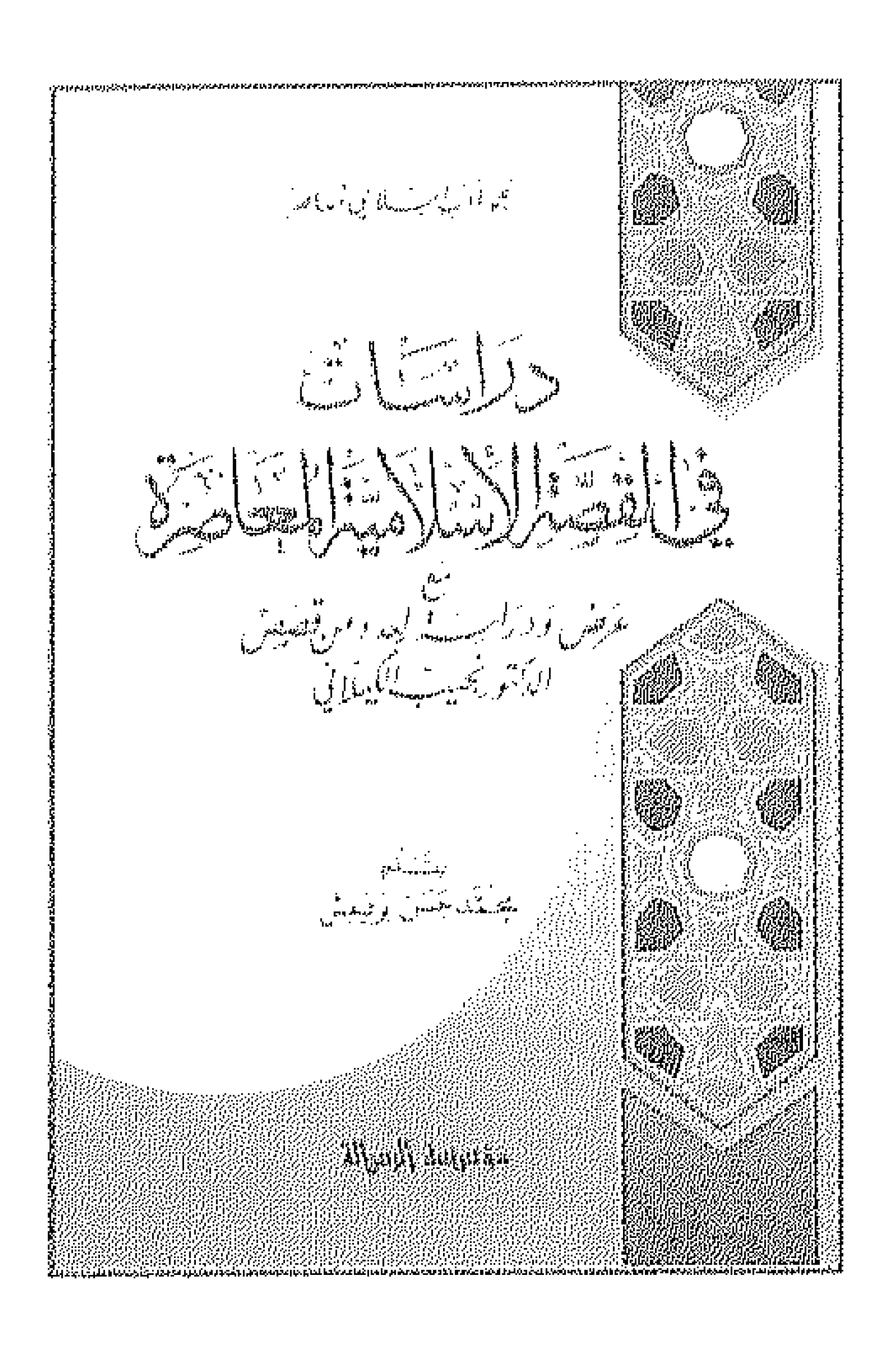


من اليمين بريغش والكيلاني والقاعود في مدينة الرياض ١٤١١هـ

ويأخذ بريغش على نجيب الكيلاني في هذه الرواية ربطه بين ثورة عرابي والثورة التي قادها جمال عبدالناصر، والتي بفضلها أصبحت مصر في نظر الكيلاني جديرة بتضحية أبنائها من أجلها، كما ينتقده في ولائه لهذه الثورة، ويراه قد تطرف في ذلك، حتى كاد يرى كل العهود السابقة منذ القدم عهودا غريبة على مصر، وبذلك يتهمه بالفرعونية [٥]، من ثم يعيب عليه أنه لم يهتم بمصر الإسلامية قائلا : « أين الإسلام وعهوده، وكيف كانت مصر لو لم تكن إسلامية، ومتى كانت مصر ذات معنى تستحق التضحية بغير الإسلام »[٦] .

ولست هنا في مجال الدفاع عن نجيب الكيلاني، لكنني أرى أن موقف بريغش هنا ليس إلا ملمحا من ملامح حماسته لإسلامية الأدب، لأن رواية « الطريق الطويل » لا تتضمن، ولا يمكن أن تشي بما يمس إخلاص الكيلاني لإسلامية مصر، وولائه للأدب الإسلامي، بالإضافة إلى أن محمد بريغش نفسه ختم كتابه هذا بعرضه لرواية « ملكة العنب» لنجيب الكيلاني، التي تقوم على نجاح شخصية " براعم " فتاة قرية "الربايعة"، صاحبة الشهادة الإعدادية، التي استطاعت بعد وفاة والدها أن ترعى أختيها ووالدتها، وأن تدخل زراعة العنب إلى قريتها، بل وتتوسع فيها، وتكتسب كثيرا من خبراتها على مستوى قريتها والقرى المجاورة

زراعة وبيعا وتجارة، حتى أصبحت بحق "ملكة العنب"، وهي في الوقت نفسه تتعاون مع قريتها، وتواجه مشكلاتها المختلفة، من أجل خدمة أهلها جميعهم، حتى حققت مكانة متميزة اجتماعيا وإسلاميا، بتحقيق الخير، ورعاية شؤون قريتها وأهلها، حتى لو تطلب ذلك منها أن تتصل بأكبر المسؤولين في المحافظة والدولة كالمحافظ وأعضاء مجلس الشعب، وخلال ذلك عالج الكيلاني - كما قرر بريغش - مشكلات البطالة والإدارة الحكومية والمحلية، ووضع بعض دول الخليج العربي السياسي، ومشكلات المصريين في العراق، وغيرها، وهكذا امتزج الحدث السياسي بالحدث الاجتماعي، بل وبالنواحي الوجدانية أيضا، خاصة عندما انتهت الرواية بزواج الشيخ محمد المدرس وخطيب المسجد ببراعم، وقد كانت مناقشته لمشكلة زكاة العنب الشرارة التي أثارت كثيرا من المشكلات التي ناقشها الكاتب نجيب الكيلاني، والناقد محمد حسن بريغش خاصة الديمقراطية وعلاقة الحاكم بالمحكوم .



ولقد أثنى بريغش على هذه الرواية : أحداثا ورسم شخصيات، وقضايا ولغة، حتى رأى أنها جديرة بأن تكون نبراسا أمام كتاب القصة، ومثلا للكاتب في بناء أدبه الإسلامي [٧].

هكذا يتضح تباين نتاج نجيب الكيلاني في مدى تمثيله للرواية الإسلامية، وأنه لم يصل إلى مستوى التمثيل المطلوب إلا بعد مروره بتجارب عديدة، شأنه كأي فنان في ذلك، من ثم فإن النظرة العادلة يجب أن تقرن تجارب الأديب في أعماله الفنية بعضها ببعض حتى تتكامل صورته الفنية، كاشفة عن ولائه وتمثيله للأدب الإسلامي والدخول في دائرته، لا أن نقصيه في تجربة ما عن هذه الدائرة، وندخله فيها بناء على تجربة أخرى، على أن تكون غاية الناقد الإسلامي محاولة تفسير العمل الأدبي رؤية وأداة، بغية الإسهام في الكشف عما يمكن أن نضيفه إلى نظرية الأدب الإسلامي، وما يمكن أن تقدمه هذه النظرية في هذا المجال، ودون أن يستغرق الناقد توجيه الاتهامات إلى الأديب وعمله، فالسرائر علمها عند الله، وما لم يقله الأديب لا نحاسبه عليه .

وإني لأحمد لمحمد حسن بريغش - رحمة الله عليه - انتقاده الأدباء الإسلاميين في حرصهم على الاتصال بالآداب والفنون الغربية ومعرفتها دون أن يعرفوا الإسلام وأصوله بالدرجة نفسها أو أكثر [٨]، فالأديب الإسلامي والناقد الإسلامي كلاهما مطالب بالإلمام بأمور دينه، وتوثيق صلته بالإسلام وقيمه ومبادئه، وفي الوقت نفسه، يتصل بالآخر ليستكمل ما يمكن أن يحتاج إليه من وسائل وأدوات فنية تعينه على أداء دوره كأديب أو ناقد إسلامي، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها .

هكذا استطاع محمد حسن بريغش بكتابيه « فن القصة الإسلامية المعاصرة » و« دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة » أن يساهم في إضاءة عدد من الروايات الإسلامية والمجموعات القصصية كنماذج يمكن أن تمثل القصة الإسلامية في مرحلة من مراحلها المعاصرة، وفي وقت يحتاج فيه كثيرون من المهتمين بالأدب الإسلامي وغيرهم إلى هذه النماذج، كعلامات للإنسانية وهي تتطلع إلى النقد الراقي والكلمة الطيبة، والتوجيه الفني المهذب الذي يثري العقل ويمتع الوجدان .■

الهوامش:

(١) انظر على سبيل المثال : محمد حسن بريغش، القصة الإسلامية المعاصرة، دار البشير للنشر، عمان، الأردن، ١٩٩٢م، ص ٩٠، ٩١، ٩٢ .

(٢) انظر السابق نفسه، ص٨٦ وغيرها . وكذلك انظر محمد حسن بريغش، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص ٣٠، ٣١، ٣٦، ٤٠، ٤٥، ٤٦ .

(٣) القصة الإسلامية المعاصرة، ص٩، ١٤ . وكذلك دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، ص٤٦، ٦١ .

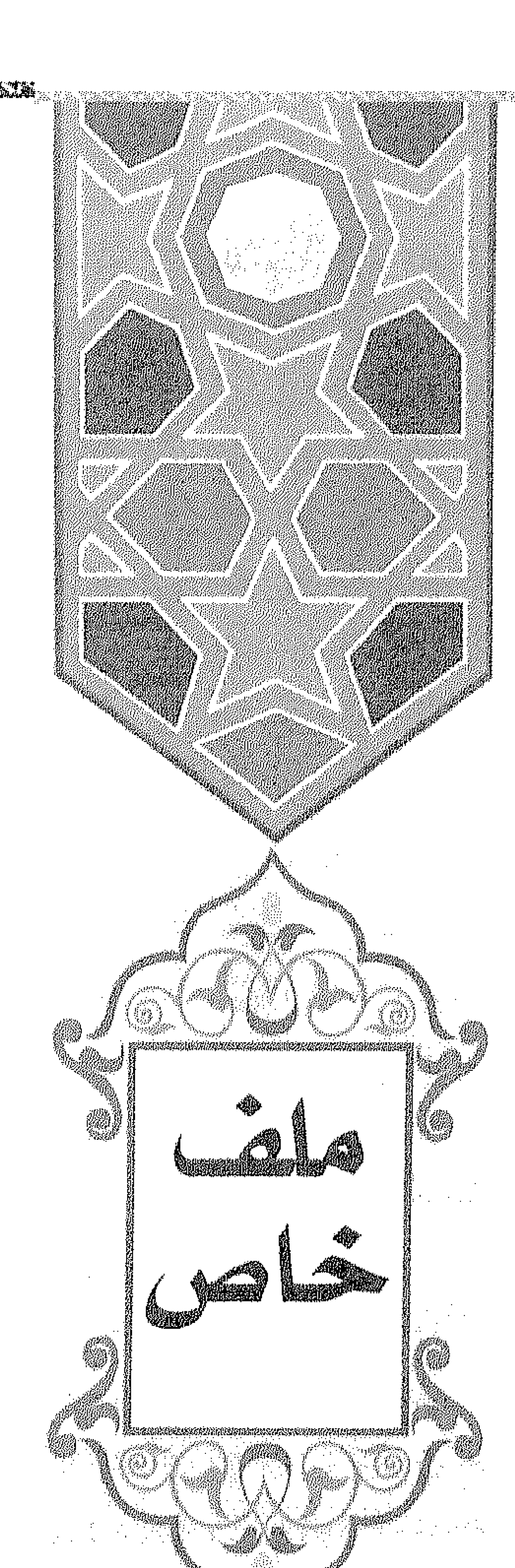
(٤) انظر دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، ص٨٣ .

(٥) انظر دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، ص٤٣ .

(٦) السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٧) السابق نفسه، ص١٤٦ .

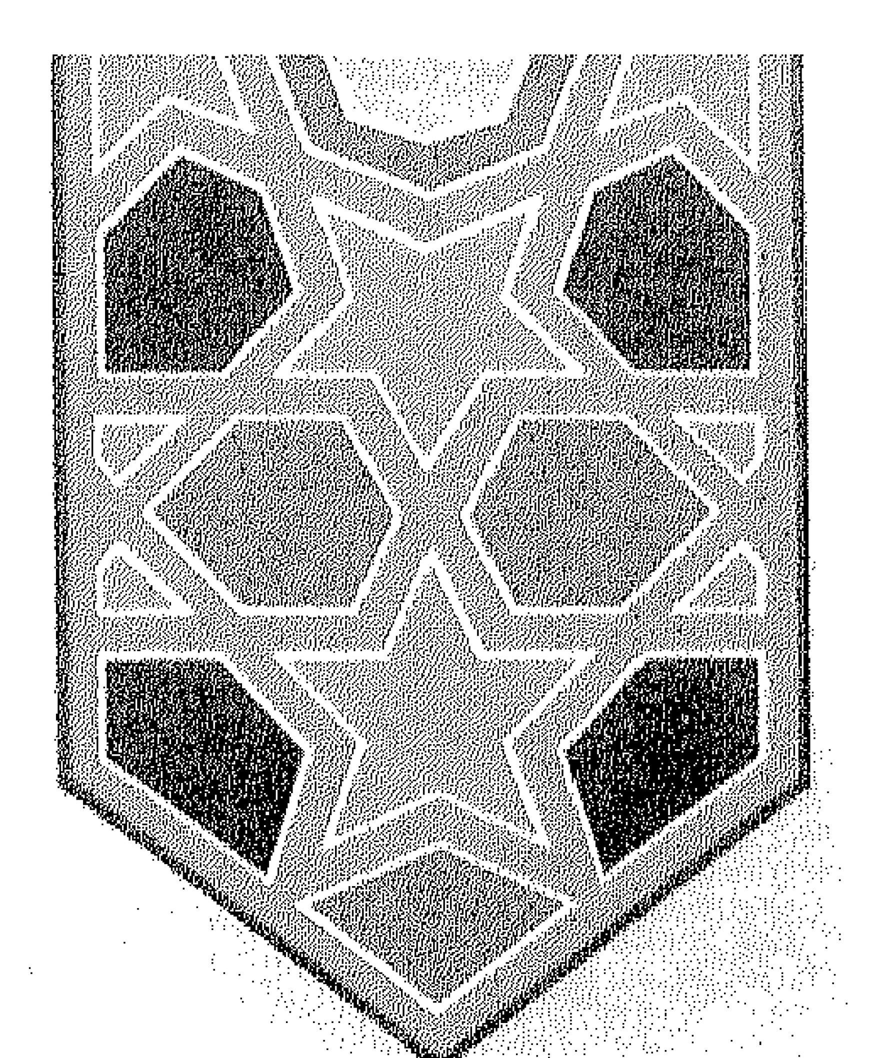
(٨) انظر السابق نفسه ص ٤٧، ٤٨ .



مفهوم الأدب الإسلامي عند محمد حسن بريغش

يُعد الأستاذ محمد حسن بريغش - عليه رحمة الله تعالى - من الباحثين البارزين المشتغلين بالأدب الإسلامي، وقد أغنى المكتبة العربية بمجموعة من الكتب والدراسات الطيبة الجادة قدم فيها رؤية خاصة لهذا الأدب المنشود، وكان من الصادقين في دعواه، المتحمسين في دفاعه عن هذا الأدب، الصرحاء في قول ما اعتقده الحق من غير مجاملة ولا مواربة وإن أسخط بعضا أو أثار حفيظة بعض.





كما يعد المرحوم محمد حسن بريغش من السابقين في الكتابة عن الأدب الإسلامي، إذ نشر منذ وقت مبكر عددا من الدراسات والمقالات على صفحات بعض المجلات كحضارة الإسلام، والشهاب والمجتمع، وغيرها من المجلات الأخرى، ثم أتيح له أن يجمعها في كتاب سماه **«في الأدب الإسلامي المعاصر : دراسة وتطبيق» صدرت طبعته الثانية عن مكتبة المنار في عمان عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .**

وهو كتاب يقع في قسمين : قسم نظري، تحدث فيه عن بعض القضايا والمسائل المتعلقة بالأدب الإسلامي من مثل : الكلمة الطيبة، والجهاد بالكلمة، وطريق الأدب الإسلامي، والأديب المسلم والالتزام، وفي دراسة التاريخ الأدبي، ومسار الأدب الإسلامي ومحاولات التزييف، وملاحظات على طريق الأدب الإسلامي، والصورة الحقيقية للأدب الإسلامي .

وأما القسم الثاني فهو في التطبيق، وقد درس فيه إنتاج بعض الأدباء، فتوقف في فن الشعر عند عدد من الدواوين المعاصرة لمحمد منلا غزيل، ونجيب الكيلاني، ومحمد الحسناوي، وأبي العاصم القاري، وتوقف في فن القصة عند كل من نجيب الكيلاني في «عمر يظهر في القدس» وعند إبراهيم عاصي ومجموعته «حادثة في شارع الحرية» وعند حنان لحام في مجموعتها «ميلاد جديد»

تعريف الأدب الإسلامي:

يرى محمد حسن بريغش أن تعريف الأدب الإسلامي ليس مشكلة ما دام تصوره واضحا، ذلك أن

تعريف الشيء فرع عن تصوره، وهو يرى أن أساس جميع ما وضع من تعريفات لهذا الأدب يرجع - بشكل أو بآخر إلى تعريف الأستاذ محمد قطب وهو قوله :

«الأدب الإسلامي هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان» [1] .

ثم يسوق مجموعة من التعريفات لمن كتبوا في الأدب الإسلامي، كالدكتور عماد الدين خليل، والدكتور عبدالرحمن باشا عليه رحمة الله، والأستاذ محمد المجذوب، والدكتور عدنان النحوي وغيرهم، ويرى أن هذه التعريفات جميعها : «إما اختصار، أو شرح لهذا التعريف أو إضافة، أو حذف، أو تعديل ...» [2] .

ولكنه يرى أن هذا التعريف الذي ركز على عنصرين مهمين من عناصر الأدب هما «التعبير الفني» و«التصور الإسلامي» قد أغفل صاحب النص أي المؤلف، حتى ظن بعضهم - من خلال عبارات لمحمد قطب أساء فهمها - أن النصوص الإبداعية التي تتفق كليا أو جزئيا مع التصور الإسلامي - وهي لغير المسلمين - يمكن أن تجعل أدباً إسلامياً ما دامت تتوافق مع التصور الإسلامي .. [3] .

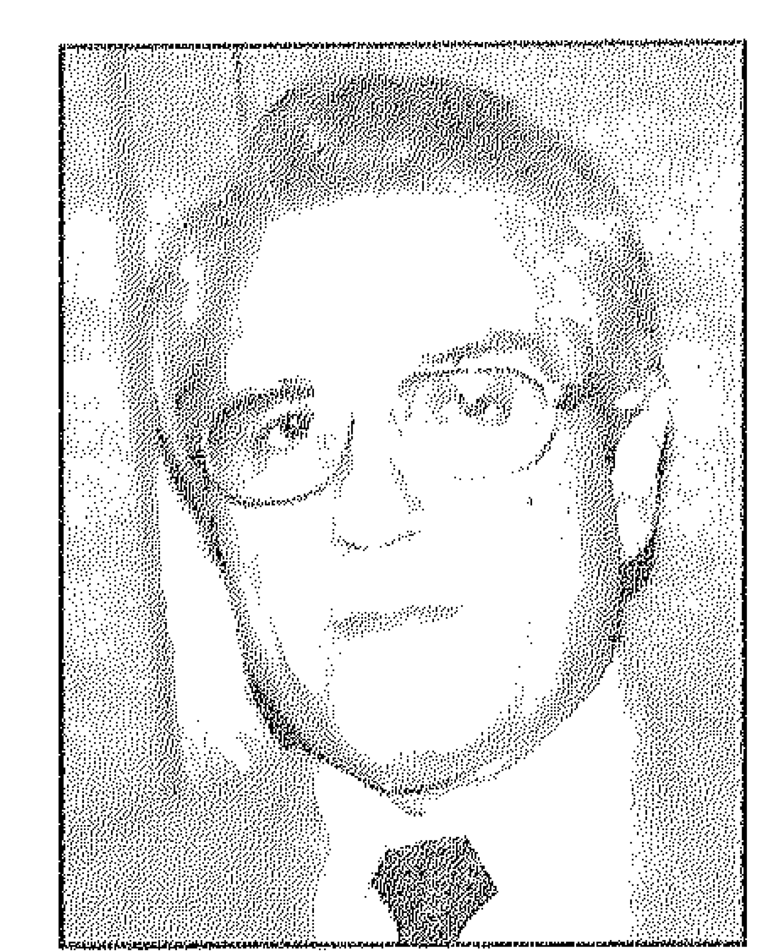
على حين أن الأمر ليس كذلك، ولم يذهب إليه محمد قطب أصلا، بل كان واضحا عنده - في أكثر من موضع - أن الأدب الإسلامي لا يمكن أن يصدر إلا عن أديب مسلم، تشبعت روحه بالإسلام، وتكيفت تكيفا خاصا مع تصوراته عن الحياة والكون والواقع .

ويؤيد الأستاذ محمد حسن بريغش ذلك، ويؤكد هو كذلك - في غير ما موضع - ارتباط الأدب الإسلامي بقائله، وهو المسلم .

يقول مثلا : «الأدب الإسلامي أدب ينبع من الإسلام والمسلمين، له سماته، وله صوره، وله أشكاله وأساليبه .. [4] .

وقد يلتقي الأدب الإسلامي مع هذا الأدب أو ذاك «في شكل ما أو مضمون ما، ولكنه يبقى إسلاميا، ويبقى ذاك غير إسلامي ..» [5] .

ويخلص إلى أن «الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يصدر عن المسلم، أما الأدب الذي يتوافق مع التصور الإسلامي - في ناحية أو أكثر - فهو أدب الفطرة السليمة، أو الأدب المحايد، أو الأدب الموافق للإسلام،



بقلم : د . وليد قصاب

ولكنه ليس الأدب الإسلامي قطعا ...» [6] .

ومن ثم فإن التعريف للأدب الإسلامي عند بريغش هو : «التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي ...» [7] .

لماذا لم يعرف التراث هذا المصطلح ؟

يعلل محمد حسن بريغش عدم وجود مصطلح الأدب الإسلامي في تراثنا الأدبي أو النقدي تعليلا منطقيا، وهو أن الحاجة إليه لم تكن ملحة، ذلك أن الإسلام كان هو الحاكم المهيمن، كان مرجعية القوم الفكرية، يعد كل خروج عليه - وإن في الأدب - انحرافا، أو فسقا، أو زندقة، بحسب درجة الخروج «فالمسلمون آنذاك، صغيرهم وكبيرهم، العالم منهم والأديب والمجاهد، والرجل البسيط، المرأة والرجل، كلهم كانوا مسلمين في اعتقادهم وفكرهم وسلوكهم، ولا يتصور أحد أمرا خارج الإسلام، فالإسلام منهج حياتهم، به يقيسون كل أمور حياتهم، لذلك كانت أحكامهم على كل الأمور مصبوغة بصبغة المصطلحات الفقهية، مثل : الزندقة والإلحاد، والتهتك ... إلخ . وسار الأدب - كما سارت جميع شؤون الحياة - وفق منهج الإسلام .. فالأدب الذي تركه المسلمون الأدب الإسلامي في عمومه، وما خرج منه عن مسار الإسلام أنكره النقاد والعلماء ..» [8] .

وهكذا لم تكن حاجة لهذا المصطلح الذي استعمل حديثا، مصطلح «الأدب الإسلامي» لأنه متحقق فعلا في الأدب والفكر .

ولكن الأمور - في العصور الحديثة - اختلطت، والمصطلحات تعددت، ولم يعد الإسلام - للأسف - هو المهيمن على الحياة، ومنها الحياة الأدبية، غلبت على الأدب اليوم المذاهب الغربية، والمدارس العلمانية المجافية لروح الإسلام، انحرف الأدب عن مساره، فكان لا بد من التذكير بمرجعية الأدب العربي وأصوله الفكرية والعقدية، فكان لا بد من استعمال مصطلح يميزه ويوضح طبيعته، ويعيده إلى محضنه الذي تنكر له .

سمات الأدب الإسلامي :

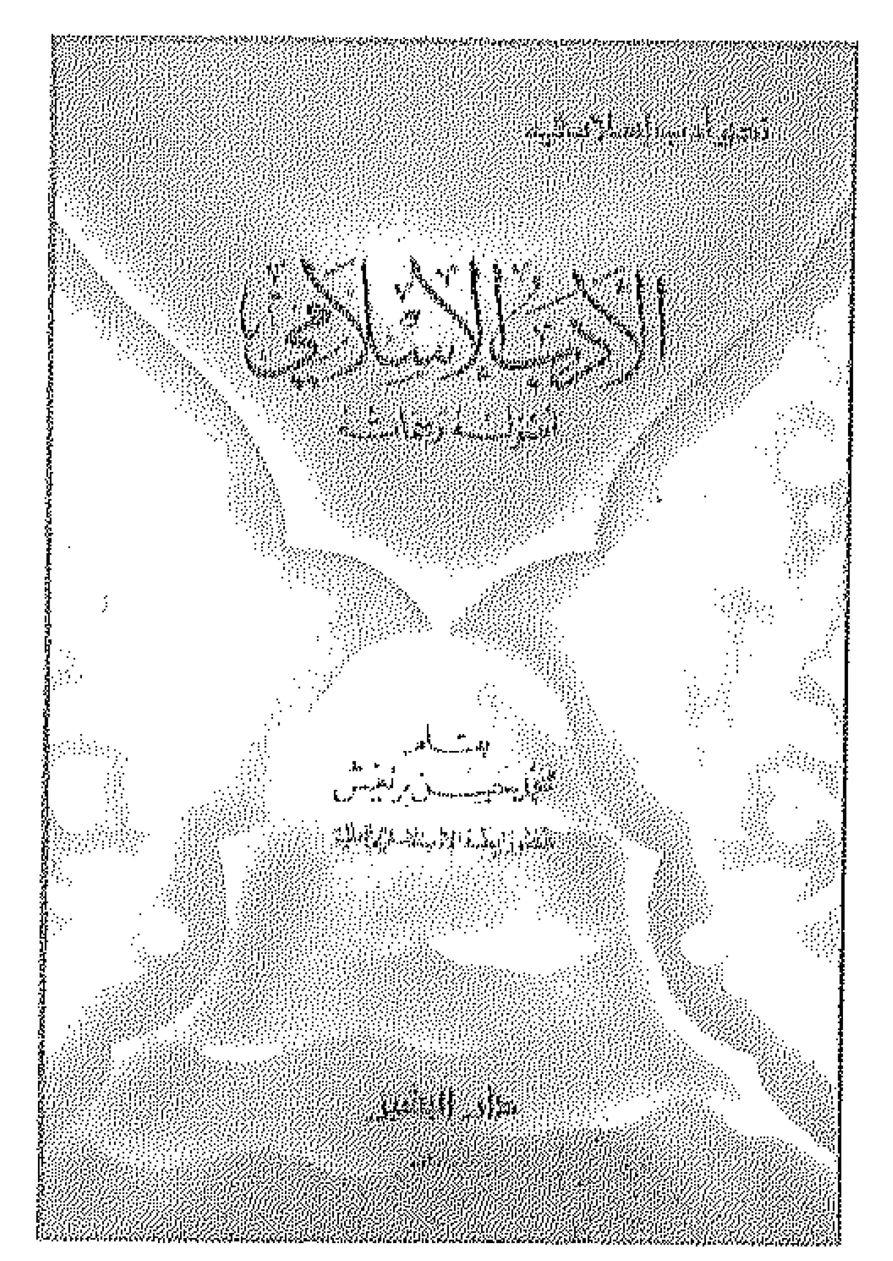
أطال الناقد الأستاذ محمد حسن بريغش الكلام في أكثر من موضع على أن الأدب الإسلامي أدب متميز - شكلا ومضمونا - من غيره من الآداب الأخرى، وله

ملامحه الخاصة، وسماته الفارقة «لأنه أدب الإنسان المستخلف في الأرض، الحامل للأمانة العظيمة التي نأت السماوات والأرض والجبال عن حملها، وحملها الإنسان، ولذلك فإن سمات هذا الأدب ومميزاته هي سمات الأدب العالمي، وسمات الحضارة الإنسانية، وسمات المنهج الإلهي الخالد ...»[٩].

ومن الواضح من هذا الكلام أن الأستاذ بريغش يرى من السمات والملامح في الأدب الإسلامي ما يهيئه لأن يكون الأدب العالمي المنشود، وأدب الحضارة الإنسانية، إذ هو أدب هذا الدين العالمي الإنساني، فلا بد أن يحمل سماته ما دام منبثقا عنه .

وأما سمات هذا الأدب التي توقف عندها الأستاذ بريغش فهي :

١- **وضوح التصور**، لأنه «يستند إلى منهج رباني شامل، يفسر له حقيقة الألوهية، التي هي مصدر الخلق، ومصدر كل شيء ...» [١٠] . مما يحقق للأديب الذي يلتزم هذا المنهج الرباني الدقيق الشامل لكل صغيرة وكبيرة من شؤون الإنسان والحياة «بعدا شاسعا، ونظرة صحيحة إلى علاقاته مع الخالق عز وجل، والمخلوقات من حوله دون تخبط، وبذلك يطمئن ويستقيم ويمضي في حياته جادا للوصول إلى الدرجات العلا، ولا يترك أمر التصور إلى الفلسفات والاجتهادات، بل يتعلمه المسلم من وحي ربه عز وجل ..»[١١] .



وهكذا يتميز الأدب الذي يغترف من عقيدة الإسلام بوضوح التصور، وشموله، وتكامله، بعيدا عن التخبط، والعبثية، وحيرة الكائن البشري وضياعه في أدب جاهلي تصوره أمثال أبيات إيليا أبي ماضي في «الطلاسم» :

جئت، لا أعلم من أين، ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأمضي في طريقي، شئت هذا أم أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟
لست أدري ... [١٢] .

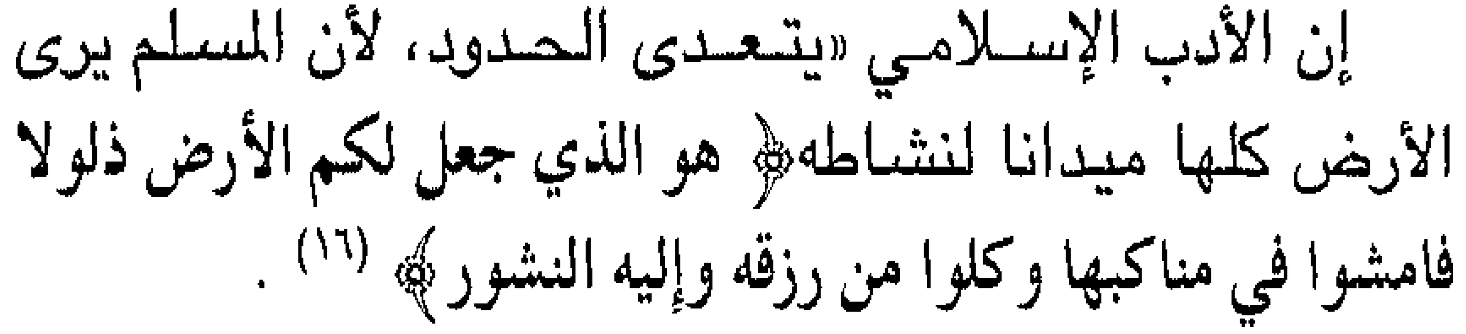
٢ - ومن خصائص الأدب الإسلامي أنه **أدب الإنسان**، لأن المصدر الذي يصدر عنه هو منهج الإنسانية عامة، والرسالة التي جاءت لنبي البشر كافة، فهذا الأدب يتوجه للإنسان في كل مكان، ويصور حالات الإنسان في كل مكان وإنسانية الأدب الإسلامي تتميز من «الإنسانية» التي يتحدث عنها في المذاهب الوضعية التي تفتقر إلى التصور الشامل، البعيد عن العصبيات والأوضاع والظروف المادية ... [١٣] .

٣- ومن خصائص الأدب الإسلامي أنه **أدب الحياة** «الحياة الخاصة للسنن الكونية، وللإنسان فيها فاعليته التي تنفذ من خلال هذه السنن . أما الآداب الأخرى فإنها تصور الحياة على أنها من وضع الإنسان وحده ...»[١٤] .

الأدب الإسلامي «أدب الحياة المتوازنة التي لا يغفل جانبا من جوانبها، ولا يميل إلى صورة على حساب بقية الصور، لأنه يهدف إلى بناء الحياة الإنسانية على أسس قويمة نظيفة [١٥] .

٤ - ومن سمات هذا الأدب **امتداده الزماني والمكاني**، فهو «يتعدى في مساحته الزمانية والمكانية الآداب الأخرى» فكأنه إنساني في الزمان، إنساني في المكان، غير محدد بزمن تاريخي معين، ولا أرض جغرافية معينة .

إن الأدب الإسلامي «يتعدى الحدود، لأن المسلم يرى الأرض كلها ميدانا لنشاطه﴿ **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**﴾ [١٦] .



٥- ومن سمات الأدب الإسلامي **الأصالة**، وهذه الأصالة - التي تعني الرسوخ والثبات، وإحكام الرأي، والأساس المكين - «سمة ترتبط بتميز هذا الأدب، وتفرده عن بقية الآداب، وترتبط بالتزامه بتصور محدد شامل واضح ...» [١٧] .

ومن الأصالة كما يرى الأستاذ بريغش أن يتفرد الأديب المسلم، وأن يتميز بأمور كثيرة ليست عند غيره من الأدباء . هذا التميز يحقق له عدة أمور منها : الالتزام الإسلامي بأوسع مداه، والحرية، والواقعية، وتفهم لغة القرآن الكريم وتذوق جماله وجمال النصوص الإسلامية الأخرى .. [١٨] .

هذه هي سمات الأدب الإسلامي كما يراها الناقد بريغش، ومن الواضح أن بعض هذه السمات متداخل في

بعضها الآخر، كما أن الناقد لم يشر إلا إشارات عابرة، لا تكاد تلحظ - إلى خصائص شكلية تتعلق بالأدب الإسلامي، وهو الذي شدد النكير على بعض النقاد الإسلاميين الذين تحدثوا عن فسحة من الحرية في الأشكال الفنية، ورأوا فيها - إلى حد ما - نوعا من الحياد الذي لا يقع تحت طائلة التحريم .

ولكن ما يسجل للناقد بريغش محاولته الدائمة الربط بين الأدب والعقيدة، بين الفن والدين الذي يغترف منه، فبدا واضحا أن سمات هذا الأدب الإسلامي - كما حددها الناقد - مستمدة من طبيعة العقيدة الإسلامية نفسها .

الأدب الإسلامي بين الشكل والمضمون :

يرى بعض النقاد الذين كتبوا عن الأدب الإسلامي، وحاولوا التنظير له، أن الأشكال الفنية ليست هاجسا مؤرقا في هذا الأدب، ذلك أن الشكل الفني نام، متطور، متحرك باستمرار، فهو لا يعرف صورة واحدة ثابتة .

وإن الإسلام لم يحدد للمبدعين - من شعراء وكتاب وقاصين وغيرهم - شروطا فنية معينة للإبداع، وهذا يكشف عن إدراك عميق لطبيعة الشكل وتطوره عبر العصور، كما يكشف عن وعي حصيف بأن كل تحول في الحياة الاجتماعية قد يؤدي إلى تحول في الذوق الجمالي .

يقول محمد قطب في التعبير عن هذه الفكرة : الفن الإسلامي ليس مقيدا بطرائق تعبيرية معينة .. فله أن يختار من الموضوعات والطرائق ما يشاء، ولكنه مقيد بقيد واحد أن ينبثق عن التصور الإسلامي للوجود الكبير، أو - على الأقل - ألا يصطدم بالمفاهيم الإسلامية عن الكون والوجود [١٩] .

ولا شيء يكفل لأدبنا الإسلامي أن يساير العصر، وأن يعبر عن نبض الحياة، وأن يكتسب العمق والحيوية، مثل الانفتاح على التجارب الجديدة والاستفادة مما هو حكمة فيها .

وقد أدركت طائفة من المبدعين الإسلاميين ذلك فخاضوا التجربة الإبداعية الأدبية، مستمدين من التصور الإسلامي، مدركين تميزه من غيره من التصورات، وهم - مع هذه الأصالة والتميز - «لا يجهلون ما وصلت إليه الآداب العالمية من آفاق وصور، ولا يتجاهلون ما اصطلحت عليه من شروط لمختلف الفنون، ولا ينكرون ما تعارف عليه النقاد والأدباء لكل لون أدبي، ولا يقطعون ما بينهم وبين العطاء العالمي، والإبداع الأدبي في مختلف الأشكال الأدبية والفنون الإبداعية ..» [٢٠] .

وعلى أن هذه الطائفة الواعية المدركة التي يشيد بها الناقد محمد حسن بريغش - لا ترى شأن غيرها ممن يشير إليهم بريغش - ضرورة التقيد بكل ما عرفه الأدب العالمي، فهؤلاء «لا يتعبدون ولا يقدسون هذه التجارب، ولا يغفلون عما وراءها من فلسفات ومعتقدات تدخلت في المضمون والشكل، وأثرت في توجيه هذه الأشكال إلى صور وطرق تتفق مع تصوراتها وفلسفتها ...» [٢١] .

وإذا كان نقاد من أمثال نجيب الكيلاني عليه رحمة الله، وعماد الدين خليل يرون أن الأشكال الفنية هي - بشكل عام - محايدة، وهي كالأوعية والوسائل لا يدخلها حل ولا تحريم في حد ذاتها، فإن محمد حسن بريغش لا يرى هذا الرأي، وهو شديد التحفظ عليه .

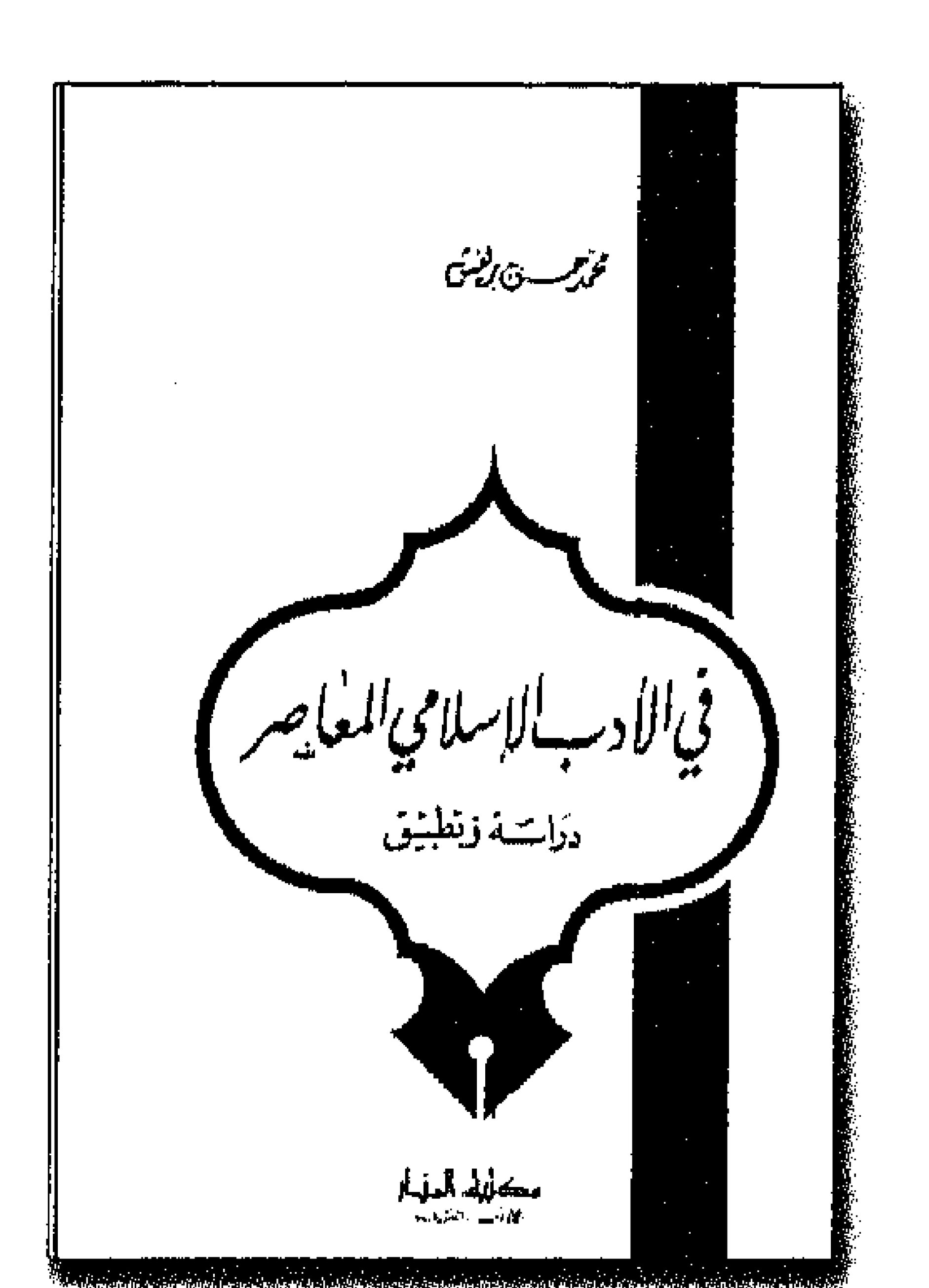
يرى الدكتور نجيب الكيلاني فيما نقل عنه بريغش : أن هنالك قيما أو شروطا فنية وجمالية معروفة ومشتركة بين الأمم والحضارات، ولكل لون من ألوان الأدب قيمه الفنية، وشروطه التعبيرية، ولذلك لا غنى عنها للأديب، بل يرى أن العمل الأدبي لا يقوم بدون التقيد بهذه الشروط، والسير وفق هذه القيم لأن التراث الجمالي العالمي ملكة شائعة كالدين والفلسفة والعلوم .. [٢٢] .

ويرى الدكتور عماد الدين خليل أن صقل المواهب وتنمية المهارات والقدرات الإبداعية لا يتحقق إلا بالإطلاع على الأدب الغربي، ومتابعته يوما بيوم بنهم لا يعرف شبعا ولا ارتواء، بالإطلاع على كل ما هو أدبي مما يصدر في شرق أو غرب، وإذا لم يرفد المعنيون بالأدب قدراتهم الإبداعية ومواهبهم الجمالية بمتابعات مستمرة في ميادين الآداب والفنون، فإنهم - يقينا - سوف يصابون بالتحجر، ويكفون عن الإبداع .. [٢٣] .

ولكن محمد حسن بريغش - كما ذكرت - لا يبدو متحمسا لمثل هذه الآراء، إذ هو يرى أن الأشكال الفنية - كالمضامين - غير حيادية، وأن هذه «المفاهيم الجمالية، والأطر الفنية، والصيغ التعبيرية، التي يراها بعضهم ملكة مشتركة حيادية، هي عند الآخرين صورة مرتبطة بالتصور الذي يتمثل بالمضمون أيضا»، وأنه - في الأدب

خاصة، والفنون عامة - لا يوجد حياد في الشكل أو المضمون، فلو أخذنا المدارس الفنية الحديثة الغربية لرأينا أنها بدأت بالتخلي عن الموضوع - المضمون - بدءا من عدم الاكتراث به في المدرسة الانطباعية، وانتهاء بالاستغناء عنه تماما في المدرسة التجريدية...» (٢٤) .

ويقول في موطن آخر : «إن طبيعة الموضوع، ومكونات الكاتب وعقيدته وخصائص اللغة، والموضوع والمجتمع، كل ذلك يؤثر في الصياغة والأسلوب والشكل، ولا يمكن أن تكون «التقنية» - كما سماها الدكتور عماد الدين خليل - مسألة عامة لكونها تحمل طابعا حياديا، بل هي متشابكة ومتأثرة بالموضوع وبقية العناصر، وليست حيادية، ولذلك فإن كل أدب يختار أسلوبه وصياغاته، وألفاظه وطريقته، ويضع الشروط التي يراها مناسبة لخصائصه الأساسية ..» (٢٥) .



ولكن محمد حسن بريغش الذي أطال الكلام على هذه المسألة لم يستطع أن يقدم دليلا تطبيقيا واحدا، أو يحدد المقصود بالأشكال الفنية، أما طريقة الأسلوب والصياغة والفرادة التي تتميز بها كل لغة أو كل موضوع على حدة فليست هي المقصودة بحيادية الأشكال الفنية، وما أظن أن الدكتور عماد الدين خليل وأمثاله ممن ذهبوا هذا المذهب قد عنوها، إذ لا شك أن هذه تختلف من ثقافة إلى أخرى، ومن أدب لآخر، بل من شخص لشخص في دائرة الأدب الواحد نفسه .

وفي الختام أقول :

إن محمد حسن بريغش كان من الدعاة المتميزين إلى الأدب الإسلامي، وقد قدم خدمات جليلة لهذا الأدب، وكانت له فيه آراء نفيسة سبق بها غيره، وكان شديد الحماسة لهذا الأدب الهادف النظيف، يرى فيه المعبر الحقيقي عن هوية الأمة، بل عن فطرة الإنسان السوية في كل مكان وزمان، ولذلك كان حريصا - كل الحرص - على تنقيته من جميع الشوائب التي تعتري نماذجه الإبداعية أو محاولات التنظير النقدية، وعلى إبراز خصوصيته وتميزه من الآداب الأخرى .

وقد يغلو في هذا الحرص حتى يحمله ذلك على أن يضيق واسعا حينا، أو يشتد على مخالفيه في الرأي حينا آخر، فيرى في الاستفادة من الدراسات الغربية الحديثة نوعا من الانبهار بالآخر، أو الوقوع تحت سلطانه .

وعلى الرغم من ضرورة العودة - كما يقول بريغش - إلى مصادر الأدب الإسلامي الأولى، وإلى نماذجه المختلفة عبر تاريخه الطويل فإن هذا وحده - في رأينا - لا يكفي، ولا شيء - شرعيا ولا عقليا - يمنع من الاستفادة من تجارب الآخرين الإبداعية والنقدية في شرق وفي غرب، من أجل التنظير تنظيرا عميقا للأدب الإسلامي ما دام كل من المبدع والناقد مجندا بوعيه الإسلامي الذي يجعله يدرك ماذا يأخذ وماذا يدع . ■

الهوامش:

(١) منهج الفن الإسلامي، لمحمد قطب، ص٦ .
(٢) الأدب الإسلامي : أصوله وسماته، لمحمد حسن بريغش، ص ١٠٧ .
(٣) السابق، ص ١٠٨ .
(٤) في الأدب الإسلامي المعاصر، لمحمد حسن بريغش، ص ٦٦ .
(٥) السابق نفسه .
(٦) الأدب الإسلامي : أصوله وسماته، لمحمد حسن بريغش، ص ١١٣ .
(٧) السابق، ص ١١٤ .
(٨) السابق، ٤٣ - ٤٤، ١٠٣ .
(٩) السابق، ١١٤، ١١٥ .
(١٠) السابق ١١٥ .
(١١) السابق ١١٦، ١١٧ .
(١٢) السابق ١٢١ .
(١٣) السابق ١٢٦ .
(١٤) السابق ١٣٤ .
(١٥) السابق ١٣٧ .
(١٦) السابق ١٥٢، ١٥٣ .
(١٧) السابق ١٦٤ .
(١٨) السابق ١٦٤ - ١٧٣ .
(١٩) منهج الفن الإسلامي، ص ٢١ .
(٢٠) الأدب الإسلامي : ص ٩ .
(٢١) السابق نفسه .
(٢٢) الأدب الإسلامي، ص ١٤، نقلا عن «مدخل إلى الأدب الإسلامي» للدكتور نجيب الكيلاني، ص ٣٣ .
(٢٣) السابق، نقلا عن «مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي» للدكتور عماد الدين خليل، ص ٧٥ .
(٢٤) الأدب الإسلامي، ص ١٥ .
(٢٥) السابق، ص ٧١ .

محمد حسن بريغش

في دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث*

٤٨- الالتزام والأديب المسلم، الحوار حول الأدب الإسلامي بالمدينة المنورة، ٩ص، ٣٢ × ٢١ سم .

٥٥- خواطر حول منهج دراسة الأدب الإسلامي، الحوار حول الأدب الإسلامي بالمدينة، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ١٣ ص، ٣٢ × ٢١ سم .

٥٩ - العودة لكتابة تاريخ الأدب، الحوار حول الأدب الإسلامي بالمدينة، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م،١١ ص، ٣٢ × ٢١سم.

٦٨ - المفهوم الإسلامي للأدب، ندوة الأدب الإسلامي، بالرياض، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٢١ ص، ٣٢ × ٢١ سم .

٣٤٢ - في الأدب الإسلامي المعاصر دراسة وتطبيق، مكتبة الحرمين، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ١٦٨ ص ٢٤×١٧سم .

١٢٨٢ - حول القصة الإسلامية، حضارة الإسلام، س ١٣، ع٥ و ٦ و ٧ و ٨ / ١٣٩٢هـ / ٩ و ١٠ / ١٩٧٢م، ص ص ٥٩-٦٧ .

١٣٠٢ - دعوة للنهوض بالتراث، الأدب الإسلامي، ع١٩، ١/١٠/١٤٠٨ هـ، ص ص ١١-١٢ .

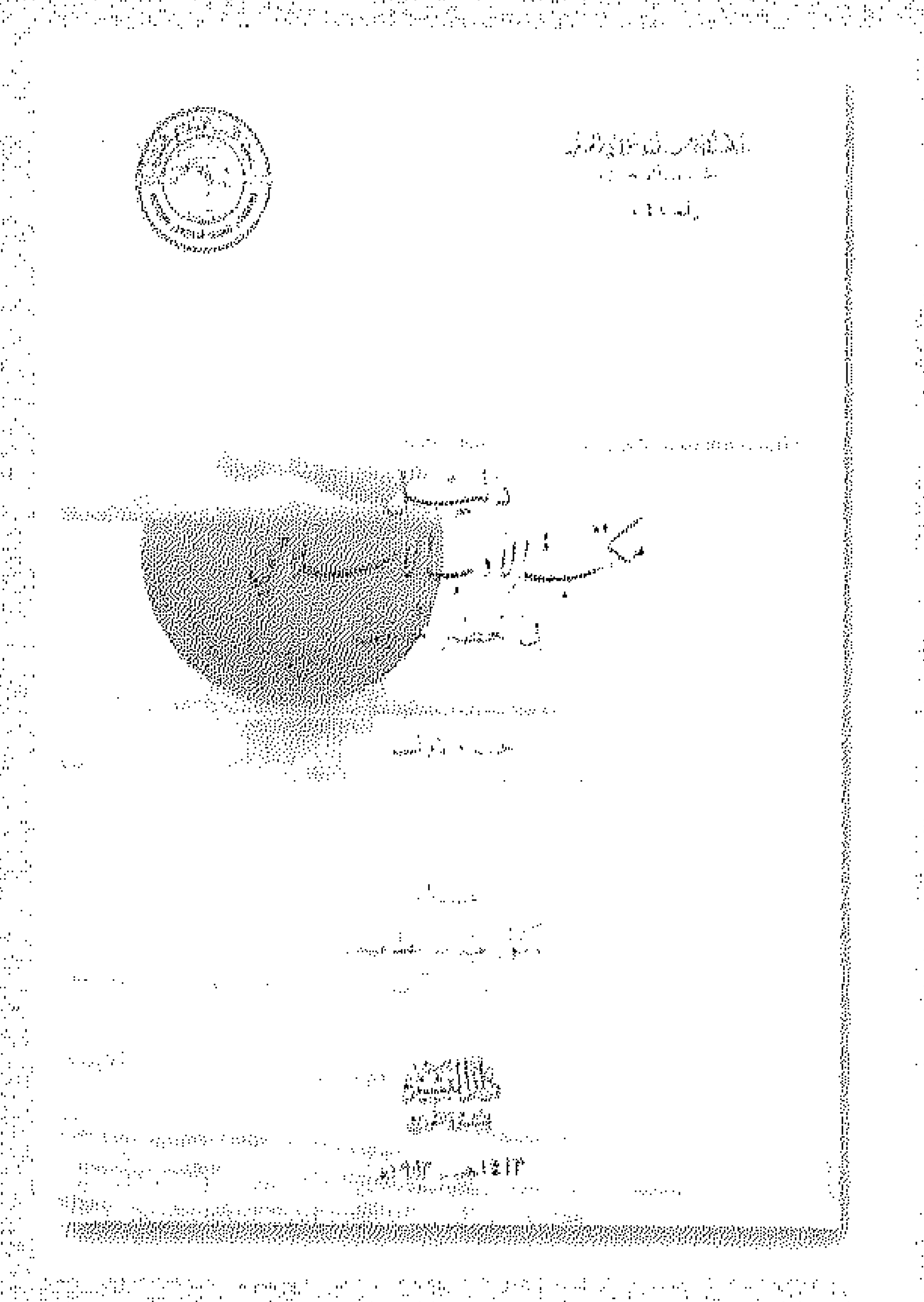
١٣٢١ - رابطة الأدب الإسلامي تنعي أحد أبنائها (عبدالقادر حداد)، المجتمع، ع ٨٨٩، (٢١/٣/١٤٠٩ هـ - ١ / ١١ / ١٩٨٨م)، ص ٤٤ .

١٣٧٦ - الشاعر الريسوني في مجموعته : على درب الله، المشكاة، س٢، ع٧، (١/٢/١٤٠٨ هـ - ١/١٠/١٩٨٧م)، ص ص ١٣ - ٢١ .

١٤٣٦ - شموخا أيتها المآذن، المسلمون، س٤، ع ١٨٥، (١/٩/١٤٠٩ هـ - ١٩/٨/١٩٨٨م)، ص٣ .

١٤٨٣ - على هامش الحوار حول الأدب الإسلامي، الأمة، س٣، ع٣٠، (١ / ٦ / ١٤٠٣ هـ - ١/٣/١٩٨٣م)، ص ص ٨٦-٨٩ .

١٥٢٠ - في الأدب الإسلامي المعاصر : ملاحظات وإيضاحات، المشكاة، س٢، ع٨، (١/٤/١٤٠٨هـ - ١/٥/١٩٨٨م)، ص ص ٣٠-٣٩ .



١٥٢٦ - في دراسة التاريخ الأدبي، حضارة الإسلام، س١٣، ع٩و١٠، (١١و١٢ / ١٣٩٢هـ - ١و٢ / ١٩٧٣م)، ص ص ٥٤-٥٩ .

١٥٥٠ - قراءة في ديوان (قصائد للفجر الآتي) للشاعر مأمون فريز جرار، المجتمع، س٧، ع٧٨٠، (٢١ / ١٢ / ١٤٠٧هـ) ص ص ٤٢-٤٣ .

١٦٢٥- المدائح النبوية، المجتمع، س١٩، ع٨٩٢، (١٢/٤/١٤٠٩هـ، ٢٢/١١/ ١٩٨٩م)، ص ص٤٢-٤٣ .

١٦٢٧ - المدائح النبوية ما لها وما عليها، المسلمون، س٤، ع١٩٦، (٥ / ٤ / ١٤٠٩هـ - ١٠/١١/١٩٨٨م)، ص٩ .

١٦٦٥ - مع ديوان عصر الشهداء لنجيب الكيلاني، حضارة الإسلام، س١٤، ع٦، (١/٨/١٣٩٣هـ - ١/٩/١٩٧٣م) ص ص ٤٥ - ٥٣ .

١٦٦٧ - مع ديوان عودة الغائب، حضارة الإسلام، س١، ع٧، (١/٩/١٣٩٣هـ - ١/١٠/١٩٧٣م)، ص ص ٥٥-٧١ .

١٦٦٩ - مع رواية الثعابيني لعبدالله عيسى سلامة، المجتمع، س٢٠، ع٩١٠، (٢١/٨/١٤٠٩هـ - ٢٨ / ٣ / ١٩٨٩م)، ص٥٠-٥١ .

١٦٧٩ - المفهوم الإسلامي المتميز للأدب، ندوة الإمام، ٢١ ص، والبعث الإسلامي، س٣١، ع١و٢و٣، (٩،١٠،١١ / ١٤٠٦هـ - ٥،٦،٧،٨ / ١٩٨٦م) ص ص ٤٧-٥٦، ٣٨-٤٧، ٦١-٦٧ .

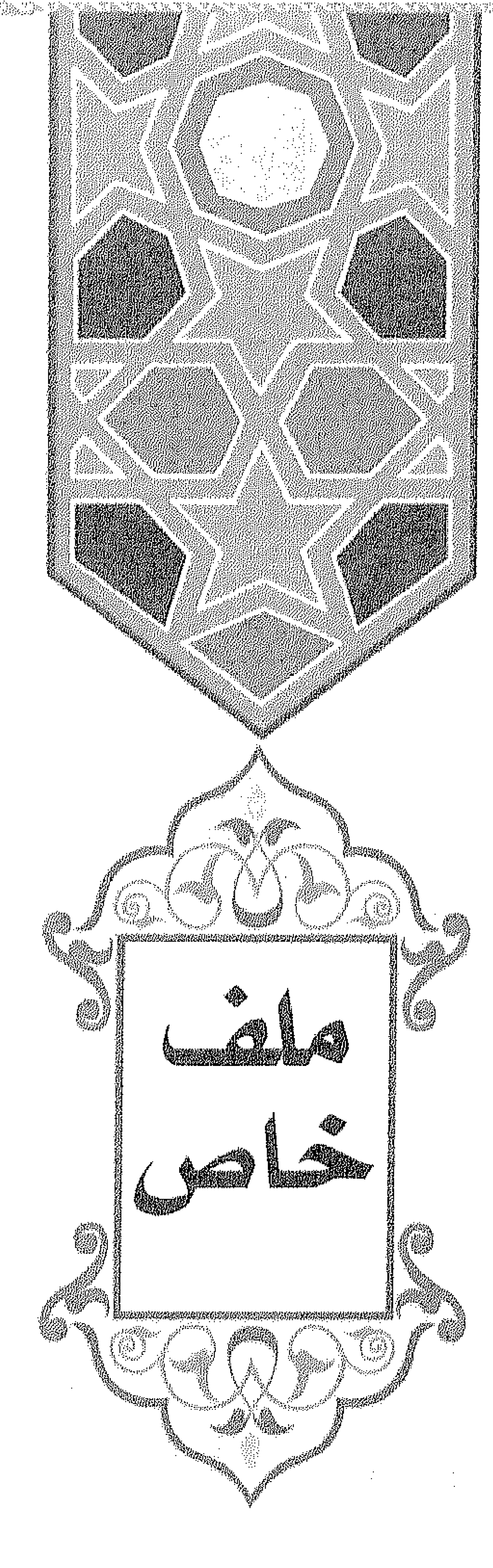
١٧٢٥ - من عوامل الضعف، الأدب الإسلامي، س١، ع٦، (١/٨/١٤٠٧هـ) ص ص ٩-١٠ .

١٧٨٠ - ندوة أدبية حول المدائح النبوية، الشرق، س٣، ع٤٧٧، (٢٦/٣/١٤٠٩ هـ - ٤٥/١١/١٩٨٨م)، ص ص ٢٨-٩٢ .

١٨٢١ - هاشم الرفاعي : حياته وشعره، حضارة الإسلام، س١٠، ع٢و٥و٦، (٤، ٧، ٨ /١٣٨٩هـ) ص ص ٥٨-٦٨، ٨٨-١٠٢ .

---

* من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية برقم٤، إعداد د. عبدالباسط بدر، وقد ذكرنا الموضوعات حسب أرقام تسلسلها في الدليل.



محمد حسن بريغش وفن السيرة

تبحث السيرة في حياة الأشخاص وتتحدث عن أحوالهم وسلوكهم ومشاربهم واتجاهاتهم وأعمالهم، وتسجل كل ذلك بتجرد تام . وكلما عرضت السيرة للفرد من خلال المجتمع الذي يعيشه، واستعرضت أعماله متصلة بالأحداث العامة أو متأثرة بها، تكون السيرة بذلك قد حققت الغاية المرجوة منها .(١)

ولابد أن يكون العمل ذا بناء معين، ثم لابد من أن تكون السيرة غايتها الرغبة في تاريخ حياة فرد من الأفراد ـ أو جانب كبير من حياته ـ لا تحقيقاً لنظرة خاصة، أو فلسفة محدودة، وهذا يقتضي كاتب السيرة أن يدير الأحداث حول الشخص المترجم، ولا يسمح لحياة الآخرين بالتحكم في منحى السيرة .. بل لا بد له من أن يبني ما يكتبه على أساس متين من الصدق التاريخي، فإذا ضعف عنصر الصدق في السيرة لم تعد تسمى سيرة ؛ لأن الخيال قد يخرجها مخرجاً جديداً ويجعلها قصة منمقة ممتعة (٢).

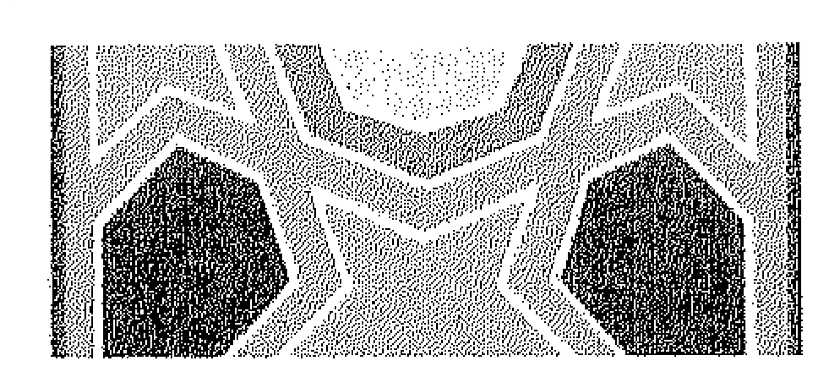
أعمال الأستاذ بريغش :

لمحمد حسن بريغش ـ رحمه الله ـ خمسة أعمال تدخل في إطار الترجمة للشخصيات، وهي : **مصعب بن عمير الداعية المجاهد، أبو بصير قمة في العزة الإسلامية، خالد بن سعيد بن العاص الصحابي المجاهد، نسيبة بنت كعب أم عمارة، ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما** .



وهناك كتابان أعلن عنهما، ولكنني لم أطلع عليهما، ولست متأكداً من صدورهما، وهما : " **حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة بنت ثعلبة** "، و" **من خير نساء العالمين خديجة وفاطمة** " (٣).

ولعلنا الآن نلقي نظرات سريعة حول إسهامات الأستاذ بريغش في فن السيرة .



*** مصعب بن عمير الداعية المجاهد:**

هو أول كتاب يقدمه بريغش للمكتبة الإسلامية، ونشرت طبعته الأولى عام ١٩٧٤م، وتوالت طبعاته بعد ذلك . أما الطبعة التي بين يدي فهي الطبعة الخامسة (١٤١٨هـ /١٩٩٨م)، وتقع في مائتين وخمس وتسعين صفحة من القطع دون المتوسط، وفيها الموضوعات التالية : مجتمع الجاهلية، حياة مصعب في الجاهلية، الدين الجديد، إسلام مصعب وتحمله المحن، أنواع المحن وأبعادها وقساوتها، مصعب الداعية، مصعب المجاهد، مصعب الشهيد .

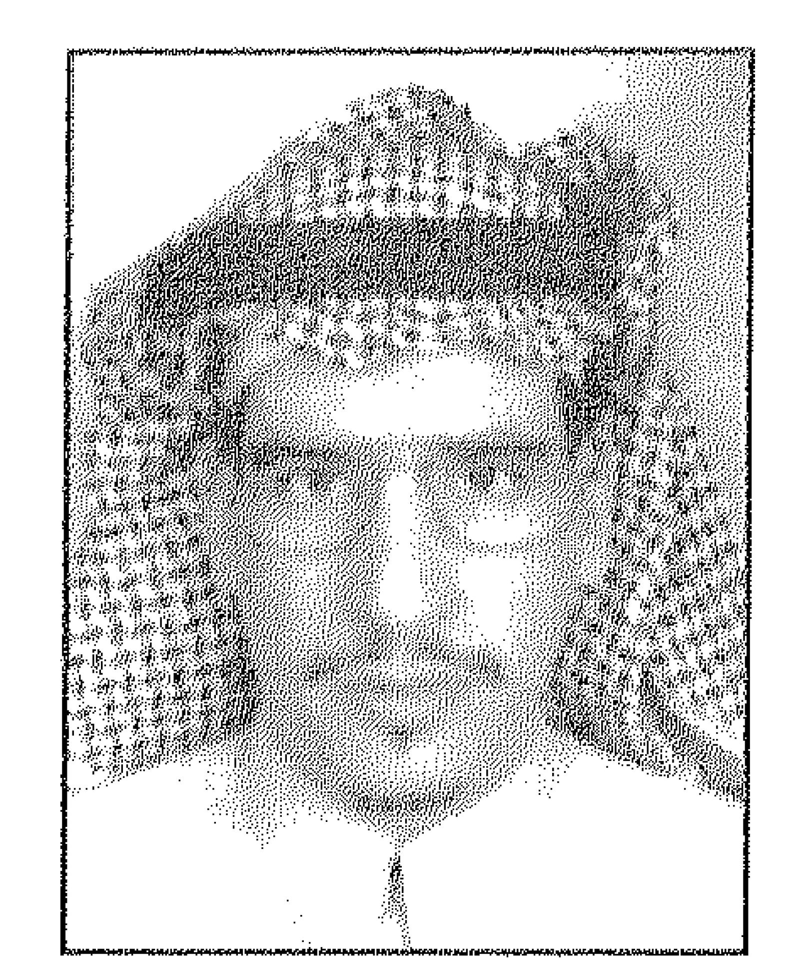
*** أبو بصير قمة في العزة الإسلامية :**

اطلعت على الطبعة السادسة، والمنشورة عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، وهو أصغر كتبه حجماً، ويقع في نحو

تسعين صفحة من القطع الصغير .

وأبو بصير واحد من صحب النبي ﷺ الذين حبستهم قريش عن الهجرة وأوقعت بهم البلاء العظيم .

من موضوعات الكتاب : أبو بصير دعوة وطريق، أبو بصير وفئة المستضعفين، الإيمان والوعي والعمل، الأمل والطريق، موقف فريد، الفرج والطريق.



بقلم : د . عبد الله الحيدري*
السعودية

*** خالد بن سعيد بن العاص الصحابي المجاهد :** يقع الكتاب في مائتين وأربع وعشرين صفحة من القطع دون المتوسط، وفيه الموضوعات التالية : السيد الكبير، المسلم المضطهد، في دار الهجرة الأولى، في كنف رسول الله، في عهد الصديق رضي الله عنه، الفتوحات في الشام .

*** نسيبة بنت كعب المازنية (أم عمارة) :**

بين يدي الطبعة الثالثة، وقد صدرت عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وتبلغ صفحاتها مائة وأربع صفحات من القطع المتوسط.

وقد تناول الأستاذ بريغش سيرة هذه الصحابية الجليلة من خلال العناوين التالية : نسبها، أم عمارة والأنصار، نسيبة وبيعة العقبة، نسيبة وغزوة أحد، نسيبة الجريحة، أم عمارة تحدد معالم المعركة، بعيد المعركة، نسيبة في مواطن أخرى، أم عمارة ومسيلمة الكذاب، نسيبة ومسؤولية المرأة، نسيبة وحديث رسول الله ﷺ.

*** ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما :**

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م عن مكتبة الحرمين بالرياض في جزأين :الأول ترجم فيه لأسماء رضي الله عنها وتناول سيرتها باستفاضة في نحو مائة وسبعين صفحة، والآخر سماه " مسند أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما "، وفيه رصد الأحاديث التي روتها أسماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي عام ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م صدر الجزآن معاً في كتاب واحد تحت عنوان " ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما " عن مؤسسة الرسالة ببيروت، وبلغت صفحات الكتاب ثلاثمائة وسبع صفحات من القطع المتوسط .

دوافع الكتابة :

يمكن تحديد دوافع الكتابة عن الشخصيات والترجمة لهم في أربعة دوافع، وهي : " المعاصرة، الانتصار للمذهب، الإعجاب بالشخصية، توافر المصادر الضرورية " (٤).

وبالاطلاع على أعمال الأستاذ بريغش نجد أن الدافع الرئيس لتأليفها هو " الإعجاب بالشخصية "، ومحاولة تقريبها للشباب والشابات لغرس قيم الاحتذاء والقدوة في نفوسهم .

وهناك دافع تربوي يحاول أن يغرسه في نفوس قرائه بتأثير من عمله في التدريس والتوجيه سنوات طويلة، ودافع دعوي يتضح من خلال تأكيد هذه الصفة في شخصياته المختارة، وفي العناوين الفرعية لأعماله السيرية مثل وصفه لمصعب بن عمير رضي الله عنه بـ "الداعية المجاهد " .

يقول محدداً اختياره لشخصية مصعب : " كان اختياري لشخصية مصعب رضي الله عنه بالذات لكونه الصحابي الشاب الذي ما زال يحمل في نفسه تطلعات الغد وفي جسده فورة الشباب، ومع ذلك بايع الله سبحانه بيعة الإيمان والصدق ..، فانسلخ من جاهليته وبرئ منها براءة تامة ..، وأملي أن تكون هذه الدراسة قد حققت الغرض الذي هدفت إليه في إعطاء أنموذج حي عن الدعاة المسلمين " (٥).

ويأتي اختياره لشخصية أبي بصير رضي الله عنه ليضرب به المثل في الصبر وتحمل المحن، وليقدم بشخصيته النموذج الأمثل للداعية الصبور . يقول : " أبو بصير واجه موقفاً محرجاً بعد صلح الحديبية فلم يقف أمامه حائراً، بل دفعه الإيمان إلى استشفاف الطريق الصحيح لمواصلة الدعوة والاستمرار بالجهاد، فكان عمله نموذجاً احتذاه المستضعفون في مكة، وخط بذلك معالم الطريق حتى لا ييأس مؤمن بعد محنة ولا يقعد مسلم أمام عثرة " (٦).

* أستاذ الأدب غير المتفرغ بكلية اللغة العربية بالرياض .

وفي محاولة للوصول بأفكاره للشباب والشابات على السواء، نجد الأستاذ بريغش لا يقتصر في اختياره للشخصيات على الرجال، بل يقدم نماذج مشرقة من النساء اللاتي شاركن في الدعوة والجهاد، وهدفه الوصول والتأثير في الفتيات عندما يقرأن سير بنات جنسهن فيحفزهن ذلك على الرغبة في تأمل سيرهن ومحاولة الاستفادة والاحتذاء .

وقد قدم الأستاذ بريغش في هذا الإطار كتابين ضمن سلسلة " نماذج من نساء العقيدة "، وهما : نسيبة بنت كعب، وذات النطاقين .

يقول في مقدمة الأول : " كان الهدف من هذه السلسلة وضع صورة واقعية أمام المرأة المسلمة المعاصرة من خلال هذه النماذج " و " أن ترى المرأة المسلمة نماذج متنوعة تعرض فيها ألوان من الظروف والمناسبات والطبائع والوقائع والشخصيات من خلال عرض هذه السير بطريقة هادفة " (٧).

ويلح على الهدف الدعوي حينما يقدم كتابه عن أسماء رضي الله عنها فيقول : " كثيراً ما استوقفتني حوادث الصحابيات الكريمات اللواتي صحبن فجر الدعوة وشاركن فيها ...، وكانت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين واحدة من هؤلاء النسوة الطاهرات اللواتي ضربن أروع الأمثلة في الإيمان والصدق " إلى أن يقول : " أريد من المرأة المسلمة والرجل المسلم أن ينهض اليوم ليقرأ تاريخه ...، ليحمل الراية من جديد " (٨).

المنهج والأسلوب :

اعتمد بريغش في عناوين كتبه على العناوين المركبة، وهي التي تتكون من ثلاثة ألفاظ فأكثر، وانقسمت عناوانات الكتب قسمين : رئيس وفرعي مثل : "مصعب بن عمير : الداعية المجاهد "، و " أبو بصير : قمة في العزة الإسلامية "، و" ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما " .

وتضمنت أربعة منها إهداء، فيما خلا الخامس، وهو " ذات النطاقين " من ذلك . وقد أهدى كتابه الأول " مصعب بن عمير " إلى أبيه، وكتابه الثاني " أبو بصير " إلى أمه، فيما جاء إهداء كتابه الثالث " خالد بن سعيد " عاماً قال فيه : " إلى من أنظر إليهم بعيون الأمل ليكونوا صورة إسلامية مشرقة في عصر عز فيه الصادق الثابت، وصعب على الناس التزام الحق " .

وأهدى كتابه " نسيبة بنت كعب " إلى الأحبة الصغار من أبنائه وبناته " لعلهم يتأسون بهذه النماذج من الرجال والنساء " .

وفي كتابه عن مصعب رضي الله عنه مدخل تاريخي مطول عن مجتمع الجاهلية بلغ ستاً وعشرين صفحة، في حين خصص اثنتي عشرة صفحة من كتابه عن خالد بن سعيد رضي الله عنه للحديث عن البيئة الجاهلية .

وإذا كان كاتب السيرة يعتمد على مراجع تعينه على تصوير الشخصية، فإن الأستاذ بريغش قد يذكر مراجعه وقد يهملها، ففي كتبه عن مصعب وخالد بن سعيد وأبي بصير رضي الله عنهم أجمعين أورد قائمة بمراجعه، غير أنه لم يستكمل المعلومات (الببلوجرافية) عنها، في حين جاءت مراجع كتابه أبي بصير غير مرتبة هجائياً، وخلا كتاباه عن نسيبة وأسماء رضي الله عنهما من المراجع .

وتتفاوت مصادره ومراجعه بين قديم وحديث، وأبرز مصادره : الاستيعاب، وأسد الغابة، والإصابة، وتاريخ الطبري ؛ وتأتي كتب سيد قطب وأخيه محمد في مقدمة المراجع مثل : في ظلال القرآن، وهذا الدين، ومعالم في الطريق، وجاهلية القرن العشرين، وغيرها .

ويحاول بريغش، وخاصة في كتابيه عن مصعب وخالد رضي الله عنهما أن يوثق معلوماته، وأن يشرح بعض الكلمات، مع حرصه - في كثير من الأحيان - على

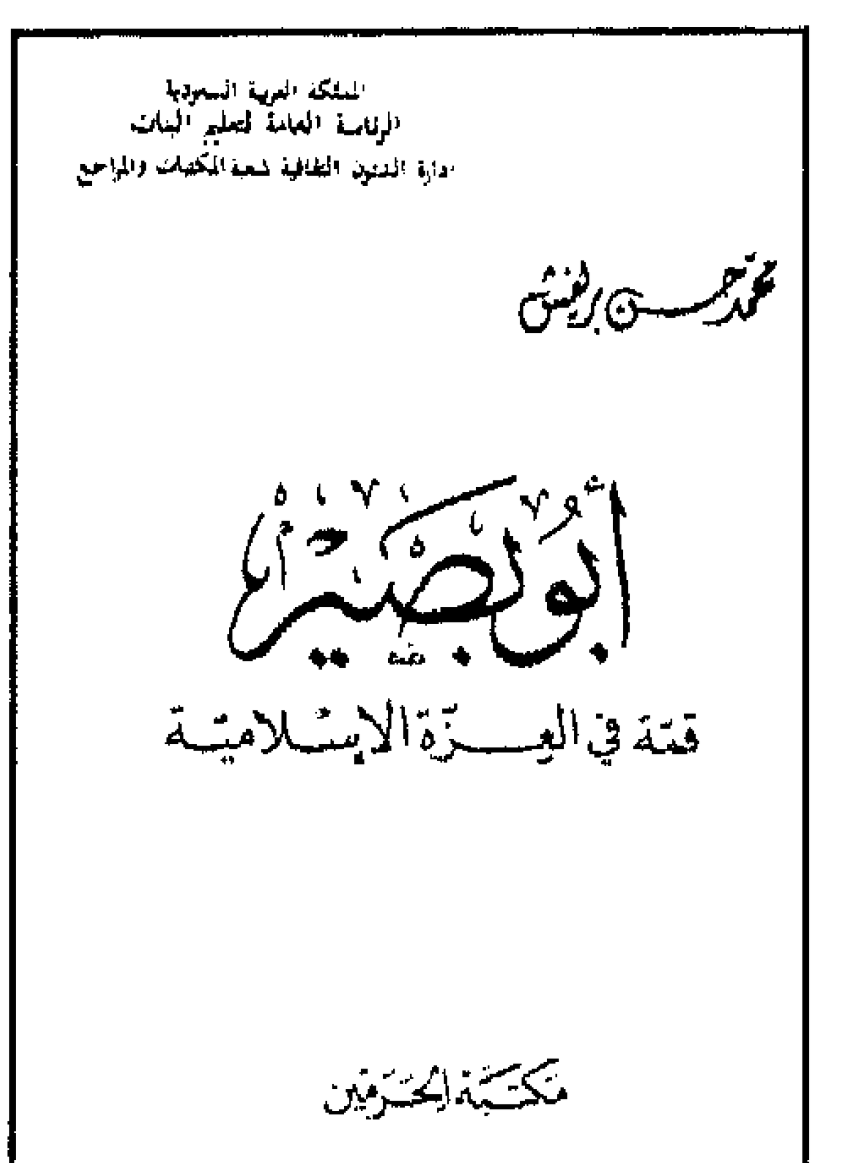
تخريج الآيات والأحاديث، ولكنه قد ينسى ذكر الصفحة والجزء أو رقم الآية (٩).

وفي عرضه لشخصياته يلبس لبوس كاتب السيرة، لكنه يتحول أحياناً إلى مؤرخ أو واعظ، والفارق بين كاتب السيرة والمؤرخ دقيق تشير إليه الدكتورة رشيدة مهران فتقول : " كتّاب التاريخ تعنيهم الأحداث بالدرجة الأولى ولا يتحدثون عن الأشخاص الذين صنعوا التاريخ إلا باعتبارهم فاعلين للأحداث " (١٠).

ويصرح الأستاذ بريغش في كتابه عن مصعب رضي الله عنه بأن البحث ليس" ترجمة بالمعنى المعروف في باب التراجم والسير " (١١).

يتحول الأستاذ بريغش إلى مؤرخ أو أشبه بالمؤرخ حينما تحدث عن مجتمع الجاهلية، وحاول أن يتوقف عند دروس معركة أحد في كتابه مصعب بن عمير(١٢)، وعندما تحدث عن البيئة الجاهلية في كتابه خالد بن سعيد (١٣).

وأما الجانب الوعظي فهو هدف مباشر يحاول من خلاله المؤلف بث أفكاره للقراء ترغيباً أو ترهيباً، ومثاله من كتابه عن مصعب رضي الله عنه : " كم يسقط اليوم أناس في هذا المنزلق الخطير رغبة في الجاه الزائل، وجهلاً بالقيمة الحقيقية في الحياة ..، والداعية الذي يبايع الله بيعته الصادقة لن يكون وفياً في بيعته إذا لم يتخل عن وشائج الجاهلية وآثارها " (١٤).



وفي كتابه عن أم عمارة رضي الله عنها يربط بين واقع المرأة بالأمس واليوم، فيقول عن واقعها الحالي واستغلالها من قبل أعداء الإسلام : " غدت اليوم عاملاً مهماً تستغله الجاهليات الحديثة لإفساد الشباب وامتصاص طاقاتهم وإشغالهم عن الغايات السامية، وأضحت غرضاً يسعى إليه الساعون بعد أن صنعت منها الجاهلية صورة مغرية وألهبت من أجلها عواطف الشباب وأحاسيسهم .." (١٥).

وفي كتابه عن أسماء رضي الله عنها يصرخ : "هل يمكن للمرأة الغارقة في الرفاه التي تستهلكها الدنيا من طعام وشراب وزينة وتفاخر ومظاهر براقة، كيف يمكن لهذه المرأة أن تربي رجالاً أبطالاً، وعلماء أتقياء، وزهاداً كرماء " (١٦).

مع ما في هذه الاستطرادات من فوائد تربوية يتجه بها المؤلف للشباب والشابات ـ على وجه الخصوص ـ، فإنها في المقابل تضر بالسياق العام للنص، وتعمل على إحداث خلل في نمو شخصية البطل وتطورها .

وبالمناسبة، فإن للبطل أهميته البالغة في العمل السيري، فهو من جهة يمثل الشخصية الرئيسة، الشخصية الأكثر حضوراً، وأهميته بالنسبة للقارئ والكاتب في آن واحد، وهو ـ أي البطل ـ من جهة أخرى يحمل من خلال حياته وحركاته ومواقفه وأقواله الرسالة المضمونية للعمل، والفكرة الأساسية التي هدف الكاتب إليها (١٧).

ومما يمكن أن يمثل به من استطرادات الأستاذ بريغش ـ إضافة إلى ما سبق ـ حديثه عن ابن مسعود رضي الله عنه في نحو سبع صفحات متواصلة في كتابه " خالد بن سعيد "، وتعقيبه على إسلامه بوقفة تأمل تضمنت تحليلاً في أكثر من ثلاث صفحات (١٨).

ولقد عني الأستاذ بريغش في سياق الكشف عن حيوات شخصياته بالمقارنة بين حالين، ملحاً على الأسباب التي جعلت هذه الشخصية تنتقل من حالتها الأولى وما فيها من لهو وطيش ونعيم، إلى الحالة الأخرى وما فيها من امتحان وصبر ؛ ليخلص من ذلك إلى الدافع لاختيار الأخرى على الأولى، وهو قوة الإيمان، وحلاوة العقيدة، والرغبة في النعيم الأبدي في جنة الخلد .

وقد ساعده على ذلك اختياره لشخصية مصعب بن عمير رضي الله عنه، ذلك الفتى المدلل الذي ثار على سلطة الأبوين، واعتنق الإسلام، وتحمل في سبيل ذلك كل تعذيب وامتحان بصبر وإيمان راسخين حتى استشهد رضي الله عنه .

يقول الأستاذ بريغش مقارناً بين الحياتين : " ها نحن نرى أن هذه النعم التي كانت تحيطه في جاهليته تنقلب نقماً من الجاهليين ضده، والرعاية والرفاه الذي تقلب فيه قد تحول إلى محنة عصيبة وفقر شديد وظلم مجحف، ولكنه مع ذلك ارتفع بإيمانه السامق عالياً ليحل محل كل هذا الذي افتقده من الجاهلية " (١٩).

وفعل الشيء نفسه حينما قص لقرائه انتقال خالد بن سعيد بن العاص من حياة الكفر إلى الإيمان وكيف تحمل في سبيل ذلك غضب والده وتعذيبه، وفي ذلك يقول:" في هذا الجو ..أسلم خالد بن سعيد، وتحمل في سبيل إسلامه شتى التبعات والمحن، كان أولها انتقاله من نعمة العيش الهنيء والحياة الرغدة إلى الفقر والضنك، ولكن ذلك لم يفتنه في دينه، ولم يباعد بينه وبين دعوته .." (٢٠).

ومن المواضع التي وفق فيها الأستاذ بريغش إلى حد كبير، تصويره لمعركة بدر، وتركيزه على شخصية بطله (مصعب بن عمير)، يقول : "لن يكون مصعب إلا في مقدمة الصفوف، وبين طلائع المجاهدين ..، وهاهو مصعب يخوض معركة بدر بعد أن انتصر في معركة الجهاد الأولى مع نفسه ..، وكان مصعب يحمل اللواء في الجهاد ..، وكان مصعب نموذجاً للمؤمن الشجاع الصادق الذي يندفع لاختراق صفوف الأعداء ..ها هو مصعب في وسط القوم كالأسد الضاري، واللواء ـ لواء الحق ـ ما زال يرتفع، لقد اخترق به الصفوف ..، وظلت المعركة محتدمة ومصعب في قلب الصفوف يحمل اللواء خفاقاً عالياً، شامخاً شموخ الإيمان .." .(٢١).

فالملاحظ إلحاحه على متابعة مصعب ومواقفه في المعركة دون أن يستطرد بذكر مواقف الآخرين من الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا يعطي الشخصية ظهوراً في العمل وبروزاً في خضم الأحداث مما يكوّن بالتالي صورة واضحة للقارئ عن حياته ومواقفه .

وقد يستخدم الأستاذ بريغش الحوار لإضفاء الحيوية على النص، ومثال ذلك من كتابه عن أبي بصير رضي الله عنه، يقول :

" ـ كيف حالك أبا بصير ؟

ـ الحمد لله، أشعر بشيء من العافية .

ـ هل لك في بعض الطعام ؟

ـ لا أريد شيئاً يا أبا جندل " .

وينزع إلى تصوير الحالة النفسية لشخصياته حين يقول على لسان أبي بصير : " أخي ..أبا جند...ل أعطني قليلاً من الماء " (٢٢) .

فالكاتب هنا يريد أن يصور الموقف تصويراً دقيقاً مظهراً حالة أبي بصير وهو يعاني الإرهاق والعطش .

وبعد، فهذا بحث كتبته على عجل استجابة لدعوة كريمة من هذه المجلة، وإلا فإن كل كتاب يحتاج إلى وقفة مستقلة يبسط فيها القول حول قيمته الأدبية .

رحم الله الأستاذ محمد حسن بريغش الكاتب والداعية المسلم لقاء ما قدم للمكتبة الإسلامية من أعمال ستظل خالدة في نفوس الأجيال . ■

الهوامش:

(١) انظر: د.هاني العمد، دراسات في كتب التراجم والسير، ط١، عمان: الأردن، ١٩٨١م، ص ٩ .

(٢) انظر: إحسان عباس، فن السيرة، بيروت: دار الثقافة، (د.ت)، ص ٧٣، ٧٤ .

(٣) انظر: محمد حسن بريغش، نسيبة بنت كعب المازنية، الأردن: الزرقاء ـ مكتبة المنار، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٠٤ ؛ وانظر: ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص ٣١٠ .

(٤) انظر: دراسات في كتب التراجم والسير، ص ١٦ .

(٥) انظر: محمد حسن بريغش، مصعب بن عمير الداعية المجاهد، ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ١٣، ١٤ .

(٦) انظر: محمد حسن بريغش، أبو بصير قمة في العزة الإسلامية، ط٦، الرياض: مكتبة الحرمين، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٧ .

(٧) انظر: نسيبة بنت كعب، ص ٥ .

(٨) انظر: ذات النطاقين، ص ٥، ٦ .

(٩) انظر: مصعب بن عمير، ص ٩٦، ١٥٩ .

(١٠) في كتابها " طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية "، ط١، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ١١٢ .

(١١) انظر: مصعب بن عمير، ص ١٠ .

(١٢) المرجع السابق، ص ١٥، ٢٦٧ .

(١٣) انظر ص ١٣ وما بعدها .

(١٤) انظر ص ١٢٧ .

(١٥) انظر ص ٦٣، ٦٤ .

(١٦) انظر ص ٩٤ .

(١٧) انظر: حسن حجاب الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ط١، جازان: النادي الأدبي، ١٤٢١هـ، ص ٤٤ (بتصرف) .

(١٨) انظر محمد حسن بريغش " خالد بن سعيد "، الصفحات ٤٩ ـ ٥٦، والصفحات ٧٤ ـ ٧٧ .

(١٩) انظر كتابه " مصعب بن عمير "، ص ١١٣ .

(٢٠) انظر كتابه " خالد بن سعيد "، ص ٨٩ .

(٢١) انظر الصفحات ٢٣٨ ـ ٢٤٥ .

(٢٢) انظر ص ٥٤، ٥٥ .

محمد حسن بريغش في المشكاة

(ملف خاص)



١ - مراث وشهادات ودراسات

- إنهم يرحلون - رئيس التحرير
- أبا حسن- عدنان علي رضا النحوي
- أنات قلب جريح - حسن بريغش
- محمد حسن بريغش الإنسان - منير الغضبان
- عتاب وجوابه - حسن الأمراني
- قصة وقصيدة - حسن الأمراني
- ديوان الرفاعي : جمع وتحقيق محمد حسن بريغش«أشتات» عبدالله الطنطاوي
- الأقنعة الشفافة في مجموعة (الشيخ والزعيم) القصصية لمحمد حسن بريغش - محمد الحسناوي
- رحيل أديب إسلامي في صمت - حلمي محمد القاعود
- الأستاذ محمد حسن بريغش مربيا - لطيفة عثماني
- الأستاذ محمد حسن بريغش الأديب الناقد - صورية مروشي
- ومضات نقدية في كتاب (في القصة الإسلامية المعاصرة) - أم سلمى
- دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة - مأمون فريز جرار

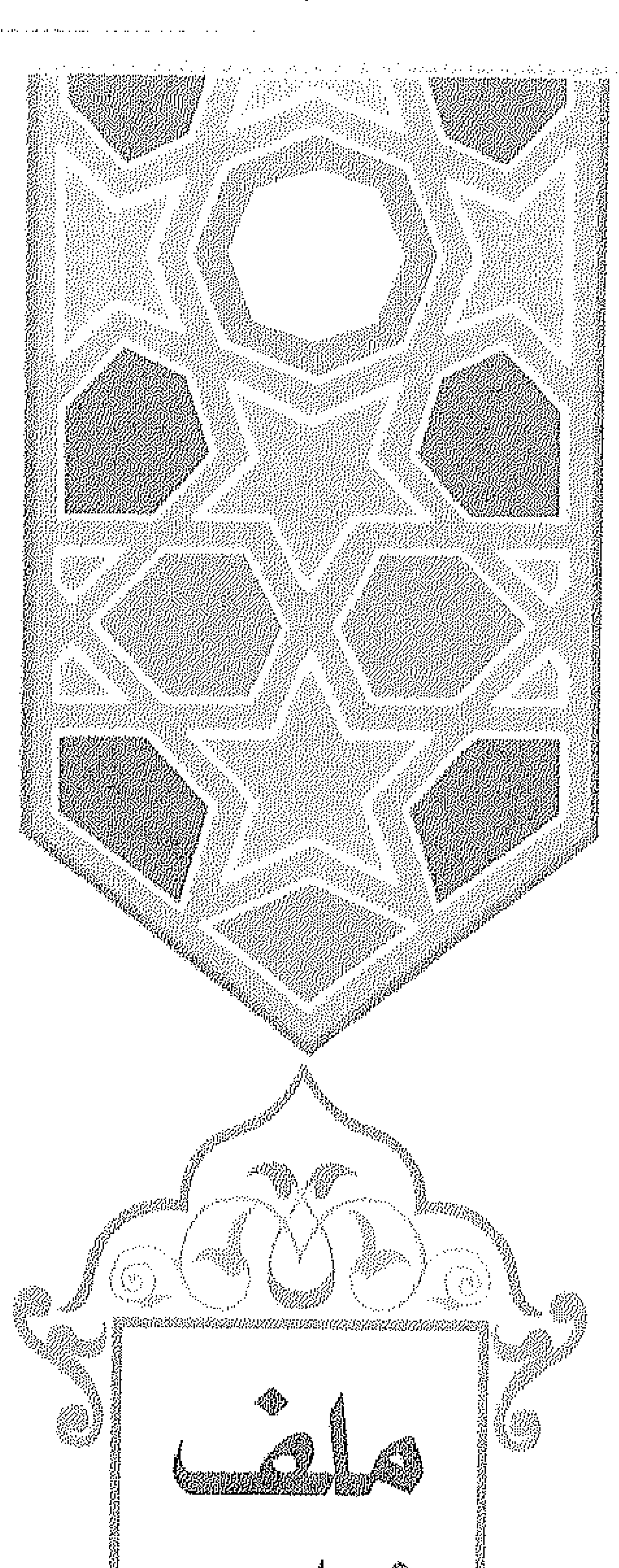
٢ -حوار مع الأستاذ محمد حسن بريغش:

- أجرى الحوار المداني عدادي

٣ - مقالات الأستاذ محمد حسن بريغش - رحمه الله تعالى

- الشيخ أبو الحسن الندوي الأديب الناقد - محمد حسن بريغش
- الأديب ومسؤوليته نحو أمته - محمد حسن بريغش
- رحلة مع الريح والجذوة - محمد حسن بريغش

* مجلة المشكاة العدد (٤٣-٤٤) ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، تصدر عن المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في المغرب.
العنوان : ص.ب ٢٣٨ - وجدة - المغرب - هاتف وفاكس : ٢١٢٥٦٥٠١٩٢٥
بريد إليكتروني : almichkate83@yahoo.fr
الموقع على الإنترنت: httb://www.khayma.com/almichkat



تلاحم الأدب بالدعوة منذ فجر الإسلام ، وكان لسانها المعبر ، وتاريخها المسطر إلى عصرنا الحاضر وسيبقى كذلك.

وإذا كان تاريخنا القديم حافلا بالأدباء الدعاة أو الدعاة الأدباء ، فإن في تاريخنا الحديث نماذج مضيئة اقتدت بأولئك الأفذاذ وسارت على منهجهم .. الأديب الداعية محمد حسن بريغش نموذج معاصر لما نقول .. كتب ونقد وأصّل في السيرة التاريخية والقصة والرواية وأدب الأطفال والتربية المنهجية .

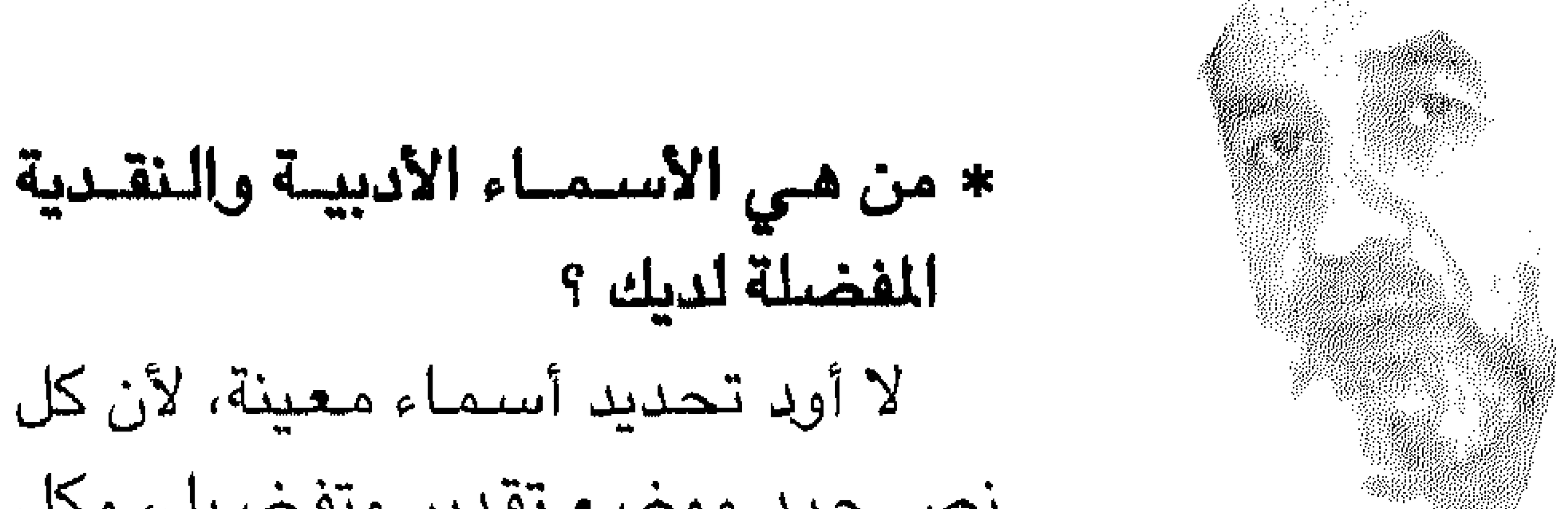
تلقت مجلة الأدب الإسلامي هذا الحوار الذي أجري معه في المغرب ولم ينشر من قبل .

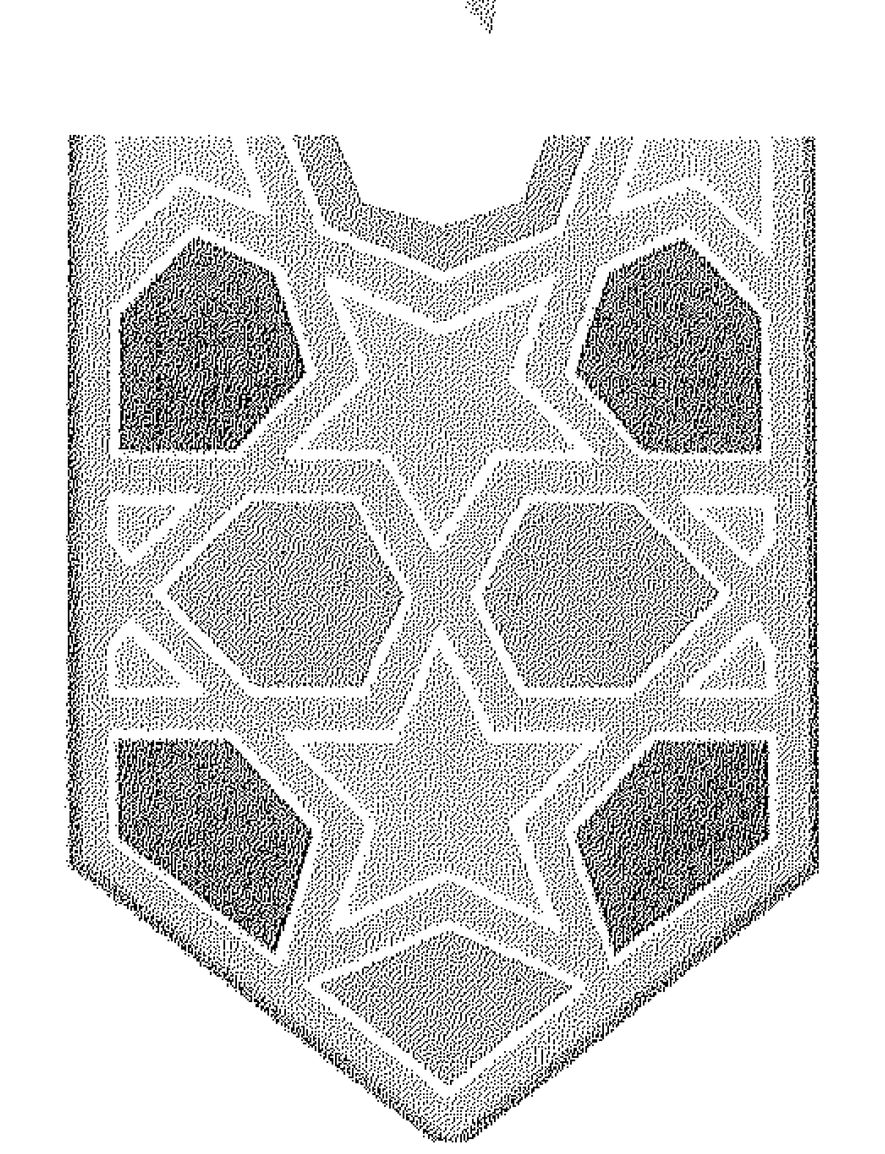
الأدب الإسلامي

ملف خاص

في حوار مع محمد حسن بريغش:

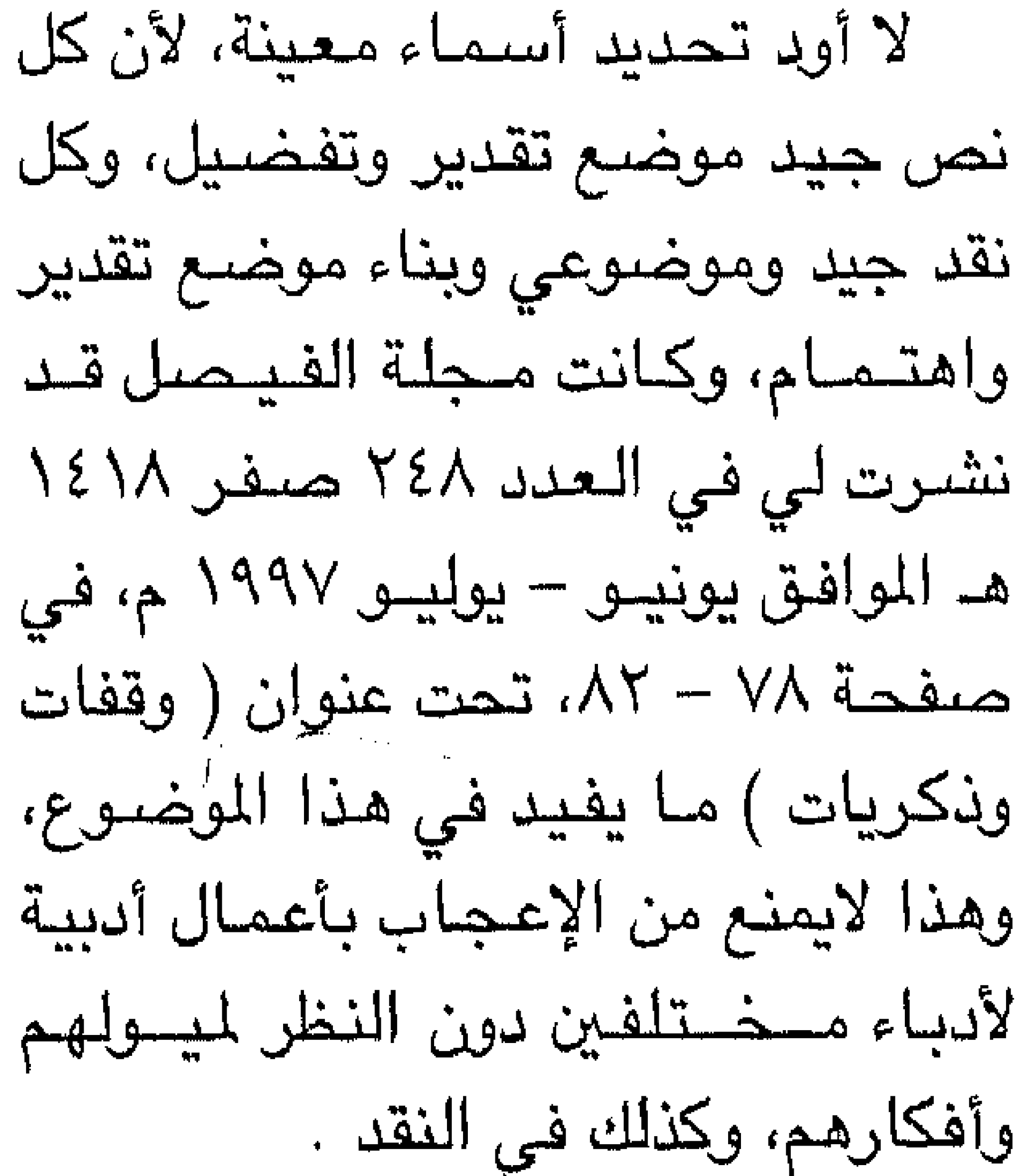
الأدب الإسلامي ليس نظرية بل هو قديم مستمر





*** من هي الأسماء الأدبية والنقدية المفضلة لديك ؟**

لا أود تحديد أسماء معينة، لأن كل نص جيد موضع تقدير وتفضيل، وكل نقد جيد وموضوعي وبناء موضع تقدير واهتمام، وكانت مجلة الفيصل قد نشرت لي في العدد ٢٤٨ صفر ١٤١٨ هـ الموافق يونيو - يوليو ١٩٩٧ م، في صفحة ٧٨ - ٨٢، تحت عنوان (وقفات وذكريات) ما يفيد في هذا الموضوع، وهذا لايمنع من الإعجاب بأعمال أدبية لأدباء مختلفين دون النظر لميولهم وأفكارهم، وكذلك في النقد .



فلقد أعجبت ببعض الروايات لنجيب محفوظ، ولم يرتق فيما كتب إلى هذه الروايات، ولكن الشهرة غطت على كثير من رواياته، وأسهمت في قبولها ... وأعجبت بروايات حنا مينة رغم مضامينها التي لا أوافق عليها، ولباكثير روايات ومسرحيات ممتازة ولمحات ذكية، ولم يأخذ حقه من النقد، والعقاد كاتب قوي في نقده ونقاشه وعرضه لبعض الشعراء ولا سيما ابن الرومي، والمازني موهبته أدبية، والرافعي لون خاص قرأ كل ما نشر، عربي جلي العبارة، قوي

التراكيب، عميق التصوير، دقيق في التعبير عن خلجات النفس، وسيد قطب قمة في الأسلوب الأدبي الممتع، قوي في النقد،، ذواقة قدير عميق، وعماد الدين خليل كاتب موهوب، يغطي أسلوبه على فكره، وتظهرعباراته الشاعرية في شفافيتها فيغفو على نسماتها ونعومتها وجمالها القارئ، ويقبل ما فيها، ولو كان ضعيفا أو غير صحيح، أحبه أخا عزيزا، جمعتنا أواصر الأخوة وهموم الأدب والفكر .

هنالك أسماء كثيرة جدا من القديم والحديث في مختلف فنون القول لا مجال الآن للتحدث عنها أو ذكرها .

*** ماهي اهتماماتك العلمية اليوم وماذا عن مشاريعك استقبالا ؟**

اهتماماتي الحالية في عدد من الموضوعات وأولها قضية التربية لأنها مفتاح المستقبل والتغيير نحو الأفضل . الغرب أمسك مقاليد التربية في العالم الإسلامي، وصاغ الأجيال على منوالها، ولذلك حقق هذا التفوق والسيطرة، ولم يعد بحاجة إلى جيوش ومعارك بالسلاح، والأمر في غاية الأهمية والدقة، والخلق فيه كثير وكثير من العلماء لم يعودوا يتبينون أمور التربية بشكل صحيح .

والموضوع الثاني وهو فرع من الأول، ما يتعلق بالأطفال، ومنه أدب الأطفال .

والموضوع الثالث وله علاقة بالأول وهو موضوع المرأة وإعدادها . والموضوع الرابع موضوع الأدب وتحريره من براثن المناهج الغربية ويدخل فيه الشعر والقصة والمسرح والتراجم والنقد ... وأتابع هذه الموضوعات وأعد بعض الكتب عنها .

*** أنتقل فيما يلي إلى مناقشة أعمالك الأدبية والنقدية وأستهلها بالسؤال عن سر اهتمامك بفني السيرة والقصة إبداعا ونقدا، وما حظ المعاصرين في تراجمك ؟**



حوار: د. خالد الدادسي*
المغرب

اهتممت بالسيرة لأنها توفر الفرصة لرسم صورة واقعية تاريخية أمام الأجيال، ولذلك - كما قلت في بعض الكتب - لم أنظر للأمر من باب فن السيرة بقدر ما حاولت وضع صورة حية ناطقة أمام الشباب والجيل، وربما نجحت أو لم أنجح في ذلك، ولكن هذا الهدف كان واضحا أمامي .

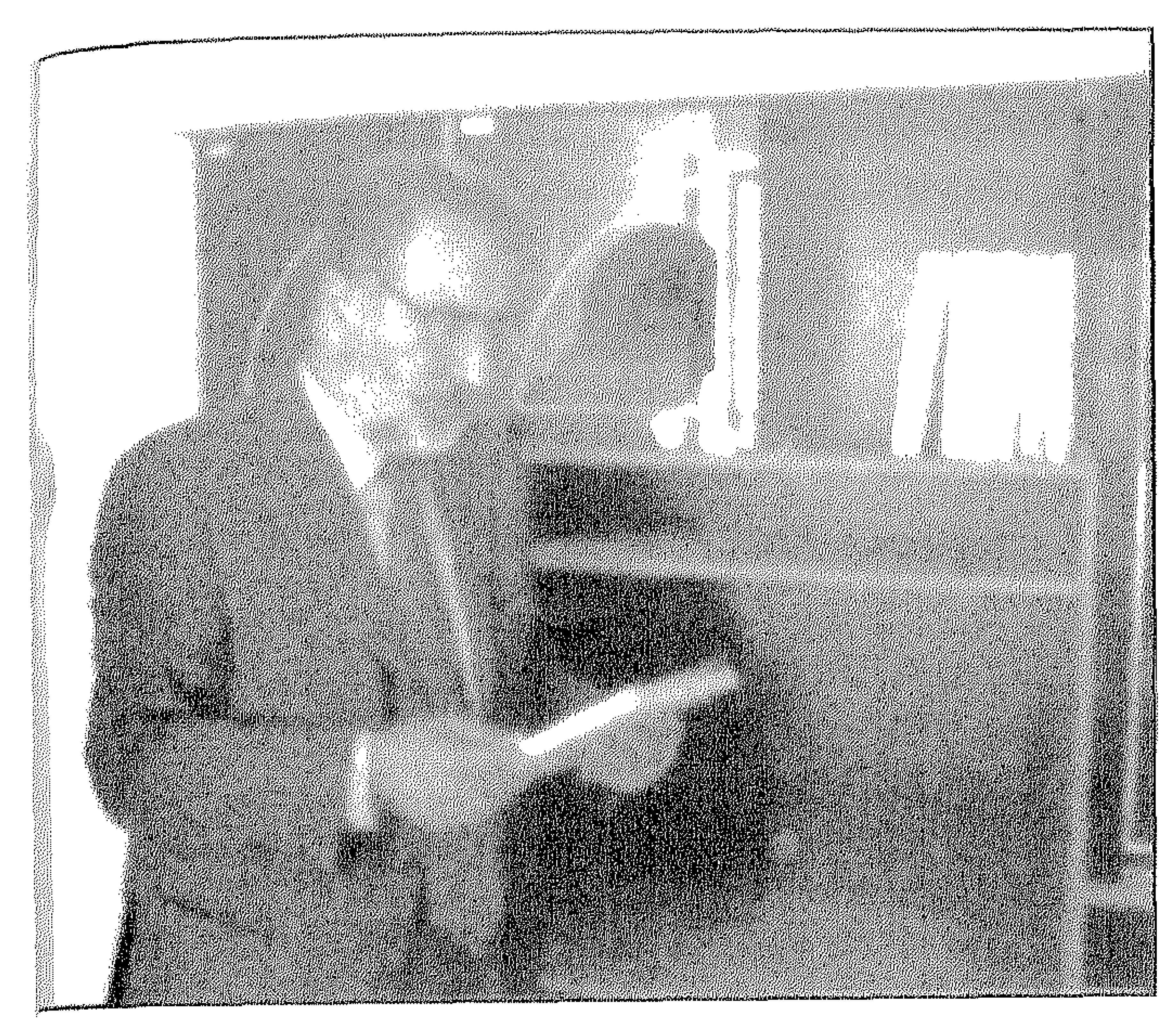
وأما القصة فلأنها تأخذ مساحة تبلغ أكثر من نصف الإبداع الأدبي الحديث، فضلا عن أنها أصبحت وسيلة لطرح الأفكار والرؤى والفلسفات والآراء، وهي قادرة على تصوير كثير من الأمور ووضعها أمام القارئ بصورة حية فاعلة . ولذا فالاهتمام بها يفتح مجالا أمامنا لمعرفة العصر وطرح الأفكار ومناقشتها، ولا ننسى أن الله عز وجل اختار القصص في كتابه الكريم ليلفت انتباه المسلم إلى كثير من العبر ولتقرير كثير من الحقائق ولرسم خطوط المستقبل ومعالم الهدى .

أما عن تراجم المعاصرين فهي موضع اهتمام، ولا سيما أن أصحاب الآراء الغربية والمعتقدات المادية شوهوا الحقائق وصوروا الحاضر كما يريدون وكتبوا عن المعاصرين بما يحلو لهم وأوهموا الجيل الحالي أنهم هم صانعو كل شيء عن طريق ما كتبوه عن شخصياتهم ورجالاتهم بينما ظل المثقفون والعلماء الصالحون طي النسيان، وبدأ بعض الغيورين في الالتفات إلى هذا الأمر والكتابة عن عدد من الشخصيات الإسلامية في العلم والأدب والفكر والتربية والدعوة، لأنهم كانوا بناة حقيقيين، وكان لهم دور وفضل في عصرهم، ومن ذلك أن مؤسسة الرسالة ودار البشير قد بدأت سلسلة بعنوان أعلام المسلمين المعاصرين أو أعلام الإسلام المعاصرين وصدر منها ثلاثة كتب عن الدكتور مصطفى السباعي وأبي الأعلى المودودي ومحمود شاكر، وهناك أسماء كثيرة مطروحة للكتابة عنها على مساحة الوطن الإسلامي كله، وسيصدر تعريف بالسلسلة لدعوة الكتاب والقادرين على عرض صورة هؤلاء الأعلام .

* ما رأيك بالتفصيل في الأدب الإسلامي في المغرب المعاصر والشعر منه على وجه الخصوص ؟

إنني سعيد ومسرور باهتمام الكثيرين في المغرب بالأدب الإسلامي إبداعا ونقدا، وهناك مواهب وطاقات جيدة وممتازة وواعدة، ولكن هناك غبش - وهذا أمر طبيعي - فالغرب يهيمن على عالمنا كله بالمعلومات والأفكار والمنتجات الحديثة والاكتشافات المبهرة والتقدم التقني والمادي، وهذا الوضع - فضلا عن الهيمنة الاقتصادية والعسكرية- يؤثر في هذه الأجيال، وتختلط الحقائق بالأوهام والمادي بالمعنوي والمنتج الحضاري بالحضارة والسبب بالنتيجة . وأفكار الغرب تسوق لنا عبر الوسائل الإعلامية المختلفة وبصور أخاذة ومبهرة ومؤثرة، بل إن هذه الأفكار مبثوثة في مناهج تعليمنا في مختلف المراحل . ولذلك أضحى عسيرا التمييز الدقيق وأصبح الغبش قائما ومهيمنا، ولا أستغرب ما أراه هنا وهناك من هذا الأمر، ولا أستغرب تسرب هذه الأفكار والصور عبر إبداعاتنا المختلفة ونقدنا، وقد أشرت إلى ذلك فيما كتبت ولا سيما في كتاب «الأدب الإسلامي أصوله وسماته»، وغيره أيضا، وعندما أسهمت في الرد والتعقيب على ما قاله الدكتور عبدالله الغذامي في جريدة المسلمون وما طرح من آراء عن الحداثة .

ولذلك مع إعجابي وفرحي بالأدب الإسلامي بالمغرب، فإنني أتمنى أن يأخذ طريقه الصحيح، وأنطلق في ذلك من حقيقة واضحة وهي أن الأدب الإسلامي يعتمد على خاصيتين : الأدب والإسلامية، والإسلامية ليست اجتهادا، إنها عقيدة ربانية واضحة محددة وأحكام شرعية ومبادئ ثابتة غير قابلة للتغيير والتبديل، لأنها من الخالق الحكيم العليم الخبير، وإن محاولات البعض في هذا الأمر في تجاوز النصوص الواضحة وتفسير الأدلة نوع من الإنكار الخفي والتطاول على الله العزيز العليم، وكأننا ندعي



د . عماد الدين خليل

بأن الله عز وجل لم يكن يعلم أنه سيكون هناك عصر التكنولوجيا والصواريخ والحاسب الآلي والمعلومات، ولذلك فإننا نحتاج إلى رؤية تتجاوز هذا التصور، وأستغفر الله على ذلك .

إن العالم الغربي تيار جارف ظاهره الرحمة وفي داخله العذاب، وبرغم ما فيه من مظاهر مبهرة، فإن عوامل انهياره وتحطمه قائمة وتدهوره قادم بإذن الله، ونحتاج إلى نظرة شاملة ثاقبة، تتجاوز هذه المظاهر إلى الحقائق، وتتصدى للعدوان على هذه الحقائق بصبر وبصيرة ووعي، والمستقبل للإسلام، لأنه الوحيد الذي ينصر الإنسان ويحقق له السعادة والتقدم الحقيقي . الإنسان الحالي أصبح عبدا للتقنية، عبدا للآلة، عبدا لهذه الطاحونة التي لا تهدأ باسم التنمية والتطور و ..... والملايين يجوعون ويموتون والقلة الشيطانية تعبث بمقدرات الأمم وتلهو بتجارب تكلف المليارات من أجل مجد شيطاني لا طائل تحته ولا هدف إلا السيطرة والهيمنة .

لقد استطردت كثيرا وتجاوزت الموضوع المطروح، فمعذرة ...

المهم، الشعر لديكم - في نظري - سار في كثير من الأحايين - مع التيار الجارف باسم الحداثة،

وركب الموجة، وأصبح بمقدور كل من يستطيع كتابة كلمة مؤثرة أن يكتب شعرا باسم الشعر الحديث، وهناك - كما قلت - ثوابت عندنا، فالقرآن الكريم ليس شعرا، والرسول ﷺ ليس شاعرا أو لا يقول الشعر بمنطوق النصوص الثابتة الصحيحة، ولكنه بمقاييس الشعر الحديث فكثير من سور القرآن الكريم شعر وكثير من الأحاديث الشريفة شعر .... هذا تخريب - كما يصرح الحداثيون - للغة والمصطلحات والحياة كلها، يريدون صنع عالم شيطاني غير ثابت يتصرفون فيه كما يشاؤون، فلماذا نستجيب لهم، ستمضي الموجة إن شاء الله وتبقى الحقيقة .

*** ما سبب غياب الأدب المغربي في دراساتك، اللهم إذا استثنينا تلك القراءة اليتيمة في مجموعة على درب الله للريسوني، وكذا غياب الأدب الإسلامي القديم .**

أما عن غياب الأدب المغربي عن دراساتي، فلعدم توافر الوقت، وإلا لدي مشروعات لدراسة عدد من الأدباء ونتاجهم، ولدي تواصل مع كثيرين، وربما كان العمل الوظيفي يأخذ أكثر وقتي، ولا يترك لي فرصا للكتابة المتأنية، ولكن سأكتب إن شاء الله عن هذا الأدب، وكتاباتي عن الريسوني قديمة، وإن كانت تحتاج إلى مراجعة . وكذلك بالنسبة للأدب الإسلامي القديم، يحتاج إلى الوقت، ولدي طموحات كثيرة، ولكن أسأل الله العون .

*** يلاحظ المتتبع لدراساتك النظرية تحديدا أنك ما زلت تهتم بقضايا متجاوزة ومطروقة تتعلق بوجود الأدب الإسلامي وماهيته وحقيقته ووظيفته وسماته، إضافة إلى قضية الالتزام ونحو ذلك، ألا ترى بأن الباحث اليوم مدعو إلى الاهتمام بالموضوعات المستجدة والملحة ؟**

أما في دراساتي النظرية فهي مطروقة، ولكنها غير واضحة، فمسألة وجود الأدب الإسلامي ران عليه كثير من الغبش وأصبح المصطلح وكأنه حديث لا علاقة له بالماضي، ولهذا حرصت على إيضاح ذلك وأنه ليس نظرية، بل هو قديم مستمر، وكان لا بد من إيضاح بعض خصائصه وسماته التي لا غنى عنها، أو التي يفقد سمته الإسلامية إن غفل عنها المبدع والناقد . وهذا لا يتعارض مع الاهتمام بالموضوعات المستجدة، والملحة وإن كنت أتحفظ قليلا، فالأدب الإسلامي ينبغي أن يأخذ زمام المبادرة ويخط طريقه بثقة وصبر واستمرار حتى يصبح قائدا ومعلما، لا تابعا وملاحقا لما يطرح، أي ألا يهتم بردود الأفعال، وألا يصبح ملاحقا لما يطرحه الآخرون، وهذا الأمر يحتاج إلى تحديد واضح وإلى عمل موثق يقوم به أناس جديرون بذلك، يفهمون الإسلام، لا كفكرة وفلسفة وكتابات صحفية، وإنما عقيدة وأصولا ونصوصا وأحكاما قبل كل شيء، وكذلك سيرة وتاريخا ومجتمعا ومعاملات . وحينما يحدد الأدب الإسلامي موضوعاته وقضاياه التي ينبغي الحرص عليها، ويرسم مناهجه السليمة في مختلف الفنون الأدبية وفي النقد، وفي دراسته لتاريخنا الأدبي وتقويمه لمختلف الإبداعات الأدبية في العالم .

محمد منتصر الريسوني

*** سؤال أخير : في الوقت الذي ترفض فيه الشعر الحر .. وهذا أمر يختلف فيه أدباء الإسلام في المغرب مع إخوانهم في السعودية خاصة - يلاحظ اهتمامك بدراسته، كيف تفسر هذا التناقض ؟**

اهتمامي بدراسة كل إبداع - بما فيه الشعر الحر - إذا كان جديرا بذلك أمر لا يتعارض مع رأيي فيه، فأنا أدرس الأثر الأدبي وأبرز ملامحه وسماته وصوره بغض النظر عن الشكل، وأخيرا فإنني شاكر لك على هذا الاهتمام، وعلى هذه الأسئلة التي أثارت لدي هذه الخواطر . ■



يا صاحب الخُلق الجميل

جودي بيوم رحيله وأعيدي   من شدوك المفجوع بنت قصيدي
وابكي أبا حسن الأبيَّ ورددي   حسن العزاء فقد مضى لخلودِ
غربت بيوم وفاته شمس الوفا   ونأت خصال مودة وعهودِ
واستأثري بجميل تذكار له   فالذكر يحلو للفتى المحمودِ
قد عاش عمرا في ربيع تواضع   فاحت مآثره بطيب ورودِ
مترفعا عن كل ما يدني الخطى   من سوء فعل أو هوى ممدودِ
متمتعا بالصالحات وبالتقى   كالطائر الجواب بالترديدِ
مستأثرا بسكينة في بيته   مع أهله، وبخلقه المعهودِ
مستبعدا أهل الشقاق ومن له   باعٌ بفن المكر والتنكيدِ
ومجانبا من جاء بالقول الذي   يؤذي مجالسه بغير قيودِ
لما تصل منه الرسائل ملؤها   شدو الوفا إذ طاب يوم العيدِ

* * *

يا صاحب الخلق الجميل ويا أخا   كل الفضائل حزت سبق الجودِ
إذ قل في الزمن الرديء رجاله   فالسوق بين مضلِّل وبليدِ
بشراك - إن شاء الإله - بجنة   ترجى لكل مجاهد وشهيدِ
وبمجلس القرب الحبيب من الذي   وعد الكرام بحوضه المورودِ
إنا لنشهد يا أخي أن لم نعش   إلا رجاء الفوز بالموعودِ
تحدو وتكتب دون أدنى نبرة   دلت على طمع لأي صعودِ
طلقت أروقة الوجاهة راضيا   برواق ذي التمجيد والتحميدِ

واستنكرت كفاك أوسمة لهم ... تزهو بزيف سرابها في الجيدِ
(أمحمد الحسن البريغش) إنها ... دار الفناء لطارق وتليدِ
لم يبق منها غير ما صنع الفتى ... لرضى الإله الواحد المعبودِ

* * *

إن الألى من قومنا قد أدلجوا ... بمفازة واستبشروا بمزيدِ
ولظلّ زهوِ الباقيات تسابقوا ... يزجون خطو الشوق بالتغريدِ
ما غرهم لعب الحياة ولهوها ... أو ردهم ما كان من تصفيدِ
فلهم مواقف صدقهم وثباتهم ... في وجه كل مضلّل عربيدِ

* * *

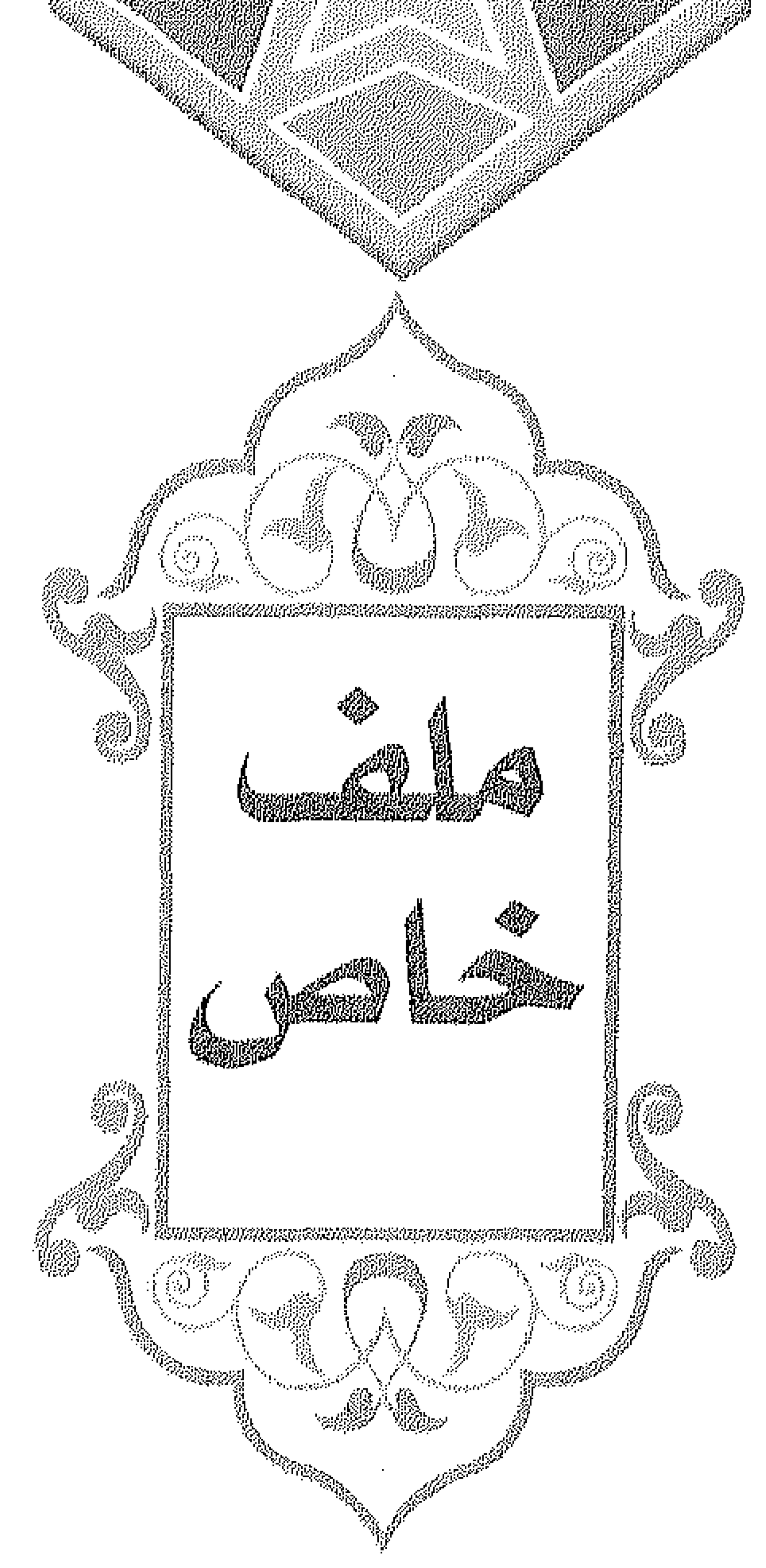
ذكراك باقية بسفر جهادنا ... ألقا ينير الدربَ سفرُ صمودِ
فندت دعوى لليهود خبيثة ... مدت مفاسدها يد التلمودِ
ذكراك في الكتب الأثيرة صغتها ... بقويم فكر ناصع منضودِ
سفهت فيها ما الحداثة أحدثت ... من مكر مبتدع وكيد حسودِ
وصفعت بالحجج السديدة زيفها ... فتهافتت بفسادها الموؤدِ
ورحلت لكن لم تزل برحابنا ... روحا بظل لوائنا المعقودِ
ورؤى لمن شاموا العلى وتزودوا ... من منهج التقوى بخير جهودِ
ولآلك الصبر الجميل فإنه ... نور يضيء دجى الليالي العودِ
في أسرة عاشت عقودا عذبة ... في بيت عز بالفخار مشيدِ
من زوجة صبرت وبنت حولها ... وابن أجاد وآخر العنقودِ
يرعاهم الرحمن في كنف الهدى ... من شرّ يتم أو هوى مردودِ
ويقيهم من فيض رحمته التي ... تغشى دروب المؤمنين الصيدِ
يا رب أنزله المنازل أفقُها ... مهوى قلوب مواكب التوحيدِ



شعر : شريف قاسم
سورية



أدب الأطفال .. أهدافه وسماته لدى محمد حسن بريغش

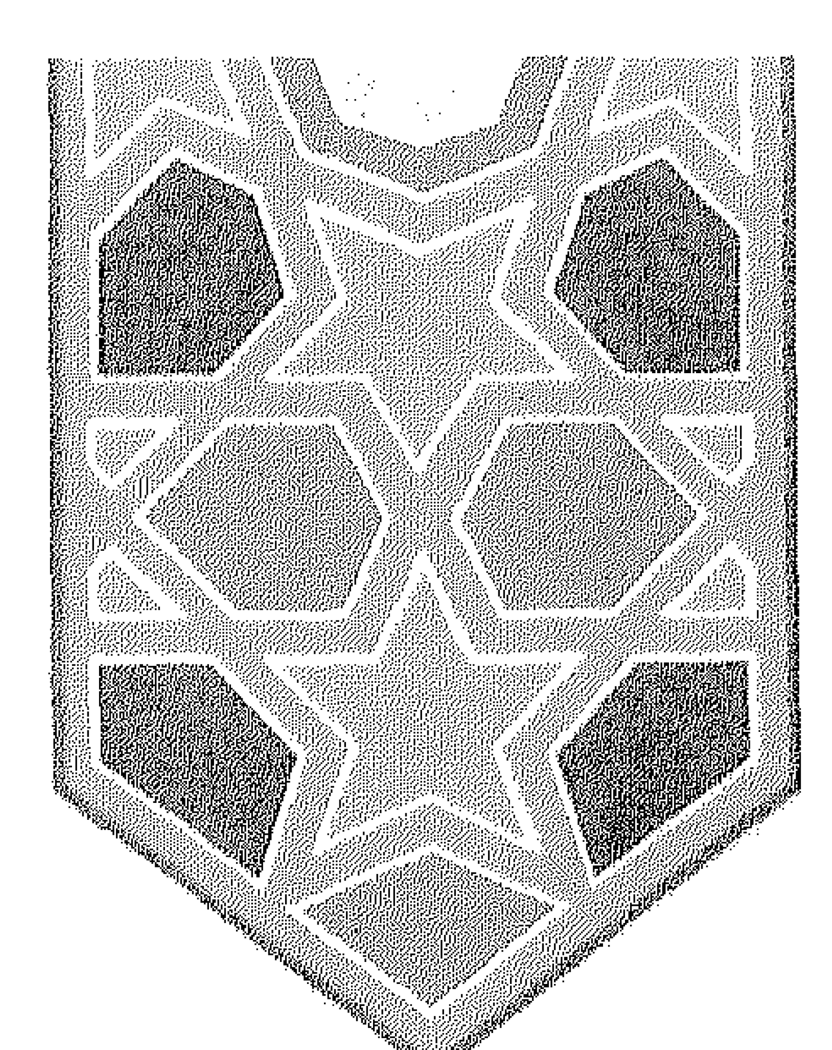


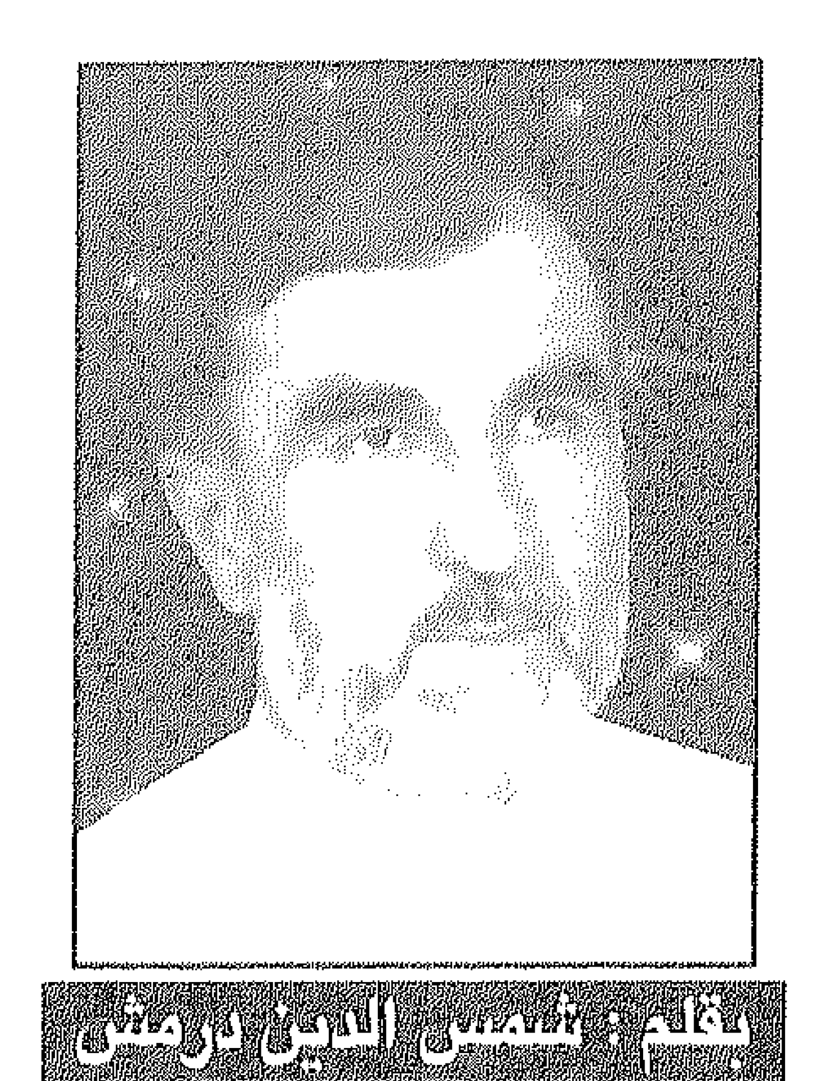
يقول الأستاذ محمد حسن بريغش - يرحمه الله - في رسالة خطية بعثها إلى د . خالد الدادسي بن الحبيب في المغرب « ... وأشكرك على ملاحظاتك التي أبديتها على كتابي (الأدب الإسلامي وأدب الأطفال) واستفدت من المعلومات التي أوردتها عن بعض ما نشر عن أدب الأطفال في المغرب، وسوف تضاف إن شاء الله في طبعة قادمة. ويجدر بالذكر أن هذا الكتاب أصبح مقررا في بعض الكليات، أو مصدرا رئيسا . وأزعم أنه أول كتاب عن أدب الأطفال يتحرر من هيمنة المترجات عن أدب الأطفال، ويعرض هذا الأدب من منطلق إسلامي لا مواربة فيه .



وبالمناسبة فلقد نشر لي في مجلة الفيصل مقالة بعنوان: (محاولة مبكرة ورائدة في أدب الطفولة) العدد (٢٥٨)، ص٣٩، في شوال ١٤١٨هـ، وفيها عرض لكتاب باسم (ألف باء) مؤلف للأطفال، كتبه أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي المالقي الأندلسي المالكي المعروف بابن الشيخ المولود سنة ٥٢٩ هـ والمتوفى سنة ٦٠٤هـ.

وهذا الكتاب يدحض كل مقولات الغربيين ومن أخذ عنهم بأن أدب الأطفال أدب غربي، وأنه أدب حديث »[1].





بقلم: شمس الدين درمش

نستطيع أن نقرأ في هذه الرسالة طرفا من مدى اهتمام محمد حسن بريغش بأدب الأطفال خاصة في إطار اهتمامه العام بالأدب الإسلامي وقضاياه والذي يشكل جانبا أساسيا في حياته التي كرسها للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

وقد تكون شهادة الرجل لنفسه مجروحة في اعتباره مؤلفه هذا في أدب الأطفال (أول كتاب يتحرر من هيمنة المترجمات عن أدب الأطفال ويعرض هذا الأدب من منطلق إسلامي لا مواربة فيه) .

ويعد من باب الاعتداد بالنفس، المبني على الثقة الزائدة ، لأن مثل هذا يتطلب استقصاء لما كتب في ساحة هذا الفن الأدبي، كما أن عبارته تتضمن إيحاء واضحا بأن غيره ممن كتب في أدب الأطفال الإسلامي وارب في عرضه قليلا أو كثيرا .

ومهما يكن فإننا نستطيع أن نقول بشيء من ابتغاء التوسط في الرأي أن كتابه يعد من الكتب السابقة في هذا المجال والذي حاول فيه تأصيل أدب الأطفال إسلاميا، وسعى جاهدا للوصول إلى نتيجة مفادها : أن القول بكون أدب الأطفال أدبا حديثا وغربيا وأن المسلمين لم يعرفوا هذا اللون من الأدب هو قول غير صحيح، وهو ناتج عن انبهار الأدباء العرب بما لدى الغرب من فنون وآداب، وعجز عن استخراج هذا الكنز من تراثنا الأدبي القديم « فأدب الطفل أدب إسلامي، لأنه لا أحد في الدنيا في مجال الاعتقاد، أو التشريع، أو الاهتمام، أو الواقع أعطى الطفولة حقها، واهتم بها، كما اهتم بها الإسلام والمسلمون »[٢].

تحدث الأستاذ بريغش في كتابه عن أهمية الطفولة ونظرة الإسلام إليها، واستشهد لذلك بنصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب التراث، ونقل أسماء مجموعة من الكتب التي عنيت بالطفل وأحكامه من مثل : أيها الولد للإمام الغزالي، وتأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين لابن عبد ربه، مما يؤكد أن العناية بالأطفال لم تقتصر لدى المسلمين على النواحي التربوية السلوكية بعيدا عن التربية الأدبية بمفهومها الاصطلاحي .

وهو ما تناوله المؤلف في الفصل الثاني من كتابه تحت عنوان (أدب الأطفال أهميته وتاريخه)، فطوف بأدب الأطفال عبر التاريخ، وأطال الوقوف عند ما ورد في تاريخنا الأدبي العربي، ونقل بعض النصوص الشعرية القصيرة التي تشبه الأناشيد المعاصرة مثل :

إن بني معرق كريمُ
محبب في أهله حليمُ
ليس بفحاش ولا لئيمُ
ولا بطخرور ولا سئيمُ
صخر بني فهر به زعيمُ
لا يخلف الظن ولايخيم[٣]

ويوسع المؤلف دائرة المصادر فيقول : « وفي الكتب التي تتحدث عن الأبناء في تراثنا العربي الإسلامي كثير من الحكايات والقصص – إضافة للشعر – التي يمكن إدراجها ضمن أدب الطفل شريطة أن نخضعها لظروف عصرها وطبيعته وقيمه وعاداته ...)[٤] .

ويتبع ذلك بتعداد أسماء أمهات كتب التراث الأدبي مثل البيان والتبيين للجاحظ، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وأنباء نجباء الأبناء لمحمد بن ظفر الصقلي.، وكليلة ودمنة لابن المقفع، وغيرها .

غير أن الكاتب يقع بما يشبه التكرار عندما يخرج مما ذكره من أدب الأطفال في تراثنا العربي والإسلامي، ليبدأ عنوانا جديدا (أدب الأطفال عند المسلمين [٥] فيقول :

«ولكننا أيضا ينبغي أن نبحث عن جذور أدب الأطفال في مصادرنا الأساسية في كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله ﷺ وفي أحداث السيرة وكتب التاريخ وفي غيرها من الكتب التراثية الأصلية »[٦] .

وهذا المدخل في الحقيقة يتبع الباب الأول من الكتاب (الإسلام وتربية الطفل) لأن الكاتب ركز فيه على ما ورد

في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بما يمكن أن نسميه التأصيل لأدب الطفل ومنابعه عند المسلمين .

ثم يتناول أدب الأطفال في العصر الحديث في جولة عالمية تشمل دولا أوربية وأمريكا واليابان، ودولا إفريقية عدة وبلدانا إسلامية غير عربية، ثم البلاد العربية فيطيل الوقوف في مصر خاصة ويعرض لذكر رواد هذا الأدب فيه مثل شوقي ومحمد عثمان جلال وإبراهيم العرب وغيرهم .

ثم ينتقل إلى دول أخرى مثل الأردن وسورية بشيء من التفصيل قريبا من حديثه عن مصر، ثم يقصر قلمه عن الكتابة فيجمل الحديث عن العراق ودول المغرب العربي والسعودية ودول الخليج بنصف صفحة فقط (٧)، مما يعطي انطباعا لدى القارئ بالانحسار الذي أصاب الكاتب أو قلة المادة والمراجع لديه، وأنا أستبعد قلة المراجع بالنسبة لدول الخليج نظرا لإقامة الأستاذ بريغش في المملكة العربية السعودية التي تعد ساحة مفتوحة لدول الخليج الأخرى مما أفقد البحث توازنه بالنظر إلى العنوان الذي وضع له :(أدب الأطفال في البلاد العربية)!! كما أنه تجاهل بعض الدول كالسودان مثلا !!

وأبرز ما أراد الكاتب إظهاره في مئة الصفحة الأولى من كتابه مايلي :

١ - إن أدب الأطفال أدب إسلامي صرف .

٢- عدم التسليم بأن أدب الأطفال أدب حديث نشأ في اوربا.

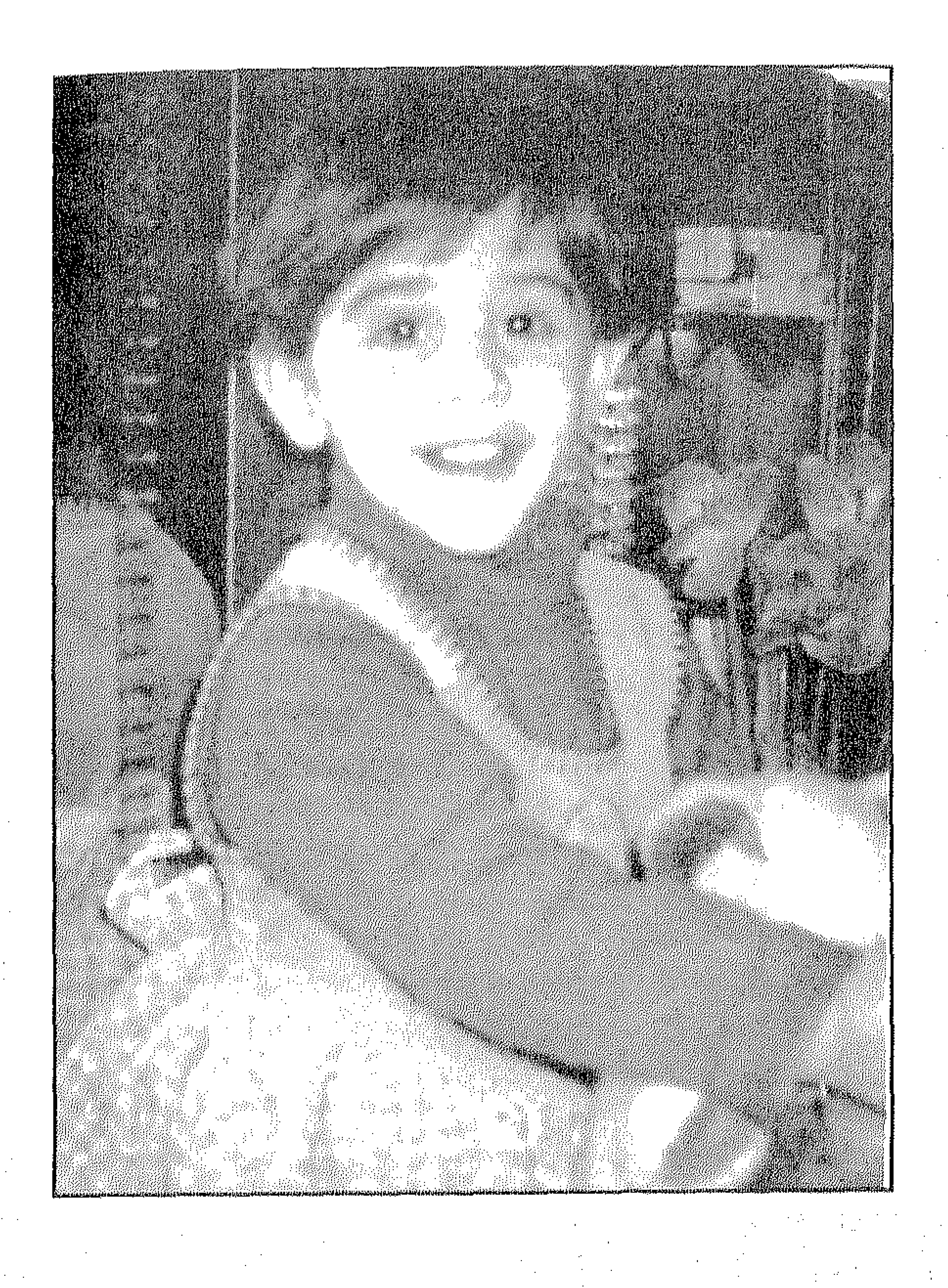
٣- تأثر معظم الأدباء والنقاد الذين كتبوا عن أدب الأطفال في البلاد العربية والإسلامية بأدب الأطفال الغربي .

٤ - تأثر كثير من الكتابات التي ظهرت في البلاد العربية والإسلامية بالأفكار القومية والعلمانية والأساطير الموجودة في التراث العربي وغير العربي.

٥ - وقوع كثير من الأدباء الإسلاميين الذين كتبوا في أدب الأطفال تحت تأثير الغزو الثقافي الغربي نقدا ودراسة وإبداعا عن طريق الترجمة.

وإذا كانت بعض هذه الملامح بات واضحا متفقا عليها فإن بعضها سيبقى محل جدل وعدم تسليم مثل القول :(بأن أدب الأطفال أدب إسلامي صرف) !! ومدلول هذه العبارة لدى المؤلف .

يعرض محمد حسن بريغش في النصف الثاني من كتابه إلى أهداف أدب الطفل، والسمات الأساسية لأدب



الأطفال في المحتوى والأسلوب، موضوعات أدب الأطفال وفنونه .

ففي أهداف أدب الطفل يقوم الكاتب بنقد لصياغة هذه الأهداف في بعض ما نشر عن أدب الطفل في سورية ومصر واستعان لذلك بما نشرته مجلة الموقف الأدبي - عدد ممتاز - عن أدب الطفل في سورية، ودراسة عن القيم التربوية في ثقافة الطفل التي عقدت في معرض القاهرة الدولي الثاني لكتب الأطفال، ويلاحظ الكاتب على ما ورد في هذه الدراسات مايلي :

- الاهتمام بالجوانب المادية من حياة الطفل.

- اعتمادها على النظريات الغربية حول النفس الإنسانية عامة ونفس الطفل خاصة .

- وجود توصيات جيدة ولكنها اهتمت بجانب واحد.

- وجود اتجاهات دأبت على تسخير أدب الطفل لإخراج جيل يؤمن بالعلمانية ويدين بالاشتراكية العلمية .

ومن هذه النتائج في تحديد الأهداف في الدراسات الموجودة في الساحة الأدبية عن أدب الأطفال ينطلق المؤلف إلى تحديد بعض الأهداف المهمة لأدب الأطفال على ضوء التصور الإسلامي، ووضع هذه الأهداف تحت العناوين الأربعة التالية :

١- الأهداف الاعتقادية .
٢- الأهداف التربوية .
٣ - الأهداف التعليمية .
٤ - الأهداف الجمالية .

وسأتجاوز ما عرضه الكاتب بالتفصيل في الصفحات التالية لاقتناعي بأننا متفقون مع الكاتب في صياغة هذه الأهداف ووجوب تحقيقها .

وإذا كان لدينا شيء فسيكون إضافة لما ذكره في إطار (المحافظة على الأساس الذي يمنحنا وجودنا وهويتنا وصبغتنا الإسلامية) [٨] .

السمات الأساسية لأدب الأطفال

أما السمات الأساسية لأدب الأطفال لدى محمد حسن بريغش فيقول عنها هو نفسه : « إن الحديث عن السمات الأساسية لأدب الأطفال يتعلق بأمرين متلازمين :

الأول : يدور حول محتوى هذا الأدب وأهدافه (المضمون).
والثاني : يتعلق بالأساليب المناسبة التي يمكن استخدامها لتحقيق الأهداف »[٩] .

وفي رأيي أن هذا الكلام يدخل فيما قبله في الأمر الأول والذي يدور حول محتوى أدب الأطفال وأهدافه (المضمون)، حيث أسهب المؤلف في أهداف أدب الطفل من منظور التصور الإسلامي.

ويدخل فيما بعده في الأمر الثاني الذي (يتعلق بالأساليب المناسبة التي يمكن استخدامها لتحقيق الأهداف) وهو الذي يعرض له في الفصل الخامس في موضوعات أدب الأطفال وفنونه، مع ملاحظة أن ما ذكر في الموضوعات يندرج كله في بحث الأهداف، فقد ذكر الكاتب هنا :

١- الموضوعات التوجيهية التربوية وهي :
أ- موضوعات بناء العقيدة ...
ب - موضوعات قرآنية.
جـ موضوعات من الحديث الشريف.
د- موضوعات السيرة النبوية .
هـ - موضوعات تاريخية .
و- الموضوعات الاجتماعية .
٢- الموضوعات المتعلقة بالعلوم التطبيقية.

ونلحظ التداخل الواضح في صياغة الموضوعات التوجيهية التربوية بما يشبه الهدف والوسائل .

وأخيرا يعرض الكاتب لفنون أدب الأطفال فيتناول (القصة والشعر) بشيء من التفصيل، بينما يوجز في الأنواع الأخرى (كتابة السيرة التاريخية والاجتماعية والموضوعات الأدبية كالمقالات والطرائف والأمثال والحواريات المختلفة والمسرحيات إيجازا شديدا في أقل من ثلاث صفحات .

وقد حصلت القصة على نصيب أكبر من الشعر لأن لها مجالا أوسع وتأثيرا أكبر على الأطفال قديما وحديثا.

فقد دعا الكاتب إلى (تصحيح مسار أدب الطفل عن طريق القصة الإسلامية المناسبة ...) [١٠]، و (أن يظل شعر الأطفال شعرا ملتزما بقيم الإسلام وتصوراته)[١١]. إذ وجه الكاتب نقده لكثير مما يكتب في مجال القصة والشعر وتأثره بالعقائد والأفكار الخارجة عن الإسلام.

ويبدو أن الكاتب له موقف متحفظ من المسرح عامة ومسرح الأطفال خاصة، فهو يدعو (إلى دراسة متأنية تتحرر من ضغوط الواقع وعدوى المدنية الحديثة وتتحرر أيضا من المخاوف وردود الأفعال)[١٢] .

وبعد : فإن هذا الكتاب مما يعد للأستاذ محمد حسن بريغش سواء كان (أول كتاب عن أدب الأطفال يتحرر من هيمنة المترجمات ...) كما ورد في رسالته التي قدمت بها لهذا المقال أم من أوائل الكتب في مجاله .

ومن ناحية أخرى جاء الكتاب هادفا للتأصيل الإسلامي لأدب الأطفال من خلال إثبات جذوره العميقة في الأدب العربي قبل الإسلام عامة وبعد الإسلام خاصة، ولا أزعم أني أعطيت الكتاب حقه. ورحم الله الأستاذ محمد حسن بريغش، وجعل ما كتبه في صالح أعماله. ■

الهوامش:
(١) وصلت صورة الرسالة إلى المجلة من د. خالد الدادسي.
(٢) أدب الأطفال .. أهدافه وسماته، محمد حسن بريغش، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ / ١٩٨٩م، ص٧ .
(٣) السابق، ص٥٠ .
(٤) السابق، ص٥١ .
(٥) السابق، ص٥٢-٦١ .
(٦) السابق، ص٥٠ .
(٧) السابق، ص٩١ .
(٨) السابق، ص١٢٦ .
(٩) السابق، ص١٥٧ .
(١٠) السابق، ص٢٢٩ .
(١١) السابق، ص٢٣٨ .
(١٢) السابق، ص٢٤٠ .

لسنا وحدنا من يبكي عليه

ملف خاص

بعد صراع مرير مع مشاق الحياة، وبعد مسيرة مضنية، أنهكت هذا القلب، وأرهقت كاهله، حتى جعلته لا يكاد ينبض إلا في صعوبة وعياء، توقف هذا القلب الجلد المؤمن المجاهد، ليخلد إلى الهدوء ويستقر في طمأنينة وثبات.

توقف هذا القلب ليرقد صاحبه الفاضل، الأستاذ محمد حسن بريغش بهدوء وسكينة بإذن الله، في مهد رحيب ومرقد فسيح، أزهق عمره في تدشينه، تحفه فيه ملائكة الرحمة إن شاء الله تعالى وترعاه.



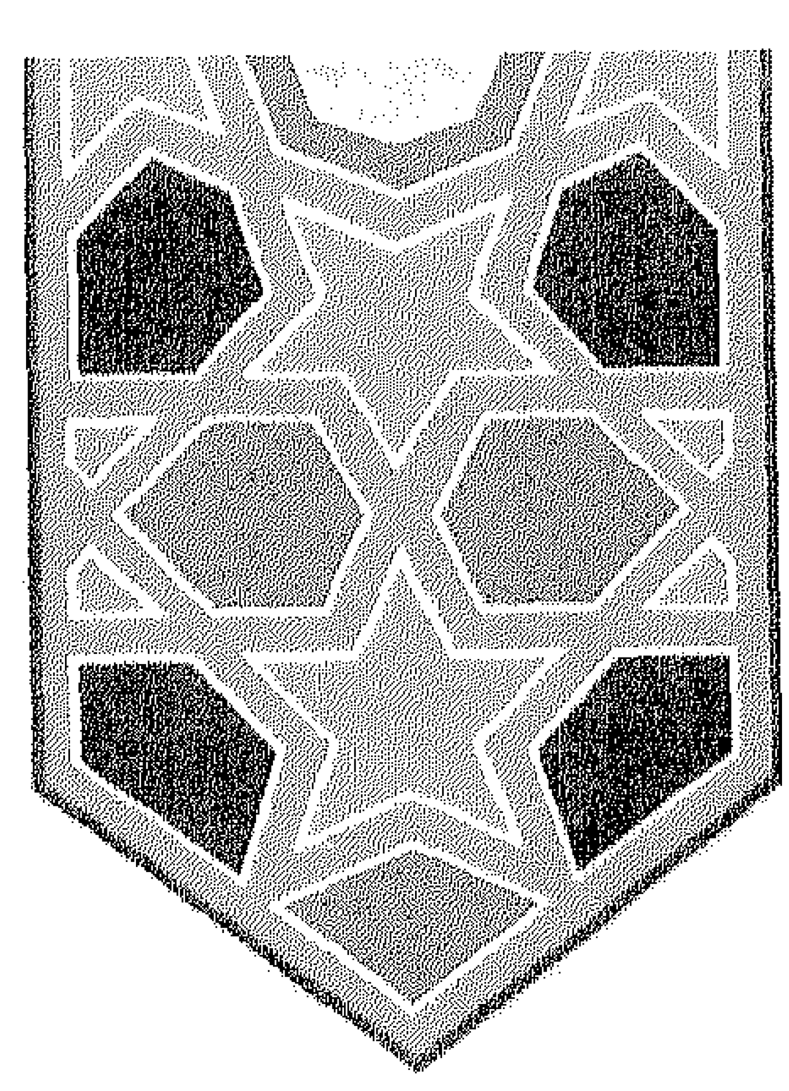
بقلم: محمد نادر فرج
سورية



بمزيد من الأسى والحزن تلقينا نبأ رحيل الأستاذ الفاضل محمد حسن بريغش، على الرغم من أن حالته لم تكن خافية علينا من خلال معاناته وصراعه مع مرض القلب الذي يدافعه منذ سنوات، وقد اشتد في الآونة الأخيرة، وخاصة بعد فقد ابنه الأوسط في حادث سير قبل قرابة عام، وكنا عزمنا مع بعض الإخوة على زيارته في اليوم الذي توفي فيه، ولكن القدر كان أسبق منا.

لسنا وحدنا من يبكي عليه، ولا ذووه وأقرباؤه، وليس فقط من يعرفه عن قرب أو عن طريق كتبه ومؤلفاته وآثاره الطيبة، أو من شاركه في بعض أنشطته في الدعوة من خلال المؤتمرات أو عن طريق رابطة الأدب الإسلامي أو غير ذلك، وإنما تبكي عليه الوهاد التي كان يعلوها، والدروب التي كان يسلكها في حلكة الغسق قبيل الفجر ليوقظ إخوانه إلى صلاة الغداة منذ شبابه الأول، وقد كان يسعى بكل جهده كي يعود إلى مرابعه الأولى ويودعها قبل رحيله، ولكن قدر الله غالب.

هذا أمر الله ولا راد لقضائه، ولو كان من هو أجدر بالخلود في الدنيا لحاجة الناس إليه، أو لجلال قدره وعلو درجته لكان الرسول الأعظم ﷺ، وهو الذي لم تفجع الأمة بأعز ولا أغلى منه.



لا يضيرنا أن نتفجع على أمثال هؤلاء الأفذاذ من مشاعل الضياء في هذه الأمة ما دمنا لا نقول إلا ما يرضي ربنا، فإن المصاب بأمثالهم عظيم، والخسارة بهم فادحة، فهم ينابيع الخير ومنهل العطاء، وإن السماوات والأرض لتبكي فراق العبد المؤمن وتفتقده كما ورد، وعلى الأخص موطئ سجوده، ومسراه إلى المساجد، في حين أخبر الله تعالى أن السموات والأرض لا تبكي على الكافرين والعصاة، ولا تتفجع في موتهم كما قال جل

وعلا : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ (الدخان)، ولعل هذا كناية عن مواطن الطاعة في حياة الإنسان، فهي التي تفتقده وتبكي عليه، وكذلك القلم والقرطاس وكل آلة يستخدمها في العطاء والخير .

ولعل من المؤسف أن هذه المخلوقات الفطرية التي ليس لها عقل أو إرادة، تدرك في هذا المجال أكثر مما يدركه الكثير من الناس، فهي تعرف من تبكي، ومن الذي يستحق أن تحزن عليه، على عكس الكثير من الذين يبكون أصحاب المجون والفسق ممن يدعون بأهل الفن، وربما دفع بعضهم الحزن على أحد أولئك الفسقة إلى الانتحار ليرافقه على طريق الجحيم، ولعلهم يبكون مرضا يصيب لاعب كرة أو حادثا بسيطا يقع له، في حين أن العلماء لا ناعي لهم ولا باكي عليهم، وهم أجدر الخلق بذلك، ولو يعلم الناس ما يحيق بالأمة لموت عالم رباني لبكوه، وبكوه كثيرا، فإن العلماء هم مصابيح الضياء، ومشاعل النور، وإن كنا لا ندرك هذه الحقيقة - ويا للأسف - فلا نأبه لهذه الخسارة الفادحة، لبعدنا عن منابع الهدى، ومناهل الضياء، وقد ورد أن العلم لا ينتزع انتزاعا وإنما يرفع بموت العلماء . ونحن كما يقول الدكتور القرضاوي يحفظه الله : « إن أمتنا تؤمن بعبقرية القدم ولا تؤمن بعبقرية القلم » .

وإننا إذ نشكر الصحف التي قامت بنعيه رحمه الله، ونهيب بكل وسائل الإعلام أن تتحمل مسؤوليتها في توجيه أجيال الأمة للاهتمام بأمثال هؤلاء في الحياة وبعد الممات، فإن هذا يزكي في ضمير الشباب محبتهم واحترامهم وهو بالتالي يدفعهم إلى الفضيلة والاستقامة، ويبعدهم عن الخنى والانحراف.

رحم الله الأستاذ الفاضل، فقد كان بحق ذلك الجندي المجهول الذي نذر حياته لمجد هذه الأمة ونصرة دينها، بعيدا عن الأضواء، في منأى عن البهارج والزينات، متواريا عن الأنظار، لا يبحث عن شهرة، ولا يتطلع إلى مكانة، ولا يرجو من أحد عطاء إلا مرضاة الله تعالى والتقرب إليه، وهو لا يخشى في ذلك لومة لائم، هذا ما نعرفه عنه ونسأل الله تعالى أن يقبل شهادتنا فيه ونحن لا نزكيه لديه فهو أعلم به .

لقد كرس رحمه الله حياته وجهده وقلمه في خدمة هذا الدين لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه، وسخر كل طاقاته لتسير في هذا الاتجاه، فقد كان في سلوكه وتعامله مثلا أعلى في الاستقامة والالتزام، وهو النموذج المميز في المفاصلة، فإن كل علاقاته كانت مبنية على ذلك، فهو يجل العلماء من المسلمين، ويتودد إلى أهل الصلاح من الخاصة والعامة، في حين يدابر الخارجين والمنحرفين من العصاة والمارقين أيا كانت مراتبهم أو مكانتهم، وهو رحمه الله على رقة طبعه كانت عنده حدة في التعامل مع هؤلاء وغلظة - ربما تكون زائدة أحيانا، وخاصة في مراحل شبابه - في عزة وأنفة . وهو من جند نفسه وحياته كلها للدعوة إلى الله. ولعله ممن ذكرهم الله بهذه الآية وإن كان تشدد في فهمها وتطبيقها وهي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة)، فقد كان شديدا صلبا على مناوئيه، ولعل هذه أبرز سماته، وربما هذا ما جعل بعض المناوئين وما هو ليس بالقليل من الخصوم، وهو لم يخاصم في حياته قط إلا في الله، ولم يوال إلا فيه، وإن كان ذلك خاضعا لقناعته .

لقد كانت أعراض الدنيا بالنسبة له كفاية يتبلغ بها حاجته، فلم يكن ليأبه كثيرا، كما أنه لم يعرض عنها ليتكفف الناس في حاجاته منها، ولكن كل إخوانه يشهدون بأنه لم يخاصم على مادة أيا كان نوعها من مال أو عقار أو نحوه قط، بل إنه ربما دخل في إصلاح بين الإخوة فغرم من حر ماله في إنهاء ذلك دون أن يشعر المتخاصمين، لحرصه على وحدة إخوانه ولكي تسود المودة والمحبة بينهم .

وهو في آثاره وكتبه رحمه الله تعالى يسير وفق هذا المنهج، فليس له من اهتمام إلا بقضايا الإسلام والأمة الإسلامية، وما يتفرع عن ذلك من قضايا في الأدب واللغة والتراث، وكلها تصب في محيط واحد، وترمي إلى هدف خالد، ولم يكتب قط في شأن خاص من شكوى أو أنين .

لقد كانت كتبه رحمه الله تعالى في التراجم والسير والأعلام من سلف هذه الأمة مدرسة تربى عليها الكثير من شبابها وأبنائها، ولا شك أن لها دورا هاما في هذه الصحوة المباركة، فهي منهج وطريق لمن أراد المجد والسؤدد، وإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . فقد تربى الكثير من شباب هذه الصحوة المباركة على أمثال ذلك من كتبه : مصعب بن عمير، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبو بصير، ونسيبة بنت كعب، وأسماء بنت أبي بكر (ذات النطاقين)، هذه الدرر الخالدة التي رسمت مسلك البطولة وشقت طريق الفلاح .

وهانحن أولاء نجده في ميدان الأدب وهو صاحب القلم المخلص الواعي، يأسى لما روج للنقد الأدبي والدراسات الأدبية من مناهج وأساليب تنحدر نحو التغريب عن قيمنا وتراثنا وحضارتنا لتحذو حذو الغرب في كل ما تفتقت عنه أذهان أولئك الذين لا تصلنا بهم واصلة من مبادئ أو قيم، وسادت هذه التبعية حتى هيمنت على الساحة، في حين أقصيت الأقلام المخلصة الواعية، وحورب أصحابها، فلا تهتم بهم دور النشر ولا وسائل الإعلام، ولكنهم مع ذلك استطاعوا إثبات وجودهم وخاضوا المعركة بكل مروءة وشرف، فكان رحمه الله تعالى يهتم بهؤلاء في دراساته النقدية ليعرف بهم، ويتعرض لملامح هذا الأدب الرفيع، وقد كتب في ذلك الكثير، ثم جمع بعضها في كتابه (في الأدب الإسلامي المعاصر) وهو كما قال في مقدمته (دراسة تضم عددا من الموضوعات التي تحاول إيضاح ملامح الأدب الإسلامي، وتحديد أطره وتقويم بعض إنتاجه) . حيث عرض بعض الأعمال الأدبية في مجالي الشعر والقصة، بعد أن تعرض لدراسة التاريخ الأدبي، ثم عرض لمسار الأدب الإسلامي ومحاولات التزييف فيه . وقد أفصح عما يتمناه للأدب الإسلامي والأدباء المسلمين من ازدهار ورفعة، مؤكدا على الهوية الإسلامية الواضحة المعالم، من خلال إشادته بقصة (القابضون على الجمر) لمحمد أنور رياض، و (رحلة إلى الله) للدكتور نجيب الكيلاني رحمه الله تعالى، وما عقده بينهما من مقارنة في دراسة وتحليل .

ولقد تحمل رحمه الله تعالى كثيرا من العناء وبذل الكثير من الجهد والمال في تحقيق ديوان هاشم الرفاعي رحمه الله وجمع أعماله الكاملة مبرزا جوانب نبوغه وعبقريته، محققا ومحللا وباحثا في دوافعه الشعرية، وخصائص شعره وأسلوب حياته .

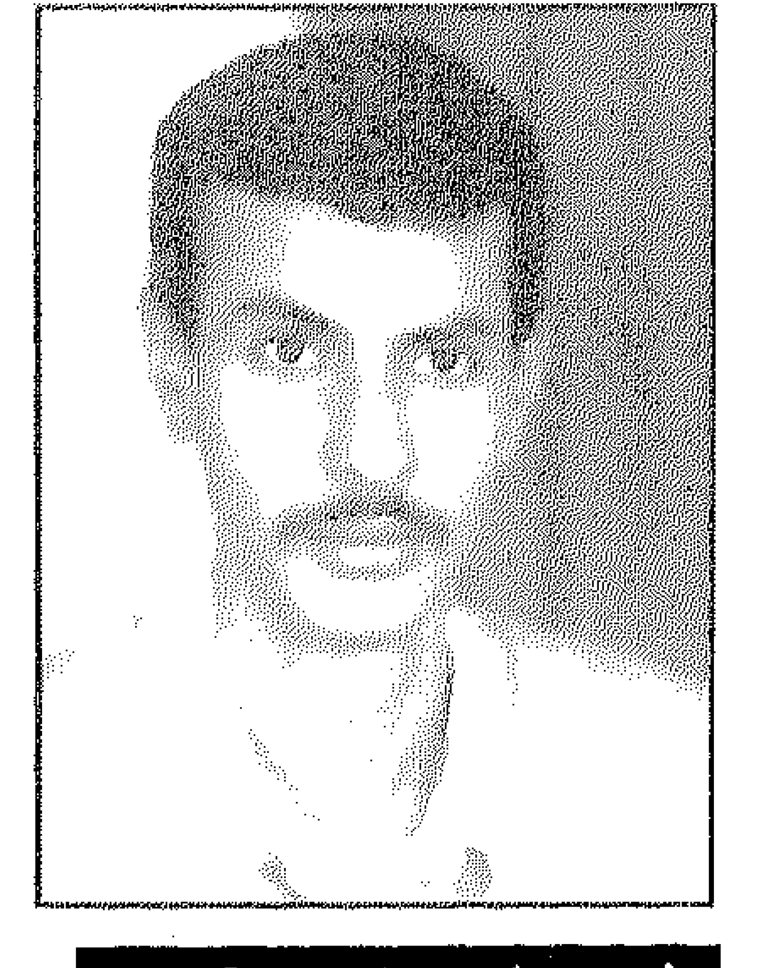
كما أن له جهدا لا ينكر وعطاء لا يجحد في مسار المناهج في الرئاسة العامة لتعليم البنات في المملكة العربية السعودية التي قضى فيها قرابة ربع قرن، بين رضا القائمين عليها، وهم من أهل الفضل والثناء، وسعادة المرافقين له في درب العطاء والنماء من الزملاء والمدرسين، وتوجيه أجيال ممن أصبحن رائدات في ميادين العلم والمعرفة، يتبوأن مكانا مرموقا في مسيرة الخير وسبل التقدم والازدهار .

لقد كان شديد الحماسة لفكرة الأدب الإسلامي، ولذلك لم يقف فقط عند حد الكتابة والترويج لهذه الفكرة، بل نجده يسير بخطا عملية على أرض الواقع، فها هو يسهم مع الشيخ أبي الحسن الندوي والمخلصين من رواد هذه الأمة وأدبائها في إنشاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، لتكون ملاذا للأدباء الإسلاميين، ومعقلا يأوون إليه، ومنبرا يرسلون منه صيحاتهم لتبلغ آفاق الكون، وموطنا يتواصلون فيه، ولعله هو والدكتور عبد القدوس أبو صالح أبرز من وقف مع الشيخ الندوي، وقد عهد إليه لفترة طويلة بأمانة سر الرابطة، وكان له دور بارز، وجهد عظيم في تدويل الرابطة وعالميتها، وإعطائها المكانة المرموقة التي هي لها أهل .

رحم الله الأستاذ أبا الحسن، فقد كان شعلة تتقد ضياء وحيوية، وإني لأذكر له كيف كان يتتبع كل دلالة معنوية يوحي بها تعبير موجه بحس متقد، وفهم نافذ، وحماسة فريدة . ومثل ذلك حين يعرض في قصة أبي بصير لموقف دخوله رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بعد أن أنقذ نفسه من المشركين إذ رده لهم رسول الله التزاما بالصلح، حيث يقول رسول الله ﷺ: « مسعر حرب لو كان معه رجال » نجده يحلق في هذه العبارة إلى آفاق عالية وأغوار بعيدة، مظهرا كيف أن الرسول ﷺ أراد أن يشدّ على يده، كما أراد أن يكون معه رجال، وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم هذا المراد، فأخذوا يوجهون له كل من فر من المشركين ناجيا بدينه حيث لا مجال لقبولهم عند رسول الله ﷺ، إلى أن شكل كتيبة محاربة ذات شوكة، أفزعت الكفار وأدمت كاهلهم، وملأت قلوبهم بالرعب والخوف، حتى ليرجون من النبي ﷺ أن يقبلهم في المدينة، وهو في حل من شرطهم . ولكنه يأبى ليزيد من وطأة ذلك عليهم .

لقد عانى رحمه الله تعالى ما عاناه لجرأته في الحق وشدته مع خصومه، وعاش بعيدا عن أهله غريبا عن وطنه أكثر من ثلاثين عاما، يتعاوره الحنين، متلهفا للعودة في حلم مستمر معه، لا ينقطع ما بقي على قيد الحياة، يتحرق شوقا إلى مرابع أهله وذكريات طفولته، التي كانت عامرة بنشاطه وهمته، وها هوذا يودع العالم قبل أن تتحقق له هذه الأمنية .

كان عالما عاملا ومعلما فذا ومشكاة مضيئة، فنسأل الله تعالى له الرحمة والغفران، وأن يسكنه فسيح جناته، ويثيبه بجهاده الذي لم يكتب له أن يحقق فيه بحياته ما كان يصبو له، حياة فوق ذلك في الآخرة، وأن يجمعنا به في مستقر رحمته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه ولي ذلك والقادر عليه . ■



لا تعذلوه

شعر ياسر محمد غريب
مصر

يصبو ؟! وكيف لمثله يصبو ؟! ما عاد يخفق بالهوى قلبُ
ضاقت به الأوطان إذ رحبت وفؤاده بغرامها رحبُ
وطغى عليه الحزن واغتربت أيامه وتبدد الحبُّ
لا تعذلوه فليس من وطن يأوي إلى أحضانه صبُّ
فبدونه عار إذا عشقت عيناه حسناً، والهوى عيبُ

* * *

ردوا له أحبابه .. يصبُ في حسنهم ويشوقه قربُ
أحيوا موات لحونه .. يشدُ في عشقه فغناؤه عذبُ
نادى على الأوتار ما سمعت نادى على الأحباب ما لبّوا
فإذا بماء شعوره غور وإذا بحقل غرامه جدبُ
لجراحه وطن بلا وطن ودماؤه من جرحه شعبُ

* * *

فكوا وثاق فؤاده .. يصبُ فهو الأسير وما له ذنبُ
صدئت قيود القهر في يده وصدى صراخ جراحه شجبُ
ما شرقت عيناه وائتلقت إلا ولف ضياءها كربُ
دقت طبول السلم قارعة وشهيقها وزفيرها حربُ
فغدوه ورواحه هم وصباحه ومساؤه رعبُ

* * *

ردوا له تاريخه .. يصبُ أزف الرحيل وما له دربُ
أين الحداة ؟! تعثر الركبُ قبل المسير وإن سعى يكبو
عز الصراط عليه واستعرت آلامه، وإيابه صعبُ
فإذا رأيتم حلمه يذوي وإذا رأيتم ناره تخبو
لا تندبوه بل اندبوا وطنا شاخ الزمان ولم يزل يحبو

الإبداع الفني بين الخير والشر

« رؤية من منظور الأدب الإسلامي »

بقلم : د . محمد السيد الدسوقي*
مصر

تعد علاقة الفن بالوظيفة أو الغاية من الإشكاليات التي دارت حولها حوارات كثيرة في أدبنا القديم والحديث والمعاصر .. ويعد ظهور المذاهب الأدبية في الحقيقة صورا للعلاقة بين الفن وبين وظيفته ، ووجدنا من المبدعين والنقاد من يرى أن يبتعد الفن عن الغاية وأن تكون المتعة الجمالية مقصودة لذاتها . وأن ارتباطه بالغاية يفسد على الفن ماهيته ويجعله أسير الغاية مقيدا غير حر ، حتى صار الفن عندهم « الفن للفن » .

كما أن « إشكالية الفن والأخلاق » هي الأخرى مسألة حازت قدرا كبيرا في فكر المبدعين والنقاد ، وكتبت أبحاث وكتب تجرد الفن من قيود الأخلاق والقيم - على حد قولهم - ويردد الآخرون بأن انتفاء الفن من الأخلاق والقيم عبث لا ينمي في الإنسان القدرة على التذوق بقدر ما يدفعه نحو ما يحط به ويرغبه في الهمجية .

والحقيقة أن هذه الإشكالية تتمحور حول علاقة الإبداع « بالخير والشر » ، وهو موضوع أثير في فكرنا العربي القديم حتى رأينا ناقدا وأديبا كبيرا مثل الجاحظ في البيان والتبيين يتداخل مع هذه القضية حين يحدثنا عن رأي كلثوم بن عمر (العتابي) في البلاغة ، فيقول : « حدثني صديق لي قال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب ، فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق »[1] والفقرة الأخيرة من التعريف السابق تبين النزعة الجدلية التي تجيز تصوير الباطل حقا والحق باطلا ، وتتلاعب بالمنطق والألفاظ .

والجاحظ نفسه في موضع آخر من كتابه السابق يتحرز مما يفسد الفن معنى ولفظا حين يقول : « ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف هو اللفظ الشريف ومن حقهما أن يصونهما عما يفسدهما ويهجنهما .. »[2] .

أليس الاتجاه بالفن نحو الرذائل والحماقات مما يفسد ويهجن قصدية الفن وغاياته .

ويتعرض النقد العربي القديم لهذه المسألة بصورة أخرى حين يتحدث عن الصدق والكذب وعلاقتهما بالفن الشعري ، فقد رأى بعضهم أن أكذب الشعر أجوده «وهو رأي غير صحيح - وإن كان البعض يرى أن المقصود بالكذب هو الخيال والبعد عن التقريرية في الأداء- نقول: إن حسان بن ثابت يصرح بأن عنصر الصدق في الشعر يجب الانتباه إليه عند الحكم عليه ... فهو القائل :

وإن أشعر بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته صدقا
وإنما الشعر لب المرء يعرضه
على المجالس إن كيسا وإن حمقا

ويقول الرسول ﷺ : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له أن يمتلئ شعرا »[3] . وهو يشير بذلك إلى مسألة الخير والشر في قرض الشعر ونظمه ، ويعني ذلك الشعر الذي تحلل في نظمه من القيم والمبادئ الإسلامية ..

وقضية ارتباط الفن وبلوغه حد البلاغة والإبداع بالكذب والشر مغالطة واضحة ، فالرسول الكريم الذي ملك حد البلاغة يستمع إلى الشعراء المسلمين ، ويعجب بفنهم حتى خلع بردته هدية لكعب بن زهير ، ولا شك أن هذه القضية قد ظهرت حول شعراء صدر الإسلام وتحول

* أستاذ مساعد البلاغة العربية في كلية البنات المتوسطة بالنماص - السعودية.

النقاد يستقرئون شعر هذه الطائفة من المخضرمين - بصفة خاصة ، والنظر في التحولات التي لحقت بفنهم الشعري حين قارنوا بين المرحلتين ، يعلق الأصمعي كما يروي صاحب الموشح على هذه الإشكالية حين يقول : «طريق الشعر هو طريق الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات للديار والرحل ، والهجاء والمدح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار فإذا أدخلته في باب الخير لان » [٤] .

وروي عن الأصمعي أيضا قوله : « الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر ويسهل، فإذا دخل في الخير ضعف ولان » [٥] ، وذهب إلى أن شعر حسان كان علا في الجاهلية، فلما دخل شعره في باب الخير لان، حتى يقول: « هذا حسان فحل من فحول الشعراء في الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره » [٦] ، وإن كان بعض الباحثين المعاصرين يعلق على قول الأصمعي قائلا : «ولكن ثمة فرق بين اللين والضعف فلعل المقصود باللين الرقة والسهولة نقيض الجزالة والحماسة » [٧] ، نقول: وملاحظة الباحث السابق لا تغير من مقصود ما ذهب إليه الأصمعي .

وإذا كان هذا النقاش قد دار حول الشعر في صدر الإسلام ، فإن كثيرا من الباحثين المعاصرين لا يقرون هذه الآراء التي تربط بين جودة الشعر وإبداعه وبين الدخول في باب الشر والباطل والكذب [٨] .

إن ارتباط الفنية في نظم الشعر بالشر والتحلل من القيم والأخلاق والفضائل مسألة مردود عليها بهذه النماذج الشعرية التي وضح فيها قوة اللفظ وثراء المعنى وفنية الأداء التصويري وإحكام التركيب اللغوي .

وهذا حسان يوم فتح مكة يمدح رسول الله ﷺ ويهجو أبا سفيان بن الحارث [٩]:

عفت ذات الأصابع فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصعدات
على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات
تلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم
يعز الله فيه من يشاء
الا ابلغ أبا سفيان عني
مغلغلة فقد برح الخفاء

ثم يمضي حسان حتى نهاية القصيدة التي تتسم بقوة المعنى واللفظ معا وتنداح الصور والتراكيب التي لم نر فيها هذه السقطات التي رآها هؤلاء النقاد حين يتحول الشعر نحو الفضيلة والخير ، أليست هذه هي المعايير التي تحدث عنها الجاحظ حين قال : « فليكن لفظك على قدر معناك ...» ولنتأمل كذلك شعر كعب بن مالك الأنصاري وهو من بيت شعر [١٠] :

قضينا من تهامة كل حق
وخيبر ثم أجممنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوسا أو ثقيفا

وقوله يرد على المشركين يوم بدر :

وفينا رسول الله والأوس حوله
له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه
يمشون في الماذي والنقع ثائر [١١]

وبعد فإن الاتجاه بالفن نحو القيم الإسلامية وكل ما يرقى بالإنسان نحو حياة أفضل في إطار المنهج الإسلامي لا يمكن - أبدا - أن ينحدر بالفن نحو ضعفه وسقطه ، فالدراسة التطبيقية تنكر ذلك وترفضه .. ■

الهوامش

(١) الجزء الأول ، ص١٣ .
(٢) السابق ، ١ / ص١٣٥ .
(٣) صحيح البخاري ، ٤٥/٨ .
(٤) المرزباني ، الموشح . ص ٨٥ .
(٥) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٣٠٥ .
(٦) السابق ، نفس الصفحة.
(٧) د . محمد الشنطي ، في الأدب العربي القديم ، دار الأندلس ، حائل ، السعودية ، ص١٥٩ .
(٨) د . شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، د . محمد مصطفى هدارة : دراسات في الشعر العربي - تحليل لظواهر أدبية وشعراء ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، د . يحيى الجبوري : الإسلام والشعر ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٤ م .
(٩) ديوانه ، دار صادر ، بيروت .
(١٠) راجع : د. سامي مكي العاني : كعب بن مالك الأنصاري الشاعر ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٧٩م .
(١١) لقد كان الاستشهاد مقتصرا على تلك الفترة «شعراء صدر الإسلام» لأنه هذه الإشكالية قد دارت في نقدنا العربي القديم حول شعر هذه الفترة ...



مذاق الصبح الوليد كان ممتعا، كبزوغ شعاع الشمس من ركام الغيوم في نهار شتوي مصبوغ بلون المطر.

بعد فراغي من صلاة الصبح، بقيت جالسا، أردد أذكار ما بعد الصلاة وأدعيتها، وعنقي يتمايل يمينا يسارا بحركات شفيفة، وعيناي مغمضتان. رأيت ببصيرة روحي أطيافا ضوئية ملونة، أشبه بنافورات من نور دافق، شديد السطوع، تندفع نحوي من بعيد، تكبر وتتسع مع اقترابها. اختفت سريعا مع صوت اصطدام الأواني ببعضها في يدي أمي، وهي تجهز لنا طعام الفطور. كانت قد دعت لي منذ قليل أن يوفقني الله في عملي،ويرزقني بزوجة صالحة.

لم تعجبني ملامحها الحزينة. قلت لها محاولا تعزيتها:

- ستبقين في قلبي دائما يا أمي.

ثم قلت: حتى بعد زواجي.

وأضفت مبتسما: وحتى آخر العمر.

لم تفلح كلماتي في التخفيف من حزنها، فجرحها بعد موت أبي ما زال ساخنا. كانت تتأمل ملامح وجهي، وبوادر بسمة مبتورة ترتسم على شفتيها، ممزوجة بحزن دفين، كأنها ترى وجه أبي في وجهي. أثارت قلقي عليها، وهي تقول:

- رأيت أباك في منامي.

وبقيت تفكر بملامح جامدة، محتقنة، موشكة على الارتعاش، حتى رأيت خطين من الدمع ينسالان من عينيها على خديها، وهي تقول:

- حالته غيرسارة.

وأغمضت عينيها، وهي تأخذ شهيقا عميقا، أخرجته من فمها مخضوضا متقطعا، وملامح وجهها تعتصر بأحزان عاصفة. حاولت التخفيف من آلامها،طالبا منها الدعاء له بالرحمة، ورددت أمامها:

- رحمه الله.

وتردد في داخلي صوت واهن مقبوض:

لماذا يظهر لها في حالة سيئة؟

لم أنشغل في التفكير بالإجابة. ولكن كلماتها المؤسفة عنه ظلت مسيطرة على أحاسيسي، فتساءلت في قلق:

أليس بمقدوري عمل شيء لإسعادها؟

أرجأت التفكير في الأمر إلى وقت آخر، محاولا العودة إلى تأملاتي الطيفية، وعيناي تنغلقان من جديد. استطعت سريعا أن أجتاز ببصيرة روحي أستار الرؤية الخفية. انفجرت أمامي فجأة شلالات من نور زاه مبهر، صارت

سريعا ظلاما دامسا، مع ظهور بصيص من نور شاحب، رأيت أبي يظهر من خلاله بالصورة نفسها التي كان عليها في آخر أيامه، وهو في مرض الموت، كان منكفئ الرأس، منطفئ الوجه، وكان كيانه بأكمله محاطا بستائرثقيلة من العتمة، كان مستسلما لها، بلا قدرة على الحركة، كأن الدم هارب، أو متجمد في عروقه . انقبض قلبي في حزن، وستائر العتمة تتزايد من حوله، حتى صارت كمادة لزجة تتصاعد منها أبخرة قاتمة، والجو المحيط به يبدو مشحونا بعواصف مكتومة ساكنة . ازداد إحساسي بالحزن لعدم قدرتي على تقديم أي عون له .

أصابتني رعشة مفاجئة، ارتجفت معها أحاسيسي بشدة، ووجدتني أستسلم للرغبة في البكاء، وتساءلت والدموع تترقرق في عيني:

لماذا يحدث له ذلك ؟.

تذكرت أنه كان على قطيعة مع أهله، وتفصله عنهم خلافات، وخصومات كثيرة، قد يكون أكثرها تافها، حتى إنني لم أعرف أحدا منهم كبقية إخوتي وأخواتي . لكنه كان يذكرهم في بعض لحظات صفائه بقوله:

أتمنى لجمعنا الكبير قياما .... .

نسيت بقية العبارة،ولكن أعتقد أنه تمنى حشدهم في عمل جماعي ضخم بهيج . سمعته ذات يوم يقول بلهجة جريحة:

لو أن الناس جميعا تقاربوا وتعاونوا .. ما بقي إنسان تعيسا في هذا العالم.

كان ينسى هذه الأمنيات الحلوة، ربما بسبب زحمة مشاكله، وسعيه الدائم لتأمين معاشنا.

سمعت صوتا جميلا ينساب في أعماقي:

لماذا لا تفعل مالم تعنه الأيام على فعله ؟.

ابتسمت لنفسي مبتهجا، وانسابت رجفة من السرور في قلبي، أحسست على أثرها بقدرتي على اكتشاف سر جديد للتقارب الجميل مع الأهل والبشر جميعا في عالم رحيم، خال من الفرقة والجفوة والقسوة، مغمورا بأفراح اللقاء في أعمال جماعية ثرية، تعود بالبهجة والخير على الجميع.

أخذني الحنين مرة أخرى إلى أبي، فعدت للمحاولة، وعيناي تنغلقان، بقيت مسترخيا لتهيئة نفسي للقائه . توقعت رؤيته مسرورا لسروري، لكني رأيته بالصورة البائسة نفسها . لم أحتمل مداومة النظر إلى وجهه وهو في هذه الحال، فانفتحت عيناي في ذهول، وتبدد إحساسي بالسرور.

بقيت أفكر مهموما وجسدي يتخذ شكلا مقوسا،ورأسي ينتكس مستكينا في حزن، حتى انفجر صوت بهيج في أعماقي يقول لي:

لماذا لم تفعل شيئا من أجله ؟.

فتساءلت متعجبا:

– ماذا يمكنني أن أفعل؟

لم أجد إجابة للسؤال، بقيت جالسا، والجو من حولي يسوده هدوء ثقيل، مشحون بحرارة لافحة، عاد الصوت الداخلي نفسه، وكان كنسائم صيفية رطيبة منعشة، يقول لي:

– صله بالدعاء...

قمت بتنفيذ ما قال على الفور، متوسما في نفسي القدرة على أدائه في يسر، عادت صورته المؤلمة نفسها للظهور أمامي، وملامحه الشاحبة تختلط بصورة وجهه المستنير، وهو يداعبني في حنان وأنا صغير، أحسست بقلبي يتوهج بالمحبة نحوه في صلابة، ولساني ينطلق مبتهلا بالدعاء له:

اللهم ارحم أبي .. واغفر له.

كنت أضغط على الكلمات بشفتي مع نطقي بها في ضعف، ثم في قوة، كررتها مرات عديدة، ونبض قلبي يدق في جنبات المكان من حولي.

ظللت أرددها مع اكتمال تماسكي من الأعماق، حتى رأيت وجهه يرتفع في بطء، ويسطع ببسمة كبيرة مستنيرة،وتجاعيده المنطفئة تتبدل إلى نضارة الزهور، والجو من حوله يصفو ويمتلئ بنسائم ربيعية متألقة، وقد بدأ الدم يسري بقوة منعشة في عروقه .

احتوتني فرحة غامرة، ورجفات قلبي تمتزج برعشات دموع الفرح في عيني بعد تبدل حالته من الانطفاء إلى النور.

جاءني صوت أمي مهزوزا مرتعشا، كأنه من مكان بعيد بهيج، وهي تقول لي:

الطعام جاهز يا حبيبي.

طويت سجادة الصلاة، ووضعتها جانبا، ثم نهضت، لأتهيأ للفطور والذهاب إلى العمل. وأثناء تناولنا للفطور، حكيت لها ما رأيته، فامتلأ قلبها بالبهجة . ولم أتركها حتى رأيت أمارات السعادة تملأ وجهها. ■

في الطريق إلى مكة

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه متنبئاً بفتح مكة(*):

عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء[1]

يبارين الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء[2]

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء[3]

وإلا فاصبروا لجلاد يوم ... يعز الله فيه من يشاء

وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء[4]

وقال الله قد ارسلت عبدا ... يقول الحق إن نفع البلاء

وقال الله قد يسرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء[5]

الا بلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء[6]

هجوت محمدا فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء[7]

اتهجوه ولستَ له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

هجوتَ مباركا برا حنيفا ... أمين الله شيمته الوفاء

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء[8]

لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء [9]

الهوامش

(*) ديوان حسان بن ثابت، ص٦٠، تحقيق الشيخ عبدالرحمن البرقوقي - دار الأندلس - بيروت، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م .

(١) النقع الغبار، وكداء: الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر وهو المعلى، وفي الحديث أنه دخل مكة عام الفتح من كداء .

(٢) الأسل: الرماح، الظماء: المشتاقة إلى الدماء .

(٣) اعتمرنا: أدينا العمرة .

(٤) روح القدس هو جبريل عليه السلام .

(٥) عرضتها اللقاء: أي تتعرض للقاء في الحرب .

(٦) أبو سفيان هو ابن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم، هجا رسول الله ﷺ، ثم أسلم يوم الفتح قبل دخول مكة . والمغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد . وقوله برح الخفاء: أي وضح الأمر وظهر ما كان خافيا وانكشف

(٧) الجزاء : المكافاة على الشيء إن خيرا وإن شرا . يروى أن رسول الله حين سمع منه ذلك قال: جزاؤك على الله الجنة يا حسان .

(٨) وعرضي أي نفسي، ويروى أنه لما بلغ حسان هذا البيت قال السيد الرسول صلوات الله: وقاك الله يا حسان حر النار .

(٩) لا تكدره الدلاء: أي لا ينال من شعره نقد ناقد ولا طعن معاند، والدلاء: جمع دلو .

توبة فارس*

حدثنا الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عبدية وأحمد بن حاتم عن محمد بن حازم قال: حدثنا عمرو بن المهاجر عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه قال: أتي سعد [1] بأبي محجن [2] يوم القادسية، وقد شرب الخمر، فأمر به إلى القيد، وكانت بسعد جراحة، فلم يخرج يومئذ إلى الناس، فصعدوا به إلى العذيب [3] لينظر إلى الناس، واستعمل على الخيل خالد بن عرفطة . فلما التقى الناس قال أبو محجن:

كفى حزنا أن ترجم الخيل بالقنا
وأترك مشدودا عليّ وثاقيا[4]

إذا قمت عناني الحديد وأغلقت
مصاريع من دوني تصم المناديا

وقد شف جسمي انني كل شارق
اعالج كبلا مصمتا قد برانيا[5]

قعودي عن الحرب العوان وقد غدت
وإعمال غيري يوم ذاك العواليا[6]

فلله دري يوم اترك موثقا
ويذهل عني اسرتي ورجاليا

قال: فقال لامرأة سعد خصفة: أطلقيني، ولك الله عليّ إن سلمني أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد، وإن قتلت استرحتم مني، فخلته، فوثب على فرس لسعد، يقال لها: البلقاء، ثم أخذ رمحا، ثم خرج، فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم . وجعل الناس يقولون: هذا ملك ! لما يرونه يصنع . وجعل سعد يقول: الصبر صبر البلقاء، والطعن طعن أبي محجن، وأنى وأبو محجن في القيد ؟! ..

فلما هزم العدو، رجع أبو محجن حتى وضع رجليه في القيد، فأخبرت ابنة خصفة سعداً بذلك، وما كان من أمره . فقال سعد: لا والله لا أضرب اليوم رجلا أبلى الله المسلمين على يديه ما أبلى [7]، وخلى سبيله، فقال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ كان يقام علي الحد، وأطهر منها، فأما إذ بهرجتني [8]، فلا والله لا أشربها أبداً !.. ■

الهوامش

(*)كتاب العفو والاعتذار، ٢ / ٥٩٩ تحقيق د . عبدالقدوس أبو صالح، دار البشير، عمان، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

(١) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبدمناف القرشي الزهري، صحابي أمين، فتح العراق ومدائن كسرى، وكان أحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد المبشرين بالجنة، توفي سنة ٥٥ هـ .

(٢) هو أبو محجن عمرو بن حبيب الثقفي، فارس شاعر، أسلم سنة ٩ هـ، وحده عمر (رضي الله عنه) مرارا على شرب الخمر، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر، فهرب حتى لحق بسعد بن أبي وقاص بالقادسية، وتاب عن الخمر، وتوفي سنة ٣٠ هـ .

(٣) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة، وكانت مسلحة للفرس .

(٤) رواية ابن سلام: «.. أن تطرد الخيل ..» ورواية الديوان: تطعن .. وأصبح ..» .

(٥) شف جسمه: أهزله . كل شارق: كل صباح، والشارق: الشمس . الكبل: القيد . المصمت: غير المجوف . براه: أضعفه وأهزله وأضناه .

(٦) الحرب العوان: التي كانت قبلها حرب أخرى، أو التي قوتل فيها من قبل . العوالي: الرماح .

(٧) الإبلاء: الإنعام والإحسان، يقال: أبلاه الله يبليه بلاء حسنا، إذا صنع به صنعا جميلا .

(٨) جاء في القاموس (بهرج): «وقول أبي محجن لابن أبي وقاص: بهرجتني، أي هدرتني بإسقاط الحد عني» قال: ماء مبهرج أي: لا يمنع عنه أحد، ودم مبهرج أي مهدر .

توظيف (الشخصية والحدث) التراثيين الإسلاميين في ديوان:

المسافر في سنبلات الزمن

للدكتور صابر عبدالدايم

بقلم : عبدالله مهدي عبدالله
مصر

يذوب شاعرنا في تراثه الإسلامي، لذلك تفوح رائحته من أغلب قصائده، ويعتبر هذا التيار في شعرنا المعاصر أنقى التيارين وأكثرهما مشاركة في صنع ثقافة قومية إسلامية متطورة، لأن اللجوء للتراث الأجنبي يحمل غرابة تلك الموروثات على وجدان المتلقي العربي وذوقه. ولعل استرفاد شاعرنا معطياته من موروثه الإسلامي القديم والحديث بكافة مصادرهما ينجلي في ديوانه الذي بين أيدينا «المسافر في سنبلات الزمن»[1] حيث استقى شاعرنا معطيات شخصياته من تراثه الإسلامي وكذلك الأحداث.

توظيف الشخصية التراثية

هناك محاذير تجاه استخدام الشخصية التراثية لتكون معادلا فنيا لموقف معاصر، فإذا لم تكن هذه الشخصية تتميز تاريخيا عن سواها بما يجعلها وحدها قادرة فنيا للتعبير عن قضية معاصرة . كذلك إذا اكتفى الشاعر بتعليق همومه وقضاياه في عنق الشخصية التراثية فإن ذلك يمثل خطورة تتربص بالأداء وتذهب به[2].

ففي قصيدة (أسماء الثورة والعطاء والتحدي) ص ٢٢: ٣٠ من الديوان يمعن شاعرنا في التقيد بالإطار التاريخي للشخصية، ولذلك ظلت معطياتها قابعة في حالة جمود لا تحمل تحولا مرنا لتصبح رمزا استلهاميا، فقد سجل شاعرنا مجموعة من المواقف التاريخية لأسماء وكأنه ينظم سيرتها الذاتية نحو : إفراز أبي جهل غيظه لطمة على وجنة أسماء لفشل مؤامرته فيقول (ص ٢٣، ٢٤) من الديوان :

وأبو جهل يرقص في عينيه الشيطان ويبغي الثأر
ماذا تفعل أسماء ؟
فلتحرق زيت المصباح وتطفئ كلّ الأنباء
وعلى وجنة أسماء
تهوي كف «أبي جهل» كالصخرة رعناء صماء
قتيل دماء
وترى وشم نجد ووفاء

ويواصل شاعرنا التزامه بالإطار التاريخي لأسماء فيسجل ذهابها ليلا إلى غار ثور حاملة في نطاقها الطعام والماء، وخداعها لجدها بجمعها حصوات ووضعها في الكوة ثم سحبها له وكان فاقد البصر - فلمس بيده ما وضع في الكوة فتستريح نفسه، وزواجها من الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ، وكفاحها في بيت الزوجية، ووقوفها المعنوي بجانب ابنها عبدالله بن الزبير في كفاحه

ضد البيت الأموي حتى استشهاده .

وعندما أراد شاعرنا إدخال خطوط من الواقع على لوحته التسجيلية كان مباشرا- فيقول في زواجها وعدم اهتمامها بما تهتم به الآن النساء (ص٢٧ من الديوان) :

هل سجنت معصمها بسلاسل ماسية

هل وضعت حول العنق الأسوار الذهبية

هل سقطت في وهم الإغراء وقالت

لا معبود سواي

رغم ذلك سيظل عالقا بتلك الشخصية التراثية ركام الموازنة والمقارنة والتأمل الذهني بين الماضي والحاضر .

أما في قصيدة (مشاهد من ملحمة العشق والبطولة «لمحمد بن القاسم»)(ص٣١، ٣٧ من الديوان) فيوظف الشاعر شخصية تراثية لها وجودها التراثي الحقيقي هي شخصية محمد بن القاسم في التعبير عن صمود إرادة الإنسان المسلم أمام قهر حكامه .... بالإضافة إلى زيف أرباب الكلمة في وطنه .

وقد وفق الشاعر في توظيفه لتلك الشخصية التراثية للإيحاء بأبعاد رؤيته الخاصة .

فمحمد بن القاسم، قائد شاب عربي مسلم فتح بلاد الهند في عهد الوليد بن عبدالملك وقتله صالح بن عبدالرحمن التميمي بأمر من سليمان بن عبدالملك في سجن واسط بالعراق لأنه ابن عم الحجاج الذي أيد الوليد في عزل أخيه سليمان من ولاية العهد، ومات في الرابعة والعشرين من عمره ... فشخصية محمد بن القاسم في القصيدة رمز لصمود الإرادة العربية المسلمة ..... أما شخصية سليمان بن عبدالملك في القصيدة فرمز للحاكم المتعصب الظالم ... فها هو فارسنا يبين مصادر تكوينه الجسدي والروحي فيقول (ص٣٢ من الديوان) :

من ثدي السيف تغذيت

وعلى صدر أمية غنيت

وبقلب الحجاج دخلت

ونزعت النقط السود السارقة الأضواء وسافرت

في شرياني كلمات المصحف تهدر نهرا من نار وضياء

د . صابر عبدالدايم

ولا يفوتنا الوقوف عند قوله : (ونزعت النقط السود السارقة الأضواء) وكأنه يود القول : بأنه في حياة الحجاج جوانب مضيئة أهملها المؤرخون مركزين على جوانب السواد فقط . . ولا يخفى ما يحمله هذا المعنى من إدانة واضحة للمؤرخين.

وها هو شاعرنا يسمعنا صوت التاريخ شاهدا على نفسه ومقررا نقيضين من الموتى (موتى أحياء) وهم أصحاب المبادئ والذين يستشهدون من أجلها، و (أحياء موتى)، وهم المنافقون المزيفون، ويحمل هذا المنحنى التراثي إيحاء بزيف الواقع ومرضه ... يقول شاعرنا (ص ٣٥ من الديوان) :

وسليمان كل الأشياء مسخرة لهواه الموتور

حتى التاريخ ضمير الثوار – الراي ...

.... لديه مفاوز موت ورياض حياة !!!!

والصم – البكم – العمي . كبار مشيريه وسمار الليل !!!

والموت هو الظل الحاكم

من اين يمر الموتى الأحياء ؟

من هذا المنعطف المحموم المتمرد

(تحل دماء المسلمين لديهم

ويحرم طلع النخلة المتهدل)

والأحياء الموتى من شرفة هذا البيت يطلون

(وبدا الصباح كأن غرته

وجه الخليفة حين يمتدح)

والسمار ينوحون : الحجاج الغائب موجود ...

.... وسليمان يهوى

ولعلك تلحظ تضمين شاعرنا لهذين البيتين التراثيين :

بيت الكميت بن زيد الأسدي :

(تحل دماء المسلمين لديهم

ويحرم طلع النخلة المتهدل)

وهذا بيت جرير :

(وبدا الصباح كأن غرته

وجه الخليفة حين يمتدح)

وقد استعان شاعرنا وقام بتضمين هذين البيتين لتوحد الكامل والتام بين رؤية شاعرنا وبين تضمينه لهما



موسى في قلب الظلمة يعدو
فالنار - الوعد - نجاة وسماء
كانت في البدء ولا زالت في القلب ..
.... تصد وتحرق كل الأفناء
والنار تنادي
(اخلع نعليك)
إنك في أقدس واد

وهاهو شاعرنا يفرز خلاصة تجاربه في الحياة للإنسان المعاصر أثناء تحاور موسى والخضر - عليهما السلام) فيقول محاورا الإنسان المعاصر (ص ١٧ من الديوان) :

زود نفسك للرحلة ... أحكم سفنك فالبحر عميق
والزاد ؟ وأين ؟ وكيف؟
النهر الراكد لا يعرف مجراه ولا أين يصب
جدد ذاتك - واعرف كيف يقود خطاك إلى الحق الرب

وفي قصيدة (إيقاع الزمن القادم) ص ١٠ : ١٣ من الديوان) يوظف الشاعر شخصية تراثية لها وجودها التراثي الحقيقي هي شخصية (نبي الله) يوسف عليه السلام، في التعبير عن مكابدات وطنه بفعل الحاقدين والخونة - رغم ذلك - ظل وسيظل الوطن صامدا .

وقد وفق الشاعر في توظيفه لمعطيات تلك الشخصية للإيحاء بأبعاد رؤيته الخاصة ... فنبي الله يوسف [٣] - عليه السلام - (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) اشتعلت نيران الحقد والغيرة في نخاع إخوته لحب أبيه الشديد له فشكلوا مخططا للتخلص منه .... انتهى برميه في قاع الجب وخداع أبيه بدم كاذب على قميصه تدليلا على أن ذئبا غافلهم وأكله ...

وتتوالى أحداث قصته وقد اكتظت بالحاقدين والخونة... وفي نهايتها تنجلي الحقيقة .. ويعترف الظالمون بظلمهم ليوسف - عليه السلام - ويحبه ملك مصر ويوليه شؤون البلاد الاقتصادية .

شاعرنا عاشق لوطنه وقد ثبت فيه روح العشق رياحين الصفاء والنماء والأمل فيقول (ص ١٠ من الديوان) :

صوتك ينشلني من قاع الجب
يحملني فوق جواد الريح (لواق الواق)

.. ولا يخفى الإيحاء المتولد من التضمين بزيف الواقع وتفشي النفاق فيه ...

وفي قصيدة (إشراقات من سفر التكوين والنبوءة) (ص ١٤ : ١٨ من الديوان) هربت شخصية (كليم الله موسى) - عليه السلام - بتاريخها حيث لم يستطع شاعرنا الاستجابة لثرائها الفني وبعدها التاريخي وبإمكاناتها الرامزة وقدرتها الإسقاطية باستثناء الجزء الذي يتحاور فيه موسى والخضر - عليهما السلام - فقد وفق شاعرنا في هذا الجزء في تحميل المنحنى التراثي بالدلالات في توازن فني بين القدرة والفعل بحيث تمازج الصوتان ولم يعل أحدهما على الآخر .

ولنقرأ تلك الآيات القرآنية قبل قراءتنا للقصيدة ....
﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ (سورة طه).

ونعرج إلى القصيدة وقول شاعرنا (ص ١٤ : ١٥ من الديوان) :

النار تمد شراع رجاء

يسقيني صوت الحق الساري فوق جناح الرؤيا
يرفض أن تتشرنق في أفراح اللقيا ...
.... أصداء الكذب السائل من ثوبي المصبوغ
... بزيف دماء الذئب .

رغم مكابدات الوطن المتولدة من سهام الخيانة وجمرات الحقد ومن ... سيبقى الوطن نهرا متدفقا فضفاضا يشحن روح الصمود فينا ويحث بلابل الأمل على التغريد دوما (ص ١٣ من الديوان) :

لم يبق سوى صوتك... ينشلني من قاع الجب
يسقيني صوت الحق الساري فوق جناح الرؤيا
يجتاح كل سدود الغيب
يفتح كل خزائن هذا العالم بين يدي

توظيف الحدث التراثي

«أحيانا يوظف الشاعر حدثا أو مجموعة من الأحداث التراثية التي يحس ثمة لونا من التراسل الشعري بينها وبين رؤيته المعاصرة، ومن ثم فإنه يوظف هذا الحدث أوالأحداث رمزا للإيحاء بأبعاد هذه الرؤية»[٤].

وفي قصيدة (الفزع الأكبر، ص ٣٨ : ٤٣ من الديوان) يوظف الشاعر مجموعة من الأحداث التراثية والتي ترسم لونا من التراسل الشعري بينها وبين رؤيته المعاصرة .

فلحظة قيام الساعة، والطوفان، وسلب عصا موسى قدرتها الإعجازية، وسفينة نوح لا ترى ميناءها كل ذلك وظفه الشاعر إيحاء بهوان الواقع العربي والإسلامي ....

ومن اللافت للنظر توظيف شاعرنا لبعض الأحداث عكسيا وذلك بتوظيفها في التعبير عن نقيض مدلولها وذلك للدلالة على هوان الواقع ومرضه فيقول (ص ٤١ من الديوان) :

... وتلقى في الإعصار نبوءات الصديق
فيصير الماء لهيبا ودماء
وعصا موسى لا تضرب أحجار الظلم ولا تغدو جسرا للشرفاء !!
وسفينة نوح لا ترسو فوق الجودي ..
... ولا تبصر وجه الميناء !

ويكف شاعرنا عما يتمناه لأمته الإسلامية فيقول :

وتشرق بالألحان بعين الأقصى المهجور
ويغيض الماء ...
... ويقضى الأمر ..
... ويلتئم القدس المشطور
والسلم ترفرف في الآفاق ذراعاه ...
تلوح بالسيف المنصور

وفي قصيدة (المنفى داخل الوطن، ص ٦٩ : ٧٤ من الديوان) يحاول شاعرنا أن يسلبنا من الواقع عن طريق الإيهام لكي يرتد بنا إلى التجربة التاريخية فنعيش واقعها نتعرف على الشخوص ونعاين الأحداث ونلم بكل التفصيلات، وقد أمعن شاعرنا في التقيد بالإطار التاريخي في إطار وحدة الزمان والمكان التاريخيين .

فها هو .. شاعرنا يصوب آلاته التصويرية اللفظية إلى وقفة عابدين ليلتقط صورة سطحية لها فيقول (ص ٦٩ من الديوان) :

عنوان كتابي الأول «وقفة عابدين»
حيث الصنم الواقف، والكلمات رصاص يقتل أنفاسه
«لمن يخلقنا الله عقارا»
«لن نستعبد بعد اليوم»

ويخلص شاعرنا في نهاية قصيدته إلى أن يخطب قائلا (ص ٧٤ من الديوان) :

سنحارب من أجل الحرية
سنكون فداء للوطنية
نصرخ في التل ..
وعند رشيد نقسم..
نقسم....؟؟؟ ثم نعيد

ونخلص من جولتنا عن التراث في ديوان«المسافر في سنبلات الزمن» إلى التسليم بتمكن شاعرنا من تقنيات توظيف التراث في القصيدة الحديثة من حيث الاتحاد الكامل كما في قصيدة (أسماء الثورة والعطاء والتحدي)، والاتحاد والانفصال في آن واحد في قصيدة (مشاهد من ملحمة العشق والبطولة «لمحمد بن القاسم») . ■

الهوامش :

(١) المسافر في سنبلات الزمن، ديوان شعر للشاعر الدكتور صابر عبدالدايم، طبع على نفقته، عام ١٩٨٣م .
(٢) لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر، الدكتور رجاء عيد، صدر عن منشأة المعارف بالإسكندرية، ص٢١٢ .
(٣) قصص الأنبياء، لابن كثير، ط ١، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر بالإسكندرية، من ص ٢٢٩ : ص ٢٦٦ .
(٤) من فصول (مجلة النقد الأدبي) تصدر عن الهيئة العامة للكتاب، المجلد الأول، العدد الأول، أكتوبر ١٩٨٠ م، دراسة عن توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر، للدكتور علي عشري زايد، ص ٢٠٩ .

رحيل المقاوم

شعر : رمضان عمر
فلسطين


محمود درويش

بمناسبة فوز الشاعر محمود درويش بجائزة ريمارك للسلام ، التي اقتسمها مع الأكاديمي الصهيوني دان بار أون ، وهو ما اعتبرته لجنة التحكيم الخاصة تعبيرا عن الأمل في الوصول يوما إلى سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين. والمعروف أن الجائزة تمنح كل عامين لأشخاص يعملون في خدمة السلام وتبلغ قيمتها عشرين ألف يورو.

ها أنت تكتب ما تريدُ
لمن تريدُ
ونحن نكتب ما نريدْ
عتقت شعرك بالنياشين الكثيرةِ
أترعت فيك العروقُ
ومسك الزهو المجيدُ؟!
وتغلغلت فيها النهايات السعيدةُ
كل ذلك ما تريدْ
ورغبت عنا بالمجون وبالسياسةِ
بالدهاءِ
بعلة التجديدِ ...
بالقمر الذي رسمت يداكْ
بظل نجمة!!
....
طارت مع النشو المعتق
بين صالات التنازل
كل أوراق الثبوت
وصار ظلك كالمجازِ
وكالكنايةِ
لم تعد ترنو لسوق في عكاظ أو مجنةْ
منحوك كل جوائز السلم السخيفِ
وباركوا فيك التعايشَ
بين صلّ الموتِ ...
تحت السحقِ
دون الردِ
صرت المجد عندهمُ
لأنك قابل التقسيمِ
في زمن التلاعبِ
لا تثير الذعر
في قواتهمْ
لا تلهم الأحرار بعض الشحن
لا تخفي بجعبتك الحديثة
بندقية
....
وقنابل الموت الموشحِ
بالظلام وبالرعودِ
تصبُّ ويلات العذاب على العبيدِ
وأنت في سردابهمْ
تتجاذب الأحلامَ
عن دنيا التعايش
بين أسياد التطرفِ
من عمالقة المجازرْ
مع عبيد الأرض
في بقاي مخيمنا المهشمِ
وتوضأت فيكَ
المشارب من خمور الراقصينَ
على الجماجم
فوق تلتنا العتيقةِ
قرب يعبد والجليلْ

....

أين المقاومة العتيدةُ

في بدايات النصوص المفعمةْ؟!

أين الزنابق والورود لعاشق الوطنِ

المدجن بالسليقة؟!

أين الفتى العملاق؟

«سجل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألفاً

وأولادي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف»

أبعد الصيف جاء شتاؤك المرُّ

لتحصد من مزارعنا

بصيص النور

كي تبني لك التاريخَ

بالسجادِ

بالدولارِ

بالتغريبِ في أحضان من سفكوا

....

أجرني يا ملاك الشعر قد هزمتْ

بك الأشعارُ

في مدريدَ

وانسلت قوافلنا إلى البيدرْ

....

خذ العشرين يا محمودُ

لا انتفعت بها الثكلى

ولا شيخٌ

ولا الرمان والزعترْ

ولا الليمون يا محمودْ

واكتب كالذي تهوى

قصيد النرجس المعسولِ

في حانات مربعهمْ

قصيد حمائم التهديلِ

ولا تكتب عن المنبرْ ...

وذب في الغرب يا محمودُ

إن الشعب لم يخسرْ

ولن يخسرْ

قلت لك

أما قلت لكْ

أحس بأن نهاري

سيشرق بالرغم من حلقات الحلكْ؟

أما قلت لكْ

يدور الزمانُ

يعود إليك بزوغكَ

تعلو .. وتعلو ... وتعلو

فيرفع عينيهِ

من شاء ينظر لكْ؟

أما قلت لكْ

يعاندك الحظ .. فاسعَ

إلى موعد تتبدل فيه النجومُ

ويسطع سعد السعودِ؟

فصبر جميلْ

فإن لكل حصاد فصولْ

وسوف يدور الفلكْ

أما قلت لكْ

إذا ما شهدتَ

وآمنت .. ثم استقمتَ

وخضت المكاره لست تميلْ

ستكبر في طرق المستحيلْ

ويصبح ما رمت لكْ؟

أما قلت لكْ

أما ... قلت لكْ ؟

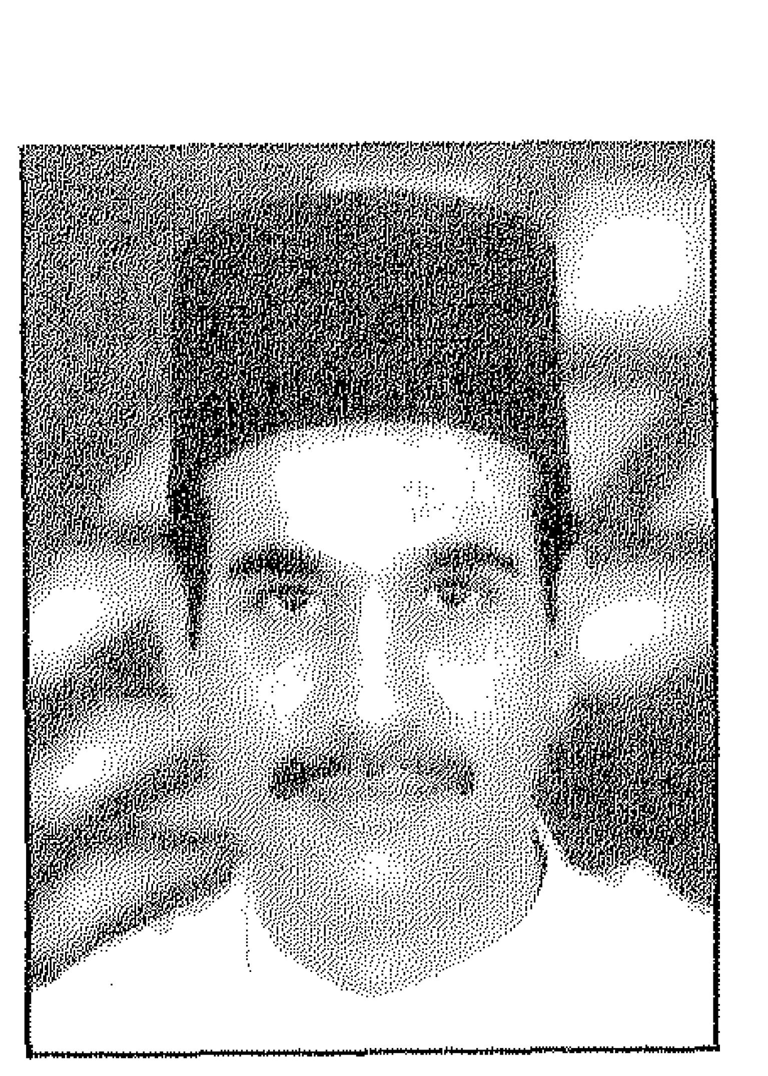
شعر : فوزي خضر

مصر



للأخت الأديبة أم سلمى قصص كثيرة، منها ما جمعته بين دفتي كتاب يحمل عنوان : «إيقاعات في قلب الزمن»[1] .

وإذا قلبت صفحة العنوان فإنك واجد مباشرة أن القاصة أهدت كتابها إلى كل الغرباء، وإلى كل الغازلين خيوط الحلم، وإلى «سارة» في تحديها الرائع . وإذا كانت كلمة الغرباء - أولاً - تستدعي حديث الرسولﷺ : «بدأ هذا الدين غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ . فطوبى للغرباء، قيل : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قالﷺ : الغرباء هم الذين يصلحون ما أفسد الناس» وفي رواية: «يصلحون إذا فسد الناس»، والروايتان صحيحتان، ولا بد منهما، لماذا ؟! لأننا نراهن على الصالح المصلح، الهداة المهتدين، والأدباء المسلمين، أولئك هم الغرباء الذين لا يخالفون إلى ما يدعون وينهون . وإذا كانت سارة - أخيرا - تتحدى ولتحديها روعته، وبالمناسبة فإن سارة في القصص تمتح من الواقع الشيء الكثير - فإن قلب ووسط ولب الإهداء، إلى كل الغازلين خيوط الحلم والأمل، فلا مجال للقنوط حتى في أعتى لحظات الظلام، إنما هي مواصفات الغربة من صلاح وإصلاح، وهي أحلام متفائلة مرجوة التحقق تعقد عليها الآمال، كما تحديات رائعة واستجابات لهذه التحديات إذا استفدنا من «توينبي» .



بقلم : سعيد ساجد الكرواني
المغرب

وفي الصفحة الرابعة تفتح فؤادك لتسمع بكليتك إلى كلام متخصص مسؤول للدكتور عماد الدين خليل الناقد المعروف، ورغم قلة سطوره، فإن دلالته شاملة ووافية، بكل ما في الكلمة من معان وظلال، ورغم أن كلامه كان حول النموذج «من يوميات التشرد» إلا أننا نبلغه من هاهنا أن ما قاله بصددها ينسحب على كل قصة على حدة، وسأسرد كلامه برمته لأبين ما ذهبت إليه : قال الدكتور عماد بالحرف : «لقد سعدت وأنا أقرأ نموذجا من مجموعتك القصصية " من يوميات التشرد " فأحسست بتجاوب معها : ربما بسبب لغتها الشاعرية الشفافة،

وربما بسبب حوارها المقنع، وربما بسبب أسلوبها الغني بصوره الغنية التي صيغت بعناية، وبتعابيره المؤثرة التي منحت القصة دما حارا .. » .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا للناقد الجليل: إننا شاركناك في سعادتك خلال قراءتنا للمجموعة القصصية كلها، كما تجاوبنا مع كل قصة بالخيط الرفيع الرابط بين تلابيبها جميعا، كما نستأذنه في إزاحة كلمة " ربما " لتجتمع في صعيد واحد، وفي كل القصص من البدء إلى المنتهى، اللغة الشاعرية الشفافة، والحوارات المقنعة، والصياغة الفنية، بأسلوب غني بصوره التي لا تخطئها العين، فضلا عن الدماء التي تفضلت بها على الإيقاعات التعبيرات المؤثرة، كما قال الأخ الحبيب والصديق الوفي د . عماد الدين خليل حفظه الله وسلمه .

نعم، كل ألوان الحوار غير متكلفة، تشعر بذلك حين تغرق فيما يسمونه بالحوار الداخلي أو المناجاة الذاتية، ولكن هذه الذاتية عند أم سلمى عصية على الانفصال عن الجماعة . إذ تقول في خلال مراسلة: «إن الكتابة عندي مسؤولية وأمانة، وليست ترفا فكريا أو وجدانيا، وبما أنها كذلك، فهي جزء من حركية الأمة والمجتمع، تعبر عنها، وتصدر عن مختلف آمالها وآلامها، هذا بالرغم من اعتباري أن أي كتابة تتمتع باستقلالية فردية، ولكن بما أن الذات الإسلامية غير منفصلة عن الأمة، فإنه – في نظري– لا يمكن الفصل بين المشاعر الذاتية والمشاعر الجماعية»، مما يدخلنا في قلب الأحداث لنعلن حضور المرأة في كل قصة، وهو الأمر الذي لا يعني أنها تتحرك بمعزل عن مكونات المجتمع، كلا، فإن القاصة تصورها في كل مستويات دُرَجه، غير أن مجرد هذا الطرح، ينبئ عن إرادة تغييرية قوية في طرح الأبدال والبدائل، وتقول أيضا : «والوظيفة الأساسية التي تتحكم في الكتابة هي التغيير، فبمحاولة طرح البديل لمختلف التراكمات الأدبية والأطروحات الكتابية، يكون الهدف هو إحلال الطبيعي محل الشاذ، والفطرة محل الوضع السائد الفاسد»، اقرأ «الإعلان» لتحس أنها قصة واقعية بطريقة أو بأخرى مركزة جدا جدا، مع أنها لا تتعدى ثلاث صفحات من القطع المتوسط، والحروف غليظة، والبون بين الأسطر شاسع، لتثور أعصابك، فترثي لحالة فاقة وعوز في مجتمع ثرواته وفيرة، إلا أن قسمتها ضيزى، فيضيع البطل المسكين مرتين: واحدة، حين يصدق الإعلان عن شراء عضو من أعضائه بأغلى ثمن، وأخرى ليقبض دراهم معدودة لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا تسعف حتى في تعويض ما أفسد الأطباء بالبتر كأنما يتواطؤون مع السفاحين عن سبق إصرار وترصد ونية مبيتة . إن البطل لم يجن إلا مرير الحصاد، وها هو مشلول مرمي على الفراش، ويا أروع ما عبرت به لتصوير المأساة بذيولها الباهظة في واقع لا يرحم : «كان رأسه يدور ويده قابضة على بضع مئات من الدراهم، لم يعد يدري شيئا، والذي يدريه أنه لم يعد يقدر على الخروج من بيته، وعيناه الحيتان تتابعان زوجته في دخولها وخروجها، لا يدري أين ومن أين، وانتهى حتى الخصام، ولم يبق له سوى النظر بصمت مشلول» . (ص٣٦) .

والملحوظ هو إغراق هذه القصة في المعاصرة حيث يتقدم عالمنا خطوات إلى الوراء – من أسف – لأنه عوض أن يسهم في حياة مطمئنة، ينيخ بكلكله، ويجثم بثقله على إنسان هذا العصر بمشكلات ومعضلات، لم تكن لتخطر على البال، تضطره إلى بيع نفسه جزئيا أو كليا، لكن دون ثمن! إنه حقا واقع لا يرحم ، أفلحت القاصة باقتدار في تصويره هاهنا .

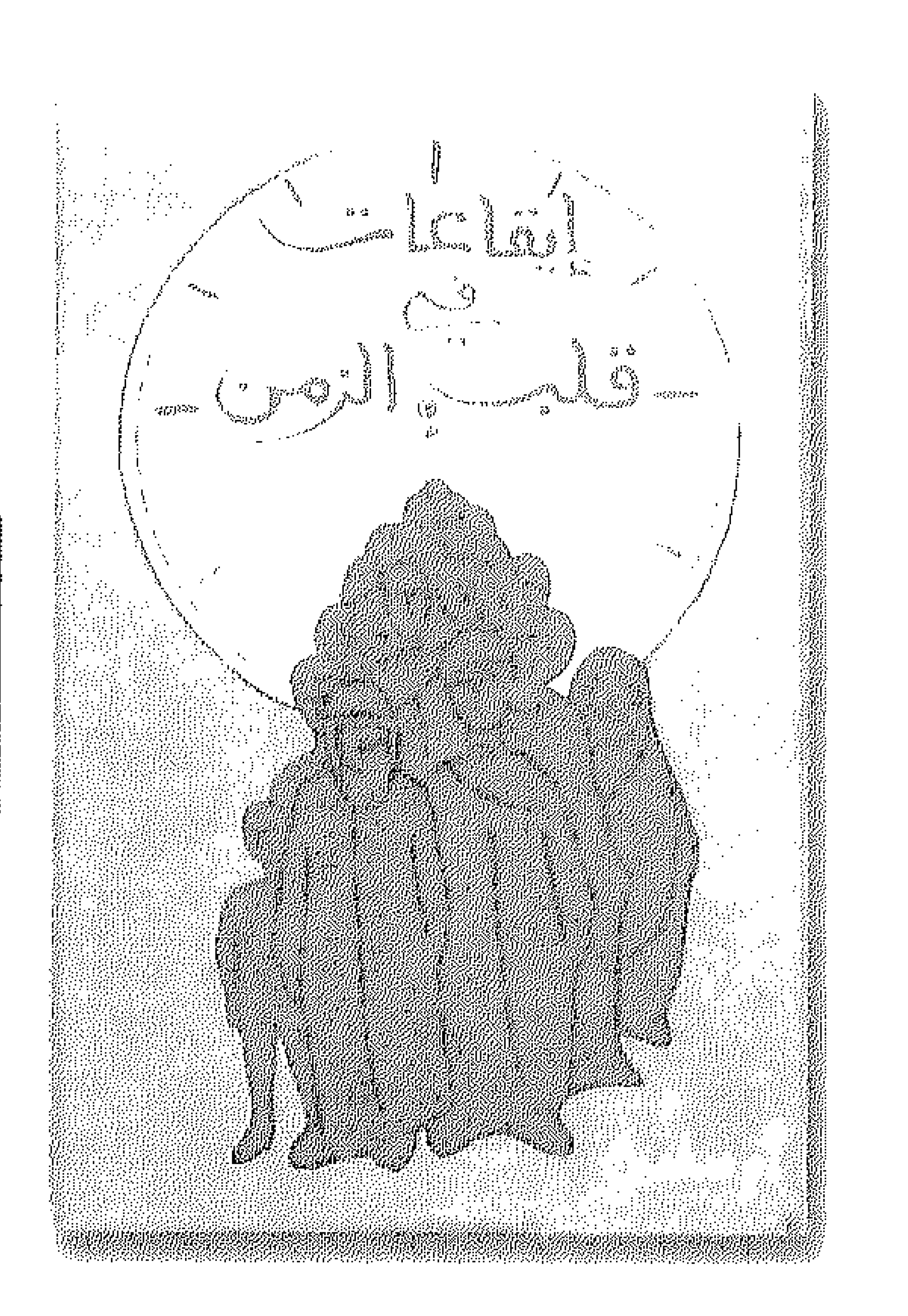
وفي إيقاع آخر « .. ممل في حافة الزمن» كان يجد لذة في الكلام عن متاعبه وهي تصغي إليه، تود لو تفديه، تود لو تمحو عنه هذا التعب، لكن الواقع أقوى منهما، تلطخه رغبات محمومة لمترفين يعيشون من عرق المقهورين ولا ينصفونهم، قالت له : ألن يأتي ذلك الغد أبدا ؟ ظل السؤال يتمطط في أجواء البيت دون أن يجد له جوابا يلمه ...» ص ٤١، ٤٢) .

وقبل «الإعلان» بقصة، كنا على موعد مع «رحلة في عالم الضياع» ، تفصل بينهما، « من يوميات التشرد» إنها رحلة فتاة تطمح إلى تغيير وضعيتها، تلتقي برفيق ليس ككل الرفاق، ظنا منها أنها التقت بالمبادئ التي تخول لها التغيير الذي تنشده خاصة وأن وعود «الرفيق المناضل» كثرت وتصب في نهر «المصلحة العامة» – زعم – لتفاجئها الأحداث / اللقاءات المتكررة بخوائهم، وأنه لا مجال للنضال المكذوب، إنما هي اللذة واللذة

الحرام فقط، ليوفي الأمر على صراعات داخل هذه اللقاءات، خصوصا في لحظات اللقاء الأخير بالرفيق الزائف، الذي من خلاله تذكر أحداثا جلّى مرت بها : من صراع مع الجيران، فتستعرض شريط جارتها وطمأنينتها في تصرفاتها، وتتذكر كذلك نزيف أمها، ولا شك أن الصراع الذي كان «يحتدم في داخل البطلة، اقتضى أن يكون بناء القصة متشابكا، تتداخل فيه الأزمنة، وترتفع فيه بعض الأصوات الخارجة عن السرد، وأما الأمر المفرح حقا، فهو التأكيد على فتح بوابة الأمل في كل الأحوال، وإليك هذه الخاتمة حيث تنتصر الفتاة بقدرة القادر سبحانه : «... دارت الغرفة حولها، بطنها تتقلص.. الأمعاء تقفز نحو حلقها .. الحلق خرطوم يفرغ القيء على الكؤوس، وأيد عديدة تدق الباب بأصوات مختلفة .. كثر اللغط ... تداخلت الأصوات ...، صوت واحد قوي ارتفع من أعماق الزمان والمكان يدوي ويطغى على جميع الأصوات التي تخفت وتشحب الله أكبر الله أكبر ، ويغمر الصوت كل جسدها ، كل عقلها، الله أكبر » (ص٢١) إنها الدعوة التامة، وهنيئا بالعودة إلى رحاب الإيمان ..

لكن ثمة كلمة، يا حبذا لو كانت بدلا لها كلمة أخرى من النداوة والانسياب عوضا عن الطغيان وما جاوره، ثم ألا نستحضر قول الرسول ﷺ:«إنه – يقصد بلالاً رضي الله عنه – أندى صوتا منك» ؟! بلى .

وأنا لا أدري لم ضحكت ملء شدقي ضحكات معمورة إيلاما، لا



أستطيع وصفه بدقة، وأنا أقرأ هذا المقطع من «الإيقاع الممل»، ألأنني اقتربت من نفس الظروف، أم لمجرد التعاطف مع البطلة، أم لأن نظرات الأطفال وأصواتهم تجلد؟! لا أدري.. الأرضية تلمع ، لكن الحيطان تنظر إليها بشماتة، وهذا الكرسي الفاقد لإحدى قدميه، وكأنه خارج توا من الحرب، لماذا يحاول إخفاء تلك الابتسامة القذرة، تنهدت بعمق .. لا فائدة، هدأ البيت قليلا، قبع الأطفال أمام التلفاز الصغير، تعالى صوت الصغير يشق طبلة أذنها قائلا ببراءة خبيثة[٢] : «لو كانت "تلفزتنا" ملونة لرأينا هذا البرنامج أحسن، أليس كذلك يا أمي ؟ ...» (ص ٣٩) .

وما يلفت الانتباه كذلك في قصص أم سلمى أنها تحسن العزف على اليومي والواقعي بأسلوب جميل ومؤثر خاصة ما يوحي بصرامة الواقع الذي يعيشه أغلب الناس إلا أنهم لا يعبرون عنه : «... أشعل النور والتفت صوب طفليه، وهما فوق بعض، يتعاركان، " زعق فيهما "، – "بابا .. لم يتركني أنام، ما إن بدأت أحلم حتى رفسني " . – "والله العظيم يا بابا لم أفطن إليه، رجله دائما في أنفي ولا أشتكي " . – "دائما الصراع، ألا تتركونا ننام قليلا! هذه ليست حياة! "، " تمكنت العنكبوت من تطويق الدخيل، أخذ الصغير إلى فراشه، وضعه تحت قدميه، أصبحوا أربعة في فراش واحد ... " (ولو سأنتظر)!! (ص ٥٣، ٥٤) .

وتذكرني – حقيقة – قدرة الأستاذة سعاد الناصر (أم سلمى) على التعبير عما يبدو أن لغة الأرقام أولى به، بالشاعر والناقد العراقي المعروف حكمت صالح الذي يجعل الحجارة الصماء تنطق هي ووسائل التقنية الحديثة، تقول الأديبة : «أسندت رأسها إلى كتفها وغابت عن حمى أفكار قادرة لو انصهرت مع الفعل أن تقهر غابة الصمت، وتعيد الحسابات الممزقة إلى عنفوانها القديم " (على ضفاف الحلم) (ص ٢٢)، ثم إن القصص – ختاما – تحتاج إلى لغة الإحصاء المعجمي نرجو أن نرجع إليه إن شاء الله رب العالمين .■

الهوامش

* سعاد الناصر، أديبة وشاعرة وناقدة، أستاذة جامعية بتطوان المغرب، لها أعمال متعددة خاصة في القصة القصيرة والدراسة النقدية، صدر لها : "فصول من موعد الجمر "و " لعبة اللانهاية» ...

(١) ط١، ١٩٩٤م، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، المغرب .

(٢) إسناد جميل فيه من التمنع، ولا عجب إذ يذكرنا بأديب العربية والإسلام مصطفى صادق الرافعي رحمه الله، فقد قال في " السحاب الأحمر " ط٧، ١٣٩٤هـ، دار الكتاب العربي ببيروت، لبنان، : «فمهما نافق الصغير فهو ذكي خبيث، ولكن نفاقه ينتهي بقبلة على خده أو لطمة ...» .

توبة شاعر تركي



بقلم: د. محمد حرب*

توغلت الدولة العثمانية باسم الإسلام، رافعة لرايته، داخل أوروبا، مرورا ببلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ثم النمسا، وأمام أسوارها توقف السيل العثماني الجارف الهادر، ووجد العثمانيون أنفسهم لأول مرة - لا يستطيعون التقدم والفتح ومواصلة المد الإسلامي، الذي خرج من جزيرة العرب ووصل إلى أوروبا الغربية مرورا بشمال إفريقيا، والذي توقف عند حدود فرنسا.

ساعتها أدرك العثمانيون أنهم تأخروا، وبحثوا في الأسباب، من عسكرية وسياسية وحضارية وفكرية .

وانخدع الشباب العثماني بفكر الغرب الذي كان يسعى لفتح القلعة من الداخل، ودخلت الفلسفات الغربية إلى البلاد، ثم اعتنقها شباب أصبحوا القادة فيما بعد . ومن هؤلاء الشاعر والمفكر العثماني رضا توفيق (١٨٦٨ - ١٩٤٩م) .

درس رضا توفيق في مدرسة اليانس اليهودية في إستانبول ثم في المدارس الأرمنية في إزمير ثم في مدرسة غالاطة سراي التي خرجت زعماء تركيا من العلمانيين، وحتى اليوم .

كان رضا توفيق عبقريا، أجاد اللغات العربية والفارسية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والإسبانية واليونانية والأرمنية .

انضم رضا توفيق إلى جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٧م، وكان من أبرز – إن لم يكن أبرز – الخطباء الذين دافعوا عن فكر الاتحاد والترقي، وهو فكر اتسم بالعلمانية والمطالبة بحرية رأوها. وعمل مدرسا للفلسفة في جامعة إستانبول، وفي عهد سيطرة الاتحاد والترقي كان وزيرا للمعارف (١٩١٨م) . وعرف في الأدب التركي العثماني باسم الفيلسوف رضا . ومن أعماله دروس في الفلسفة (١٩١٤م) – القاموس الفلسفي المفصل في جزأين (١٩١٤–١٩٦م)، وكتابه المشهور عبد الحق حامد وملاحظات فلسفية (١٩١٨م) ترجمة رباعيات الخيام (١٩٤٥)، توفيق فكرت شاعر تركي إلحادي مهاجم للتاريخ الإسلامي وللقيم الإسلامية (عام ١٩٤٠م) .

ومن أشعاره في وصف الدولة العثمانية – على الأغلب :

تفرق أهل الدار، واضطرب البيت
انهار الدار وتحول إلى خرابة، إلى قبر
لم تعد الورود تبتسم فقد عاودها الذبول لم تعد البلابل تغني في الرياض

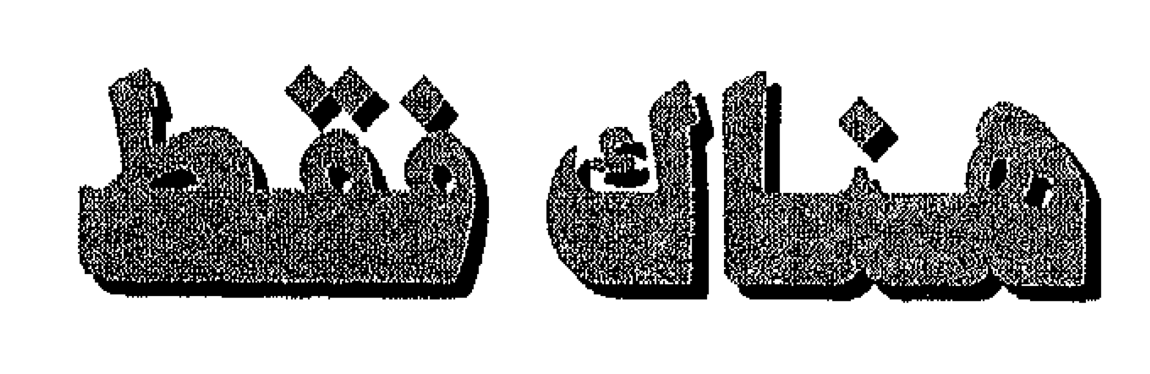
وكان معاديا للمعاني الإسلامية الجميلة التي حملها وحمل لواءها السلطان عبدالحميد الثاني، وكان مخططا فكريا لكيفية تقويض دعائم الحكم العثماني على اعتبار إسلاميته، وتأثر برضا توفيق أعضاء الاتحاد والترقي خاصة الضباط .

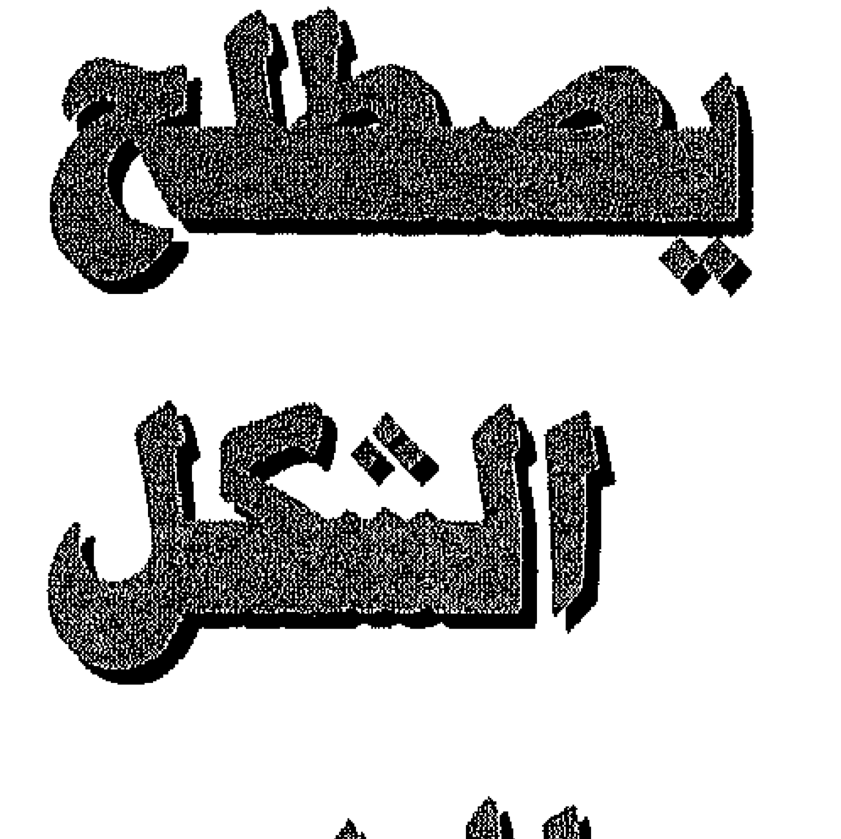
وعندما نجحت جمعية الاتحاد والترقي التي كان رضا توفيق عمادها الفكري والفلسفي، ورأى تطبيقات الجمعية عندما تولت السلطة، أدرك أنه أخطأ خطأ جسيما باتباعه الجمعية، وباشتراكه في إسقاط رأس الدولة المسلم السلطان عبد الحميد الثاني، فتاب وأناب، وقال قصيدة انتشرت وذاعت، وهي :

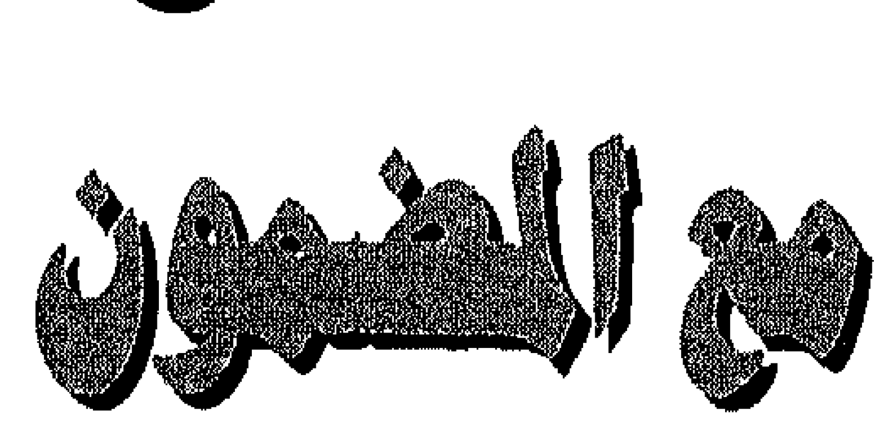
السلطان عبدالحميد الثاني
عندما يذكر التاريخ اسمك أيها السلطان العظيم
يكون الحق معك وفي جانبك
افترينا عليك دون حياء
وأنت أعظم السياسيين في عصرنا
قلنا : إن السلطان عبدالحميد ظالم
قلنا : إن السلطان عبدالحميد مجنون
قلنا : لا بد من الثورة على السلطان
وصدقنا كل ما أوعز به الشيطان إلينا
وتسببنا عندما ثرنا عليه، في إيقاظ الفتنة
وكانت نائمة
لم تكن أنت المجنون يا مولاي، بل كنا نحن، ولم نكن ندري
لم نكن نحن المجانين فحسب، بل كنا، قد عدمنا الأخلاق
ذلك لأننا قد تنكرنا بعزلك أيها السلطان العظيم لقبلة الأجداد. ■

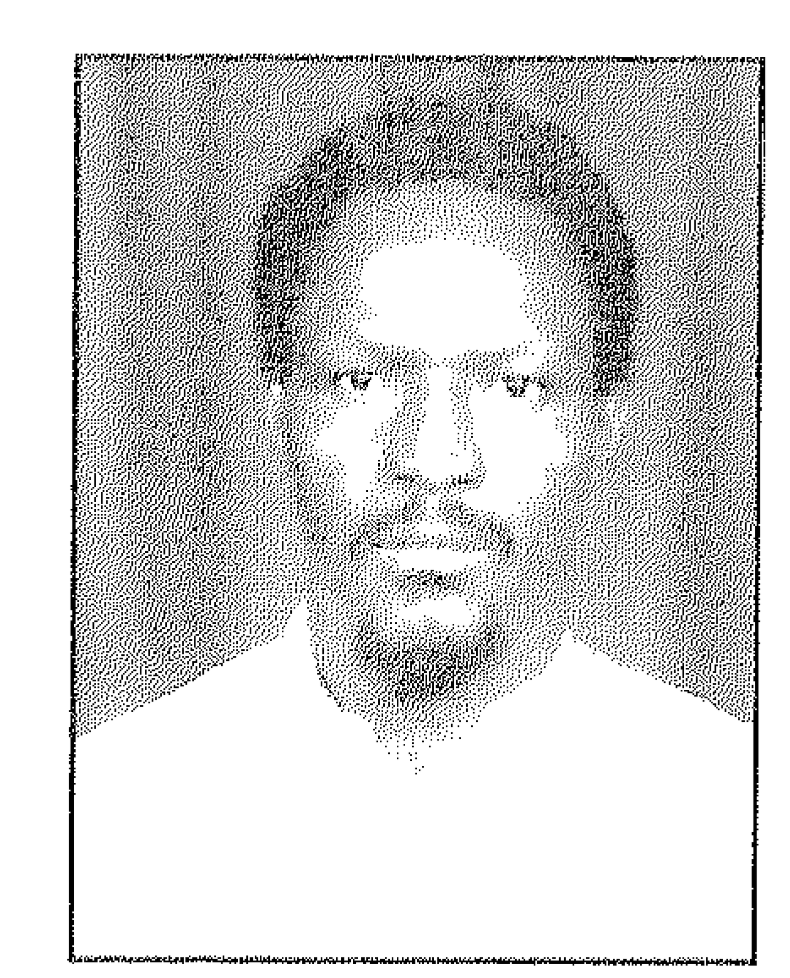
* جامعة البحرين

أدب المسلمين في غرب إفريقيا*











إن الحديث عن الأدب الإفريقي الإسلامي بهذه المنطقة ذو شجون، لاختلاف اللغات التي نتج بها، اللغة العربية، واللغات الأوربية (الفرنسية والإنجليزية) وبعض اللغات المحلية . لكنه يبرز تصور مسلمي هذه المنطقة للإنسان والكون والحياة وموقفهم من قضاياهم وقضايا المسلمين وغيرهم، وفيما كان باللغات المحلية والأوربية زادٌ دَسِمٌ لدراسات أدبية ونقدية مقارنة في الأغراض، والدوافع والمواقف، والعواطف، والأساليب . وفيما جاء بالعربية مادة غنية كذلك للموازنة الأدبية والنقدية، وصورة لامتداد هذه اللغة وآدابها بامتداد الإسلام وثقافته وحضارته.

وإذا كان بعض الإخوة قد تناولوا على صفحات هذه المجلة الغراء (مجلة الحج والعمرة) جزءا من هذا الأدب فإنه يبدو لي أن من الضروري التأسيس لدراسة هذا الأدب - دراسة نقدية موضوعية- بمقدمات عامة ومداخل رئيسية، تكون معالم مهمة، لكي تتضح الرؤية ويتسلسل التناول، سواء ما كان عن الأدب الإسلامي الإفريقي في دولة واحدة أم أكثر، وأيا كانت اللغة التي نتج بها . تتناول هذه المعالم نشأة الأدب الإفريقي، ثم الإسلامي منه، وأقسامه حسب اللغات، وما تجب مراعاته عند الحكم عليه بمختلف لغاته، وعوامل تطوره .

• نجد بعض المثقفين والأدباء والنقاد المسلمين يرون في الأدب الإسلامي ورابطته ترفاً أدبياً.

نشأة الأدب الإفريقي

بدأ الأدب في لغات غرب إفريقيا المحلية بالأدب الشعبي الشفاهي، الذي يتمثل في الأناشيد والأهازيج الدينية، وفي القصص البطولية، والأمثال والحكم، وقد سارت في ذلك سيرة التطور الأدبي في اللغات العالمية العريقة.

كان هذا الأدب الشفاهي وسيلة مهمة لشعوب لم تكن تقرأ أو تكتب كي تنقل معتقداتها من جيل إلى جيل، ثم تطور في وقت متأخر - إلى الأغراض الأخرى ليعبر عن قائليه، وليشمل الشعر، والقصص والرواية، ومع ذلك فإن ما دون منه محدود، لقلة عدد اللغات التي كان لها حروف تكتب بها .

قبل الإسلام كان ينشد هذا الأدب الشفاهي أمام الملك أو الإمبراطور في المناسبات، كالأعياد وإعداد الجيوش وكذلك بعد الإسلام الذي استعار الأدب الشعبي الشفاهي في غرب إفريقيا الكثير من تاريخه وثقافته، بل إن بعض الروايات الشعبية تعد سراقة بن مالك بن جعشم الجد الأعلى للأجيال المتعاقبة من الشعراء والرواة التقليديين من شعب الماندغ / البمبارة (جَلي) بدءا بشاعر مملكة مالي القديم سندياتا كيتا، واسمه بلافاسيكي كوياتي . ويذكر ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) إنشاد شعر وعظي بلغة الماندغ / البمبارة أمام سلطان مالي التي زارها، واسمه منسا سليمان . وفي امبراطورية سنغاي كانوا ينشدون الأناشيد - أيضا - لدى توديع موكب الحج في حفل يحضره الأسكيا وكبار دولته، يقول أحد الباحثين: يمكن القول: إن لسكان دولة سنغاي لغتهم الخاصة على مستوى العامة غير اللغة العربية، تغذي أذواقهم من جميع الفنون الأدبية، من موسيقى وشعر، وحكايات شعبية، وقصص البطولات، وغيرها، ولا شك في أن هذا شامل - أيضا - للغات الشعوب الأخرى في هذه المنطقة، وبخاصة الهوسا، والفلاتة والماندغ / البمبارة، والسونينكي، والولوف، والطوارق، وغيرهم .

أقسام الأدب الإسلامي في غرب إفريقيا

أي حديث عن أدب إسلامي في غرب إفريقيا يجب أن يقسم هذا الأدب المدون حسب اللغة التي كتب بها إلى ثلاثة أنواع، الأول: الأدب الإسلامي باللغة العربية، وهو أكثر وأقدم ويغلب عليه الشعر، فمنذ دخل الإسلام هذه المنطقة (ظل الملمح الديني يلازم الشعر العربي في غرب إفريقيا في جميع أغراضه، ولم يتخلف عنه لحظة من اللحظات) . والثاني: الأدب الإسلامي باللغات الأوربية، وبخاصة الفرنسية والإنجليزية، والأدباء المسلمون ذوو الإنتاج بها قليلون جدا، وأبرز إنتاجهم روايات وقصص.

والآخر الأدب الإسلامي باللغات المحلية، وهو قديم، لأنه كان مكتوبا بالحرف العربي في بعض اللغات، كالهوسا والفلاتة، والسنغاي، والسونينيك، والبمبارة، والتماشيك (لغة الطوارق والولوف) وغيرها، وهو جديد بالنظر إلى نتاجه بعد الاستعمار، وقد يتفنن الشاعر فيجمع بين اللغة العربية وإحدى اللغات المحلية في قصيدة واحدة، أو بيت واحد كما فعل الشاعر السنغالي أبو بكر سي، وقد يركب كلمة واحدة من كلمتين، إحداهما عربية والأخرى من لغة إفريقية، ، كما فعل الشاعر المالي شيخ أحمد حيدرا

في قوله في قصيدة عن شهر رمضان:

رمضان يا شهر الطهارة والهدى
يا (نيسُجا) (جسُما) أ لي (مُنيدان)؟

حيث أتى في هذا البيت بثلاث كلمات من لغة البمبارة، وهي نيسُجا، جسُما مُنّي: ومعناها بالترتيب: الفرح، والماء البارد والمديد. توحي هذه الكلمات بالارتياح، نفسياً وحسياً لصيام هذا الشهر، شهرالطهارة والهدى، الارتياح النفسي من كلمة نيسُجا بمعنى الفرح، وقد نتج من الإيمان ، والارتياح الحسي بالإفطار بالماء البارد، والمديد .والجملة الأخيرة من هذا البيت أ لي منيدان، جملة استفهامية مركبة من همزة الاستفهام، ولام الجر وياء المتكلم، ثم من كلمة منيدان المركبة من كلمة مُنّي البمبرية وكلمة دان العربية اسم فاعل من دنا يدنو، فهو يطلب أن يقرب إليه هذه الشربة .

كان للاستعمار الأوروبي دور كبير في اختفاء الكثير مما أنتج بالعربية، وباللغات التي استعملت الحرف العربي في الكتابة، محاولة منه لقطع صلتها بالإسلام، بل دأب الغربيون وأعوانهم على نشر مقالة (إن إفريقيا لم تعرف الأدب المكتوب قبل وفود الثقافة الغربية إليها، وانتشار اللغات ونظم التعليم الأوروبية).

كما يظهر أثر الثقافة العربية والإسلامية في أدب غرب إفريقيا ، الشفاهي والمدون ، بإسهام اللغة العربية في ثراء معجمه وفنونه ، وفي كثرة الأدباء والشعراء المسلمين وبخاصة في القرن التاسع عشر الميلادي ، في السنغال ، ونيجيريا ، ومالي ، وغينيا، وكوناكري، وساحل العاج ، والنيجر .. إلخ ، باللغات المحلية ، أو باللغة العربية ، أو الفرنسية والإنجليزية.

أمور يجب مراعاتها

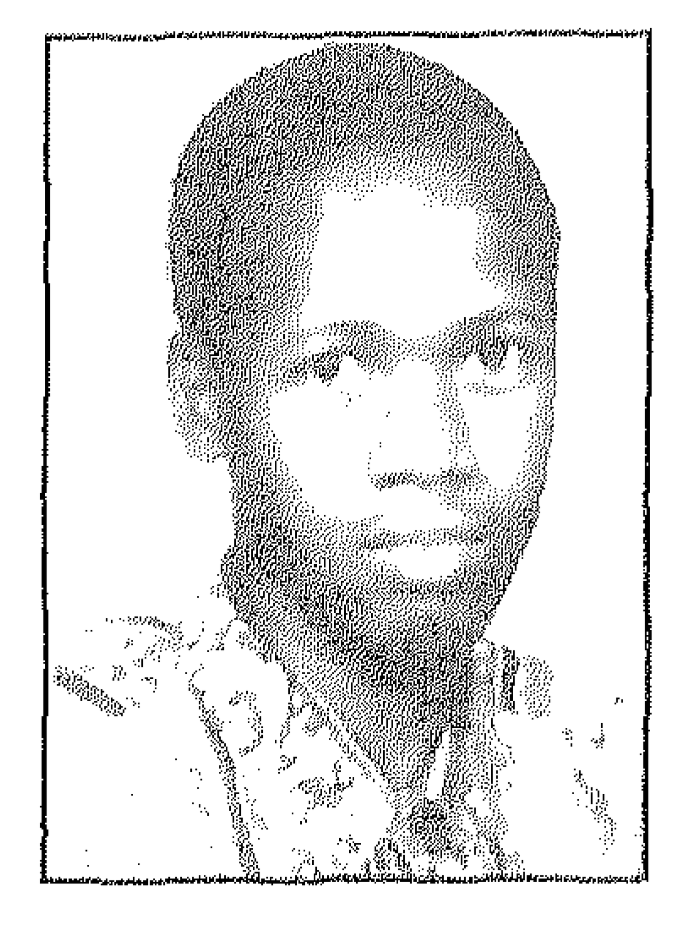
عند الحكم على الأدب العربي الإفريقي المدون في غرب إفريقيا إلى النصف الأخير من القرن العشرين الميلادي – تقريبا– يجب مراعاة الأمور الآتية:

* إن اللغة العربية – على الرغم من قدم الإسلام والعربية في المنطقة – لغة ثانية بالنسبة إلى الأديب الإفريقي فإذا كان مطبوعا نظم الشعر بلغته المحلية أولا، ثم بالعربية التي تثقف بها، أو بالعربية فقط ومع ذلك لا تخلو حدائق شعرهم من زهور شذية، وصور بديعة، ونجوم تهدي إلى مقدرة شعرية . وإذا لم يكن مطبوعا كان عالما شدته دراساته العلمية واللغوية بالعربية إلى تقليد النماذج الشعرية، وبخاصة الشعر الجاهلي، إظهارا لبراعته اللغوية، وكثرة محفوظه، فيكون متكلفا، ويظهر أثر المقامات عليه، وعلى كل، فهو عالم قبل أن يكون أديبا، والأدب عنده وسيلة لا غاية، ولذا يدخل كثير من شعر غرب إفريقيا العربي الإسلامي في شعر العلماء، وإن كانت بعض القصائد لا تخلو من قطوف يانعة، وحكم وأمثال، ومدائح نبوية، كما في نيجيريا، والسنغال، ومالي، وشمال غانا، وبوركينا فاسو، والنيجر، وغينيا كوناكري، وغيرها .. ولذلك أيضا يكثر الشعر العربي التعليمي في أدب هذه المنطقة، ولا يختلف عنه في البلاد العربية، وفيها تقييد لخيال الشاعر ولغته عن الصور الرائعة.

• كان للاستعمار الأوربي دور كبير في اختفاء الكثير مما أنتج بالعربية من كتابات شعرية ونثرية.

* يجب مراعاة عدم وجود بيئة أو متابعة نقدية له، فالناقد عملة نادرة، فإن ظفر به الشاعر عض عليه بالنواجذ، وأطلق له العنان في نقد شعره وتقويمه . أرسل أحد الشعراء في مالي قصيدة إلى زميل دراسته بالأزهر، ومدرس اللغة والأدب العربي، وعضو تحرير جريدة الصداقة التي تصدر في مالي باللغة العربية فذيلها بقوله: (الأخ الكريم، والناقد البصير، محمد الطاهر ميغا، لك أن تحذف من هذه القصيدة، وتضيف ما تراه مناسبا، لقد أطلقت يدك أيها الأخ الكريم في كل ما أكتب، لتأكدي من حساسية ذوقك، وظرافة أدبك) . ولا توجد كذلك حوافز مادية أو معنوية، ولا وسائل كافية لنشر هذا الأدب.

* ملاحظة أنه يكثر في هذا الأدب، شعره ونثره، مخالفات عقدية لغلاة الصوفية، من أبرزها تقديس الأشخاص، ومن ثم فقد بالغ آدم بمبا حين أشار إلى أن المكتوب بالعربية من الأدب الإيفواري (العاجي) الحديث والإفريقي على السواء، إسلامي صرف بداهة، لكونه استعراضا لكتابات العلماء والمشايخ الأوائل، تلك الكتابات التي حكم لها بأنها إسلامية صرفة بداهة، حجته أن هذه الكتابات قامت – أساسا – لنشر الدعوة الإسلامية، وانحصرت في أشعار المديح، والمنظومات الشرعية، واللغوية، وبمبا نفسه يسلم بضعف التصور الإسلامي في بعضها، كما لا ينحصر ذلك الشعر فيما ذكره من غرض، بل فيه أيضا الكثير جدا من شعر الجهاد والوصف والمدح والرثاء والهجاء والغزل والتهنئة في المناسبات المختلفة .. إلخ .



آدم بمبا

* مراعاة مراحل تطور هذا الأدب وعوامل هذا التطور، فقد شهد الأدب الإسلامي العربي في هذه المنطقة تغيرا كبيرا، وتطورا ملحوظا لدى الشعراء الشباب المعاصرين من النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي – تقريبا – على تفاوت بين الدول، وفي مقدمتها السنغال، ونيجيريا، ومالي، وغينيا كوناكري، وغامبيا، من أسباب هذا:

* بدأت كتب الأدب العربي من العصر العباسي والحديث، شعره ونثره، تصل إلى المنطقة بكثرة .

* عودة البعثات العلمية للدراسات الجامعية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية من البلاد العربية، وكان بعضهم أثناء وجوده في تلك البلاد يشارك في المطارحات والمسابقات الأدبية والشعرية وغيرها، ويحصدون جوائز عايشت بعضهم في الجامعة الإسلامية بالمدينة، والجامعة الإسلامية بالنيجر، ومنهم من كان في جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الأزهر، ولقد شهدت مصر والمغرب معارضات شعرية بين طلاب السنغال وموريتانيا، والقصائد التي قيل فيها تبين جانبا سيئا من مواقف بعض المسلمين إزاء المشكلات التي تقع بين المسلمين، وكيف تغلب العواطف القومية والعرقية العاطفة الإسلامية، فيبتعدون عن النظرة الموضوعية إلى القضايا انطلاقا من تصور الإسلام للإنسان، والكون والحياة ! وكذلك التي قيلت باللغة العربية في الفتنة بين العرب الكونتاويين والحسانيين قبل خمس سنوات في جمهورية مالي ! .

• يجب عدم الانجراف العاطفي وراء بعض المعاني والمواقف والأسماء الإسلامية وأغفال أن في هذا الأدب ما يصطدم ببعض المبادئ الإسلامية

* ومن أسباب هذا التطور: انتشار التعليم النظامي العربي الإسلامي العالي في كثير من جامعات المنطقة، ويتمثل في أقسام اللغة العربية التي تدرس هذا الأدب الإفريقي، بل ظهرت توجهات قوية للاهتمام بهذا الأدب الإسلامي العربي الإفريقي، والتخصص فيه في رسائل دكتوراه وماجستير .

* وجود وسائل حديثة للنشر، منها: صحف باللغة العربية، تديرها أو يكتب فيها مثقفون بالثقافة الإسلامية العربية، فمع اهتمام هذه الصحف بتكوين وعي إسلامي صحيح، فإنها تنشر قصائد ومسابقات أدبية . وهناك جمعيات معلمي اللغة العربية، وبعض الأندية، مثل: نادي الأدب والثقافة في بماكو عاصمة مالي، الذي تأسس عام ١٩٩٦م .

أما الأدب الإسلامي باللغات المحلية فهو أقرب إلى النوع الأول، فكرا وتشبعا بالإسلام وتعاليمه، وانعدام بيئة نقدية، ثم في بعض المخالفات . ويغلب في المدون منه حديثا أن يكتب بالحرف اللاتيني الموحد لكتابة لغات الشعوب الأخرى.

وللدكتور عامر سمب مقال بالفرنسية، عنوانه: أثر الإسلام في أدب الولوف، ذكر فيه كيف أخذ هذا الأدب من الشعر العربي والإسلامي أوزانه وأطره العامة، وبعض الموضوعات التقليدية التي تناولها الشعراء العرب، ولـ/ تيام إمباي مقال بالإنجليزية، عنوانه: الإسلام في الأدب والأفلام السنغالية، ولدى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشروع لدراسة أدب الشعوب الإسلامية، ظهر عن الجانب الإفريقي: أدب الهوسا الإسلامي، والأدب السواحلي الإسلامي.

أما الأدب الإفريقي الإسلامي باللغات الأوربية: فأكثره روايات، وقصص قصيرة، ومسرحيات، وتجد فيها حضورا إسلاميا يتمثل في استعمال مصطلحات ومفاهيم إسلامية، والاقتباس - أحيانا- من القرآن الكريم والحديث النبوي، وتصوير مظاهر الشخصيات الإسلامية، وحالاتهم النفسية، والموضوعات والمناسبات الإسلامية، وبعض المدن التي كان لها دور تاريخي وعلمي، وحضاري، واستدعاء عصور المجد الإسلامي وشخصياته في هذه المنطقة.

تطور هذا الأدب

من أهم عوامل تطور الأدب الإسلامي المدون باللغات الأوربية في غرب إفريقيا: وجود ترجمات صحيحة ودقيقة للقرآن الكريم، ولكتب الثقافة الإسلامية الصحيحة بتلك اللغات، حيث يقرؤها من لا يجيد العربية، ومنها: وجود صحف بالفرنسية، والإنجليزية وببعض اللغات المحلية، يديرها أو يكتب فيها مثقفون بالثقافتين العربية الإسلامية، والغربية، مما ساعد على نماء وعي صحيح بالإسلام وقضاياه لدى بعض الأدباء، ونشر أشعار وقصص قصيرة، يرتكز كثير منها على رؤية إسلامية واعية، وإقامة مسابقات أدبية.

لكن مما يجب مراعاته عند دراسة هذا الأدب: أنه - على قلته - تأخر ظهوره لرفض المسلمين إرسال أبنائهم إلى المدارس التي أنشأها الاستعمار.

ويجب - أيضا - عدم الانجراف العاطفي وراء بعض المعاني، والمواقف، والأسماء الإسلامية، وإغفال أن في هذا الأدب ما يصطدم ببعض المبادئ الإسلامية الأساس، إما لكونها أفكارا لغلاة الصوفية، كتقديس الأشخاص والاعتقاد فيهم . أو من الخلط بين الإسلام وبين التقاليد الوثنية، كقرن مشيئة الله سبحانه وتعالى بمشيئة أرواح الأسلاف، وتحسين الذهاب إلى السحرة والكهان، واتخاذ حيوان معين حاميا للعشيرة ومن ثم الامتناع عن أكل لحمه أو لأنه من آثار الثقافة الغربية التي تشبع فيها فكرا، ولغة، ونتاجا . كل ذلك لقلة وعي كثير ممن له نتاج أدبي في هذه اللغات بحقيقة الإسلام وتعاليمه، لأن ما يعلمه بعضهم منها لا يكاد يتجاوز ما تربى عليه من عادات وتقاليد، ومفاهيم إسلامية، في بيئة غالبيتها مسلمون، على الرغم من أن بعضهم قد مر بالكتاتيب القرآنية قبل التحاقه بمدارس الاستعمار، لكن تأثير ما تعلموه في تلك المرحلة ضئيل، لأن الدارس فيها يقضي سنوات عدة في تعلم القرآن، قبل أن يبدأ في تعلم اللغة العربية، والعلوم الدينية .

وضرورة أن يكون من يقدم على دراسته بالعربية ذا ثقافة أدبية ونقدية، لئلا يطغى - فيما يعرضه أو

- **الأدب الإسلامي في إفريقيا بحاجة إلى ناقد إسلامي يرسخ مسيرته ويرفع من مستواه الفني.**
- **من أهم عوامل تطور الأدب الإسلامي في غرب إفريقيا وجود ترجمات صحيحة للقرآن الكريم.**

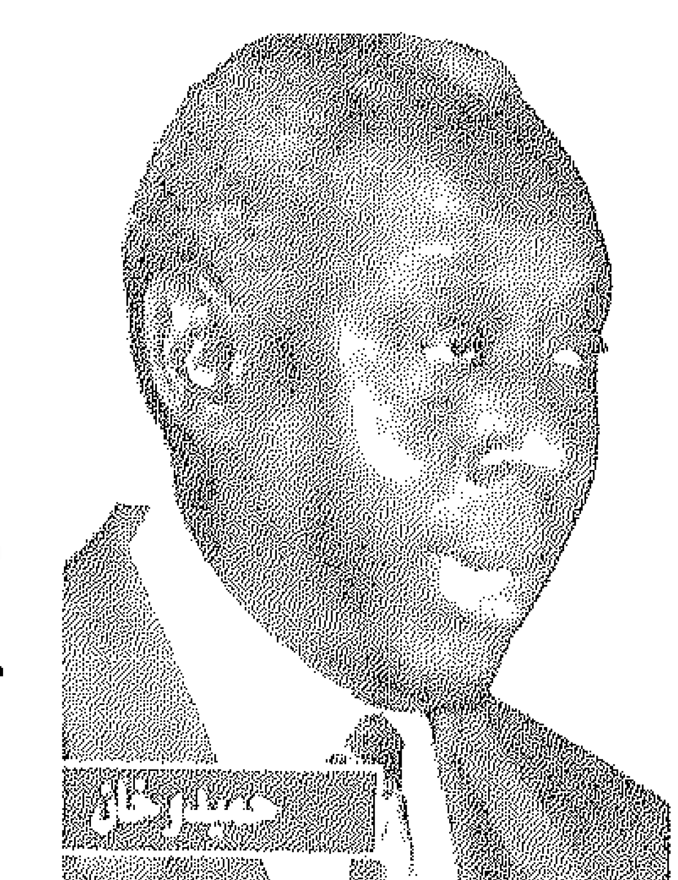
THE MARABOUT & THE MUSE
NEW APPROACHES TO ISLAM IN AFRICAN LITERATURE
EDITED BY KENNETH W. HARROW
STUDIES IN AFRICAN LITERATURE

يمثل به - جانب المضمون على الشكل الأدبي وأساليبه الرائعة .

فمهمة النقد مزدوجة، أحد طرفيها: توضيح الفهم وتصحيح الذوق، والآخر: إعادة الشاعر والقارئ إلى الحياة على قاعدة مقاييس أخلاقية، فكان من المهم أن لا نغفل الثوب الذي ألبس هذا المضمون الإسلامي، من حيث الأساليب، والصور، والفنون البلاغية .. إلخ .

يجد هذا الأدب باللغات الأوربية نقدا، وتحليلا، وعرضا، سواء ما كان منه بالفرنسية أو الإنجليزية، ويحصل على جوائز إقليمية ودولية . وقد ظهرت دراسات نقدية تتناول جوانب التأثير الإسلامي في الأدب الإفريقي المكتوب باللغات الأوربية، أو بعض اللغات المحلية، ككتاب: وجوه الإسلام في الأدب الإفريقي، لـ / كينيث هارو صدر بالإنجليزية عام ١٩٩١م، وقدم - أيضا - وحرر كتابا آخر بالإنجليزية، اشترك في تأليفه ثمانية عشر كاتبا، معظمهم أساتذة أو طلاب دكتوراه في الجامعات الغربية وأستراليا، عنوانه: الناسك وعروس الشعر ، مداخل جديدة إلى الإسلام في الأدب الإفريقي .. أفليس من المستغرب - والحال هذه، وهذه جهود نقاد غير مسلمين - أن لا يزال مجموعة من المثقفين والأدباء والنقاد المسلمين يرون في الأدب الإسلامي ورابطته ترفا أدبيا ؟ أو ذهابا بالأدب إلى غير وجهته ؟ وآخرون يرون في الاهتمام بآداب الشعوب الإسلامية بغير العربية تشتيتا للجهود ؟ و .. ؟؟

فلنأخذ نموذجين من روايات الأدب الإسلامي في غرب إفريقيا باللغات الأوربية، الأولى: رواية لـ: الشيخ حميدو كان، من السنغال: المغامرة الغامضة، وهي رواية بالفرنسية، فبأسلوب إبداعي راق، ومن منظور إسلامي - نوعا ما - تعالج الرواية التمزق النفسي والاجتماعي، والتشتت الثقافي اللذين سببهما التغريب للشباب المسلم، والتصادم بين الحضارة الإسلامية المتأصلة في المنطقة، والحضارة الغربية الوافدة، وفي الرواية رؤية إسلامية واضحة المعالم في السنغال فكريا وثقافيا، وروحيا،



واجتماعيا، وتاريخيا، وسياسيا مع نبرة عميقة ترجمت إلى عدد من اللغات الحية، وقامت حولها دراسات عرضا وتحليلا .

وترجمها خالد مرسي إلى العربية مع دراسة عنها وعن مؤلفها بعنوان: شيخ حامدو كان (التجربة الغامضة) أو التيار الإسلامي في الأدب السنغالي الحديث . وقد سبق أن جهينة حسن تحدثت عنها في هذه المجلة (مجلة الحج والعمرة) .

والأخرى: رواية الأديب العاجي أحمدو كوني تحت حكم الغرل: غير المختونين، تمثل الرؤية الإسلامية منذ عنوان الرواية نفسها، الذي ينتقد سيطرة غير المسلمين - المرموز لهم بغير المختونين - على المسلمين المرموز لهم بالختان كما تصور الرواية جانبا مهما من الصراع الإفريقي الغربي، واختلاف القيم .

من مظاهر الرؤية الإسلامية في الرواية: التزام بطله "آبو" بتعاليم الإسلام وعدم انزلاقه - وهو في فرنسا - مع زملائه المنهمكين في شرب الخمر والملذات، التي يبتلى بها بعض أبناء المسلمين في الغربة، وكذلك وصايا والديه له بالمحافظة على الصلاة، ومساعدة المحتاج، والاهتمام بأسرته . ومن جوانب الرؤية الإسلامية في الرواية: صورة والد البطل الذي يمثل المسلم المعلق قلبه ببيت الله الحرام، ونقد الكاتب للحركات المنحرفة التي تنتسب إلى الإسلام، وللدجالين والمشعوذين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل . ويتذكر البطل عظمة الله وملكوته وهو في الطائرة عائدا إلى بلده واستعادة شريط المجد الإسلامي وحضارته وبعض مدنه في هذه المنطقة كلما حلقوا فوقها، كـ/تنبكتو، وأطلال كومبي صالح، وكونغ وسيكاسو، والجزائر أرض المحاربين الأبطال .. إلخ، وكلها سقطت في يد الاستعمار الفرنسي. وللأديب نفسه رواية أخرى بعنوان: هموم إبنتو عام ١٩٧٩ م ، التصور الإسلامي فيها ضعيف . ■

* مجلة الحج والعمرة - محرم ١٤٢٥ هـ.

** قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

قصة قصيرة

أحلام في الشارع

بقلم: الخضر شكير
المغرب

الحلم الأول:

كان الجو غائما، أشبه ما يكون بليلة من ليالي الصيف المقمرة، حينما عدت من الغابة قريبا من منزلنا مع أحفادي الخمسة، لا أذكر الزمن بالضبط، بيد أنه كان يخيل إليّ أن الوقت متأخر بعض الشيء، قد يكون ذلك قبيل المغرب ... لا أذكر !!

كان أحفادي يمشون أمامي تارة ومن خلفي أخرى، يروحون يمينا وشمالا، لا يكادون يقرون على حال، وكنت أناديهم تارة وأهش عليهم تارة أخرى حتى يلتزموا الطريق، ولعل آباءهم ينتبهون لغيابهم فينتفضوا باحثين عنهم وعني.

سارت القافلة إلى البيت، ووصلنا أخيرا عندما نادى المؤذن « الله أكبر» لا أذكر جيدا أصليت أم لا، لكن أذكر تلك الحفاوة التي استقبلتني بها عائلتي، ابناي العزيزان وزوجتاهما، فلم أكد أتخطى عتبة البيت حتى هتف الجميع : « لقد عاد أبي، ... لقد عاد أبناؤنا » وقد تنفسوا الصعداء، كنت أنظر إليهم وهم مصطفون من حولي – كأنهم ملائكة أرسلت من توها – وكلهم جذل بعودتي، هذا يسبح، وذاك يهلل، وذلك يكبر .

كنت أنظر إليهم وأنا لا أعرف ماذا حصل ؟ فلم أعهد هذه الحفاوة من قبل . ولم أر مثل هذا النور الملائكي على وجوههم، فلم أزل أراجع نفسي حتى ابتدرني ابني الأصغر قائلا : هيا أبي اجلس، فأنت اليوم لدينا مطاع وإنك اليوم لدينا أمين، تفضلت بالجلوس – وكأنني ضيف ينتظر الإشارة- بيد أنني تنبهت إلى المقعد الذي أجلس فيه، فلم يكن عندنا مثله، كان أريكة غضة، احتضنتني احتضانا لم أستطع خلالها تسوية جلستي، فاستسلمت للراحة.

كانت زوجتا ابنيّ من الحسن والنضارة بما جعلني مشدوها، فلم تكونا بهذا الجلال، وأنا الذي كنت أعيب عليهن خلقهن وخلقتهن، ماذا حدث يا إلهي ؟!.

كظمت دهشتي وحيرتي، ودعوت الله أن يديم عليّ مشهدي.

كانت الزوجتان تروحان وتغدوان، فتأتيان مرة بفاكهة، ومرة بلحم طير، ومرة بعصير برتقال، كنت آكل وأنظر إلى تلك الفاكهة، يا للعجب !! فاكهة في غير وقتها، ولحم طير ليس موطنه، وعصير ليس كالعصير !!.

كنت أود السؤال عن كل هذا الهراء، لكنني أحجمت عن ذلك، واستحييت من تينك الزوجين الغراوين، فقد بدتا لي غريبتين.

ولم أكد أنتهي من طعامي، حتى جاء ابناي، عرفت منهما وأنكرت، هذا ابني سعيد، ملاك في صورة بشر، وأنا أذكر كيف تشاجرنا من قريب، كادت قضيتنا تصل إلى المحكمة، كان يود الاستيلاء على ما بقي لي من مال، ويذرني وأخاه عالة نتكفف الناس، وهذا أخوه مراد، لا يقل عنه وداعة، يا إلهي !! لم تكد تمر على عراكنا بضعة أيام، كانت بطلة المعركة امرأته « سوزان » وكانت تريد مسكنا خاصا، لم يرقها بيتي المتواضع الذي بنيته من زمان، كانت تريد بيتا وحدها، حتى تتملص من خدمة البيت وخدمتي وكان ابني مراد يحبني ولكن حبه لسوزان فوق محبتي، فأراد أن يخرجني من البيت، فاستعصمت وتشاجرنا .

كنت أريد أن أضع حدا لهذا النفاق، وأنادي بأعلى صوتي : كفى نفاقا، كفى هراء، غير أن حشرجة في صدري تخنقني، فما استطعت إلى الصراخ سبيلا .

واستمر العرس واستمرت الحفاوة، فهذا يأخذني على كتفيه، وهذا يجاملني، وهذا يركبني في سيارة صغيرة، وفي الأخير حملوني جميعا فوق رؤوسهم وهو يطوفون بالبيت منادين : « تحيا الطاعة ويحيا الآباء» . بيد

أنهم لما تفرقوا لم أمسك بأحد منهم، فهويت على الأرض منكسرا أحسست بعد ذلك بهدوء عميق، تحسست الأرض التي سقطت عليها، فإذا هي قاسية، باردة، تكسوها طبقة من الجليد، وظلام خفيف لا يزال مخيما على المدينة الحزينة . انتبهت من نفسي على صليل مكنسة عامل النظافة، وهو يجر إلى جانبي كومة من الأدران، كانت قد علقت بالمدينة في يومها الماضي، فنهضت منكسرا محطما، يا إلهي ... كل هذا كان حلما !!.

وقفت مشدوها، وأنا أنظر إلى المدينة، لم أفهم شيئا، المدينة ليست غريبة عني، لكنني تيقنت أنها ليست المدينة التي أسكن فيها، لكن ما أتى بي هاهنا ؟؟ .

حاولت أن أستعيد ذاكرتي، وأن أمشي قليلا لعلي أجد أحدا أعرفه فيعيدني إلى بيتي، لكن الناس لا زالوا نياما، والجو باردا وأنا ابن السبعين قد ثقلت عليَّ نفسي وقصر بصري، وعصاي التي كنت أتوكأ عليها قد أضعتها، لست أدري أضاعت في الحلم أم في الحقيقة !!

فكرت قليلا ثم أحجمت عن المسير، وعلى مقربة من مهزلتي لاحت كومة من الناس بعضهم فوق بعض، علمت أن مصيرنا واحد، فزحفت نحوهم أسألهم حالي، لكن النعاس لا زال يخيم عليهم . انتظرت حذوهم لعل أحدهم يتردى كما ترديت فنكون سواء، لكن أحلامهم تبدو سعيدة، فلم يشأ أحد منهم أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير .

انتظرت فأعياني الانتظار، ونسمات الجليد تشوي وجهي، وقد بدأ دبيب السيارات يزعج النائمين، ويكسر على ذوي الأحلام أحلامهم .

انتبه أحدهم من نومه أخيرا، وقد بدا شاحب الوجه، لا زال النعاس يراوده، لكنه لما رآني طرد النعاس من عينيه، وحمل نفسه إليّ يجرها وقد بدا عليه ثقل السنين، فهو مثلي أو أقل مني قليلا .

هممت بالسؤال عن حالي، غير أنه عرف مقالتي فبادرني بالكلام: يا أخي لا تحزن، قد قدر علينا أن نعيش باقي حياتنا في أحضان الأرصفة، لكني قاطعته قائلا :

لكن ماذا جرى لي ؟ وكيف وصلت إلى هنا ؟

قال : قصتك لا تختلف عن قصتي، ثم واصل يقول : لما كان منتصف الليل، وكان النوم قد جفاني، جاءت سيارة لا أذكرها جيدا، فتوقفت على مقربة مني ثم ألقت بكومة على الأرض، كنت أظن أنها كيس قمامة، خاصة أنها لم تتحرك من ذلك الوقت، ثم قفلت السيارة عائدة من حيث أتت، لم أعر المسألة في البداية اهتماما، لكن وبعد زمن من ذلك، لاحظت القمامة تتحرك، وتنقلب يمينا وشمالا، فتذكرت ما حدث لي، وعلمت أنك مرافقنا من اليوم .

سكت قليلا ثم قلت : لا ... لا يمكن أن أكون رفيقا لكم، لا يمكن أن أترك داري التي بنيتها بيدي، وأولادي الذين ربيتهم في حجري، لا ... لا يمكن .

قال : لو كان أولادك كما تقول، لما فعلوا بك الذي فعلوا، أفتحن إلى هؤلاء بعدما بدا منهم ما قد سمعت ؟

قلت : مهما يكن، فهم أولادي، وقبل ذلك، الدار داري ومن حقي أن أعود إليها .

وهممت بالمضي قدما، غير أنه أمسكني وقال : اجلس فليس من أهل هذه المدينة أحد يعرفك، وليس فيها أحد يشفق عليك، فهون على نفسك حتى نبحث في الأمر .

جلست معه، وأنا أستمع إلى حديثه وقصته التي أوصلته إلى هذا المكان، ولم يكد ينتهي من ذلك، إلا وقد أعاد الظلام دورته، ونحن لا زلنا قابعين على جانبي الطريق .

ولما خفت حركة الناس، وهدأ الرصيف من أقدامهم، إنهال عليّ ضرب من العياء، تصحبه آلام الجوع والقر، فشعرت برغبة شديدة في النوم، فتوسدت صاحبي وتوسدني، ورحنا معا نعانق الحقيقة .

الحلم الثاني :

لا زال الجو غائما، والرؤية رديئة، والجميع آمل في الهبوط سالمين من هاته الرحلة المتعبة .

هبطت طائرتنا في المطار الذي بدا لي بحرا لا ساحل له، نزلنا الواحد تلو الآخر، كانت الوفود تستقبل النازلين بحفاوة لا نظير لها، نظرت يمينا وشمالا لأرى من يستقبلني من أهلي فلم أعثر على أحد، كظمت في صدري غضبة شديدة، لكنني اعتبرت الأمر عاديا، ثم مضيت أستقل سيارة الأجرة .

أوصلتني السيارة إلى البيت في لحظة من الوقت، دخلت على أهلي فسلمت عليهم فلم يردوا، سألت زوجتي عما حدث، فأشاحت بوجهها عني، اقتربت من أولادي لعلهم يبوحون لي بشيء فاستعصموا، ثم نظرت إلى الجهة المقابلة حيث ينام أبي فلم أره هناك، سألت عنه وغلظت في السؤال، فأجابت زوجتي : لقد مات من أيام، عندما كنت في باريس، لقد مات وهو يعاني المرض، لم أستطع أن آخذه إلى الطبيب، فانتظر حتى أتاه الموت، وأولادك مرضى، كاد الموت يخطفهم فيلحقون بجدهم، وحالهم كما ترى .

احتقنت دمعة في جفني فكظمتها في البداية، غير أنني أرخيت العنان للصراخ بعد ذلك، فلم أزل على تلك الحالة، إلا وصاحبي يحتضنني ويهدئ من روعي .

لقد كان الحلم هذه المرة مزعجا، لقد كان أسود كاليوم، لكن ماذا يعني ذلك ؟

حاولت أن أهدئ نفسي من الحلم المروع، لكنني انتبهت إلى الرصيف، وتذكرت ما قاله لي صاحبي البارحة، فانتفضت واقفا أنشد بيتي .

حاول صاحبي أن يمسكني كما أمسكني يوم أمس، لكنني أصررت على العودة .

أوقفت سيارة أجرة كيما توصلني إلى بيتي، ألقتني السيارة قدام البيت، شكرت لصاحب السيارة معروفه، واعتذرت له عن النقود، ثم انصرف عائدا، بدا لي البيت وكأني أراه لأول وهلة، ما أجمل أن يعود الإنسان إلى بيته بعدما يقضي يومين على الرصيف، لكن ماذا بعد ذلك ؟

ذهبت أطرق الباب على أهلي، فلم يرد أحد، طرقت ثانيا وثالثا ورابعا، لكون دون جدوى، يا عجبا ! أين ذهب القوم ؟ أهم نيام ؟ أيكونون قد ذهبوا إلى العمل في الصباح الباكر ؟ أيكونون قد أخذوا إجازة ففضلوا قضاءها بعيدا عن البيت ؟ سألت نفسي كل هذه الأسئلة فلم أجد جوابا، لكنني فضلت المكوث قرب البيت لعل أحدا يأتيني بالخبر اليقين .

انتظرت وطال الانتظار، وتنبهت إلى أن اليوم يوم الجمعة، فهم لا زالوا نياما، فلم العجلة ؟ ولما حان وقت الضحى خرج أحد الأطفال من البيت .

– من ؟ فوزي، حفيدي ؟

– جدي ... هذا أنت، أين كنت، لقد اشتقنا إليك كثيرا .

– وتلك من ؟ منال ؟ أنت هنا ؟

– جدي .. لماذا تركتنا، هل كنت عند أخوالك ؟

التف أحفادي حولي يقبلونني وكلهم سرور بعودتي، وارتفعت الضوضاء في الخارج أيقظت من كان نائما .

أطلت زوجة ابني مراد من الباب ثم أدبرت، وبعد قليل خرج مراد ومعه سعيد وزوجته « ناريمان» .

تقدم مراد نحوي مكشرا عن أنيابه، ثم قال : هل عدت أيها المتشرد ؟ أما زلت تطمع في البيت ؟ البيت بيتنا، ونحن الذي بنيناه، وليس لك من الأمر شيء، ثم قال مضيفا : إذا أردت العناد فعليك بالمحكمة، فهي الفاصل بيننا .

أردف سعيد قائلا : كل الوثائق تثبت حقنا في البيت، وليس لك ما يثبت ذلك فاذهب وعد من حيث أتيت .

نظرت فيهم مليا – وقد بدأ الرشد يجافيني – ثم قلت: ألست أباكم ؟ ألستم أبنائي ؟ ثم إن البيت بيتي والمال مالي، أليس مال الولد لأبيه ؟

قالوا : بيننا القانون، والوثائق في صالحنا .

قلت أين القانون ؟ وأين الوثائق ؟ لم أكتب لأحد بيتي، ولم أوص أحدا عن مالي استدعوا القانون، استدعوا رجال الشرطة، استدعوا المحكمة، استدعوا ....

لما تصاعد صراخي، علموا أن في الأمر شجونا، فأرادوا طردي بالقوة،

لكنني استعصمت وزدت في العويل والصراخ حتى أسمعت أهل الحي كلهم .

تجمع أهل الحي حولنا - وقد كانوا في إجازة - وبعد قليل وصلت الشرطة، فانتقلنا إلى حيث السائل والمسؤول .

مكثنا في دار الشرطة بقية اليوم، وفي اليوم الموالي وقفنا عند المحكمة .

طرحت شكواي، وطرحوا حقهم، استمع القاضي إلى شكواي ثم قال : هل جئت وحدك ؟ أين محاميك ؟

قلت : أنا صاحب حق، ولست بحاجة إلى محام، وإذا أردت محاميا فهؤلاء الحضور من الجيران كلهم محامون !.

ثم انتقل إلى خصومي يسألهم، كانت الوثائق عندهم، وزادوا على ذلك أنهم نصبوا دفاعا عنهم لئلا يضيع حقهم .

استمع القاضي إليهم وإلى دفاعهم، ثم قال : الوثائق تثبت حق هؤلاء في البيت وليس لك شيء من ذلك . ثم أضاف : المحكمة لا تعترف إلا بالملموس، أليست البينة على المدعي ؟

وبعد لحظات رفعت الجلسة الصباحية، والقرار النهائي في المساء .

جاء المساء يحمل الأسى، ها هو ذا القاضي، يجلس ثم يقول: بناء على ما استمعنا إليه في الصباح، وبناء على الوثائق المقدمة من طرف المدعى عليهم، وبالنظر إلى عدم توفر البينة من جهة المدعي، فإن المحكمة تعتبر دعواه مرفوضة، ولذلك فالقضية لصالح المدعى عليهم، ويبقى البيت بيتهم، والجلسة مرفوعة !!!

اندهش الحضور لسماع القرار كما اندهشت أنا، وتخيلت نفسي في عالم آخر، يضيع حقي وأنا أراه رأي العين، قد يكون الأمر عاديا مع أناس آخرين، لكن مع أولادي ونتاج عمري فذلك ما لم أهضمه بسهولة .

خرجت من المحكمة أجر نفسي، وقد خارت قواي من شدة الصدمة، ومضيت أسير - رغم العياء - لست أدري إلى أين، أدركني الليل وأنا لا زلت أسير، وفي الأخير توقفت رجلاي معلنتين عن الهزيمة .

أناخ جسمي على الأرض مستسلما، وعلمت أنها النهاية .

الحلم الأخير :

لقد حان وقت الذهاب إلى المدرسة، أين الحليب يا أمي، وأين ملابسي الجديدة ؟ لم يكن شيء من ذلك موجودا، رأيتني بعد ذلك أخرج من البيت ومحفظتي الهزيلة على ظهري .

وصلت فناء المدرسة وأصحابي مصطفون كالجنود في ساح المعركة .

دخلنا حجرة الدرس وكلنا ضوضاء .

- المعلمة : سكوت ... الدرس مهم اليوم .

سكتنا جميعا : كانت لهفتنا كبيرة لمعرفة درس اليوم .

- المعلمة : درسنا اليوم « طاعة الآباء » .

ثم أضافت : إن من واجب الأبناء على آبائهم أن يطيعوهم، ولا يعصوا لهم أمرا، وإن الله سوف يعذب من عصى والديه ....

اكتمل الدرس وخرجنا إلى الفناء ساعة نلهو ونمرح .

لم يرق لي اللهو هذه المرة، قررت العودة إلى البيت مسرعا - وقد كان قريبا - سألت أمي بانفعال : يا أمي : كل الأطفال لهم آباء، فأين مضى أبي .

فكرت قليلا وكأنها تبحث عن إجابة غائبة، ثم قالت: أبوك ذهب ليأتي لنا بالطعام واللباس، وسيعود قريبا .

لم أقتنع بإجابة أمي، أحسست بأنها قد كذبت عليّ، فلم أر أبي من قبل ولا أظن أنه يعرفني، تذكرت ما قالته معلمتي، وتذكرت أصدقائي في الصف، وكيف أن صديقي خالدا كان دائما يحدثني عن أبيه، وعن الأشياء التي يشتريها له، أحسست بغربة قاتلة وبيتم رهيب، جلست القرفصاء تحت كرمة لنا في الحوش ثم انخرطت في البكاء .

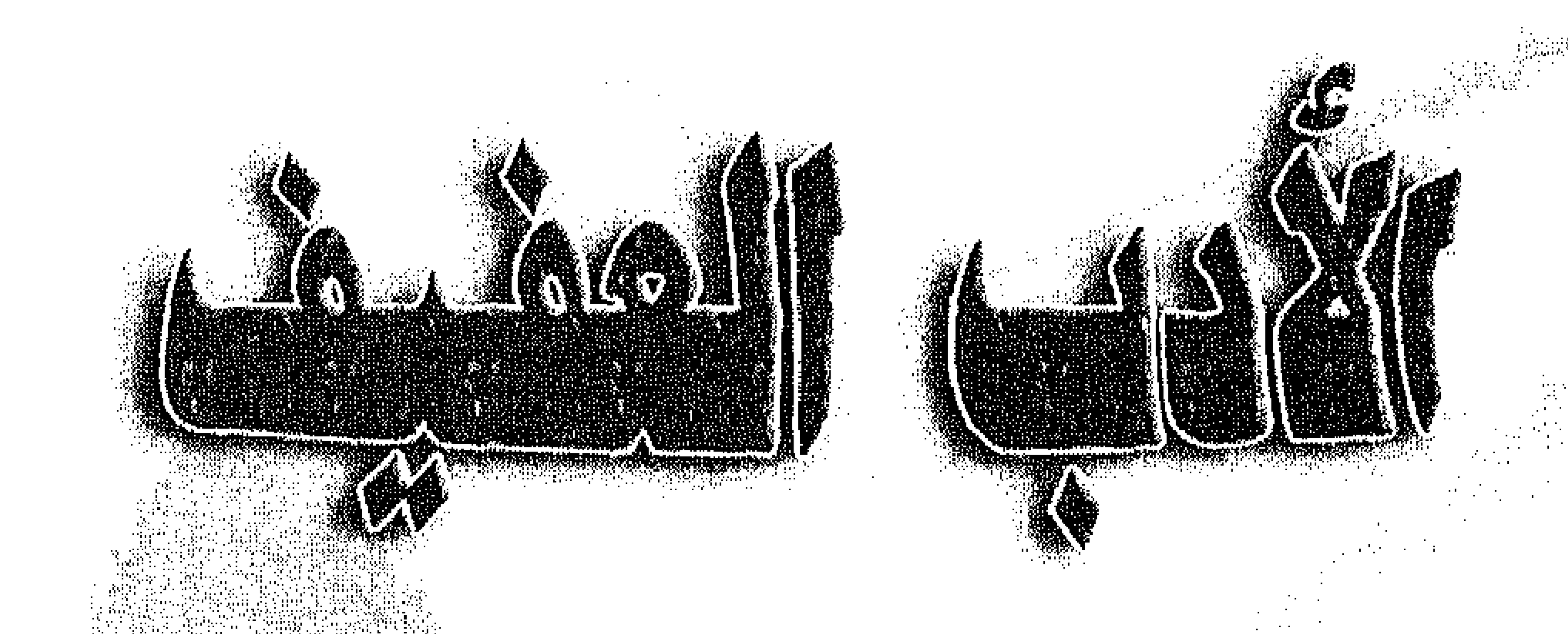
لا زلت أبكي وأذرف الدموع، حتى سمعت نداء فانتبهت على ذلك، فإذا بعامل النظافة يناديني .. هل أنت بخير ؟.

مسحت دموع الحلم ثم قلت له : أنا بخير لا تقلق .

لقد كان حلما مروعا هذه المرة أيضا، يا لبؤس هذه الأحلام، لقد حرمت حتى من الحلم الجميل !!

طار النعاس من عيني والوقت ما زال مبكرا، لكني لم أعد إلى النوم فقد أرهقتني تلك الأحلام، ثم سألت نفسي: كيف يمكن أن تمر بقية أيامي بين الرصيف وكوابيس الأحلام ؟ أيكون مصيري الشارع بعد سن السبعين ؟ ماذا جنت يداي ؟ ماذا فعلت يا رب ؟ وهلا رحمتني ؟!.

لا زلت أمشي بخطى منكسرة وستار الليل يتقاعس شيئا فشيئا، حتى سمعت نداء خفيا « يا بن آدم، كما تدين تدان » . ■



الأدب العفيف

بقلم: د . أحمد عطية السعودي
الأردن

إن التعبير الفني عن عاطفة الحب وغريزة الجنس ينبغي أن يؤكد المكانة السامية لهذه العاطفة المغروسة في فطرة الإنسان منذ خلق كما قررها الخالق سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم) وأن يحيطها بالاحترام والاحتشام لتنمو في رياض الحلال، وتسقى بماء العفة والحياء، وليس كما تصورها وسائل الإعلام مادة حية متجددة للهو والتسلية والحرام، وعالما مليئا بنزعات الجسد وشهوات الشيطان[١]، و أن تتجلى في التعبير الفني النظرة الشاملة المتوازنة التي تقوم على أساس أن الجنس غريزة من غرائز الإنسان، وطاقة من طاقاته التي يجب أن تصرَّف وينتفع بها في إطار الدور المحدد لها لتحقيق أهدافها السامية وهي :

١- عقد أواصر المودة والرحمة بين الرجل والمرأة.
٢- تكوين الأسرة موطن الراحة والاستقرار ومصنع الأجيال، ومبتعث المسؤولية.
٣ - استمرار النوع، وتكاثر النسل وعمارة الحياة.
٤- تحقيق النفعين الحسي والنفسي للإنسان من إفراغ الشحنة الجنسية [٢].

وأن يشحن التعبير الفني لذي القلم المبدع بالطرائق الصحيحة للإشباع الجنسي من خلال التحذير من الزنا وارتكاب الفواحش وتجنب الاختلاط والتمسك بالعفة والفضيلة. ودعوة المراهقين والشباب إلى ملازمة الصيام لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج[٣]، وترغيبهم في الزواج وإظهار محاسنه لا كما تصوره كتب الأدب الرخيص سجنا مظلما، وقيدا شاقا، وحجرا على الحرية . ودعوة المحصنين والمحصنات إلى رعاية العلاقة الزوجية وتعهدها بالمحبة والوقاية والتعاون على البر والتقوى، لا كما يدعو أدباء الفتنة والرذيلة إلى الخيانة الزوجية، ولقاء المحرمات .

وليحمل التعبير الفني أنوثة المرأة على جناح الحشمة والعفاف، ويحلق بها في سماء المؤمنات الصالحات في آي الذكر الحكيم، ويعبر عن مشاعرها بالإشارة اللطيفة، والذوق الرفيع، والحس المرهف .

وليكن دأبه إهداءها ثوب الالتزام متأسية بأمهات المؤمنين ونساء السلف الصالح لتبتعد عن التبرج الذي صار فتنة العصر، وهوى سيطر على النفوس، واستعبد القلوب، وأعمى البصائر، فأباحه المارقون، وانتحلوا له المعاذير، واختلقوا له المزايا ليبرروه [٤].

ولا يعدم القلم الأمين أن يجد النماذج الرائعة التي يستلهمها في تعبيره عن المراودة الجنسية، فله في سورة يوسف المثل الأعلى في الأداء الفني المعجز الذي ينتصر للعفة في مواجهة الثورة الغريزية الجامحة، ويحرك في النفس مشاعر الاستعلاء على الفاحشة، ويحبب إليها الطهر والنقاء، ويصور هذا الإنسان بطلا للثبات على الإيمان، أمينا على زوجة العزيز، شهما شريفا ذا مروءة يرضى بالسجن، ولا يرضى بلذة المعصية ومتعة الفاحشة : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف) .

ولا ينبغي أن تطغى هذه النزعة على أدب ذي القلم المبدع، أو أن تشغله عن السعي إلي الجد وبلوغ المجد أو إشغال جمهور القراء عنهما، وما أحلى قول الإمام الشافعي في هذا المعنى :

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي
من وصل غانية وطيب عناقِ
وصرير أقلامي على صفحاتها
أحلى من الدوكاء والعشاقِ
وألذ من نقر الفتاة لدفها
نقري لألقي الرمل عن أوراقي
وتمايلي طربا لحل عويصة
في الدرس أشهى من مدامة ساقِ
أ أبيت سهران الدجى وتبيته
نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي؟![5]

وعجبا لأدباء الغرام والنوم والأحلام يخدرون المشاعر، ويثبطون العزائم، وديدنهم الدعة والركون إلى المتعة، وغاية مضمونهم الأدبي الدعوة إلى تنسيق الزهور ! في أخطر عصر يمر على الأمة، ويعتدى فيه على الحمى، وتهان المقدسات، ويستذل الرجال، وتسبى الحرائر[6].

ولكن الأديب الأصيل يترفع عن الانزلاق في حمأة الشهوة وبؤرة الفساد، ويرنو نحو تخليص الأمة من محنتها بقلمه الذي ينقلب إلى بندقية في ساعة الشدة إذا حمي الوطيس:

ساءلتني في حمانا ظبية
أتحب الشوق في عين صبية؟
قلت لا أعشق طرفا ناعسا
وخدودا وشفاها قرمزية
إنما أعشق صدرا عامرا
يحمل الموت ويزهو بالمنية
أدركت سري وقالت ظبيتي:
أنت لا تعشق غير البندقية[7]

إن الأديب الأصيل الجاد هو وحده القادر على دفع أباطيل الأدب الخليع، وإنقاذ الأجيال من براثنه، والذود عن الشرف الرفيع، ورد فتنة التغريب والحداثة كما يقول د. عبدالقدوس أبو صالح :

يا أيها الأدباء أضحى الفن بالإيمان جحدا
يا أيها الشعراء صار الشعر للتزييف ندا!
كم من ضلالات الفنون تزيد في التضليل بعدا
والجنس في الآداب يهدم ما ابتغاه الدين وأدا
صوغوا على اسم الله من أجيالنا للحق جندا
وعلى مصابيح النبوة يمموا الهدف الأسدّا[8].

وهو وحده القادر على إجراء ماء العفة في جداول الأدب وروافده ليدفع الزبد الجافي والغثاء الطامي الذي ران على قلوب المعجبين والمعجبات بأدب التائهين:

أدب التائهين ليل وخمر
بين كأس محطم أو غيد
حين يغفو القعيد في خدر
السكر لخصر مهفهف ونهود
أدب ذل في الفجور ونامت
بين أحضانه جفون العبيد
يتوارون خلف سحر شعار
كاذب أو زخارف ووعود
سوف يفنى مع الزمان ويبقى
أدب الحق شعلة في الوجود[9]

لقد آن الأوان أن تُسَل الأقلام من مداد الجنس المتعفن لتسلم الأجيال من الخناجر المسمومة المغروزة في جوانحها، ويطلق سراحها، وتنزع أغلالها لترى الجمال الساحر وتسمع أغاريد العائدين من ذرى الشواهق، وتشم روائح الكلم الزكي المضمخة بأرج البطولة والشرف .■

الهوامش:

(١) عبدالرحمن واصل، عاطفة الحب بين الإسلام ووسائل الإعلام، ط١، دار الشروق، جدة، السعودية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٩-٢٠ .

(٢) فتحي يكن، الإسلام والجنس، ط١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٣-٢٧ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٩ - ٣٩.

(٤) حرم محمد رضا، التبرج، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت- دار الفكر، دمشق، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م، ص ٣٦-٣٧ .

(٥) ديوان الشافعي (٢٠٤هـ) جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي، ط٣، دار الجيل، مؤسسة الزعبي، بيروت، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٤م، ص ٦٣-٦٤.

(٦) انظر على سبيل المثال ما حل بمسلمي البوسنة، في كتيب المجلة العربية « أيام العار » كتبها : جون سوين، وترجمها منصور الخريجي، ع٩، رمضان ١٤١٨هـ/يناير ١٩٩٨م .

(٧) يوسف العظم، رباعيات من فلسطين، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٣٠ .

(٨) رابطة الأدب الإسلامي، من الشعر الإسلامي الحديث، دار البشير، عمان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

(٩) د. عدنان علي رضا النحوي، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ط٢، دار النحوي، الرياض ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣٣٦ .

فسطاط سبيطلة

بقلم : أحمد أبو شاور
الأردن

المشهد الأول

خيام جيش المسلمين ، والرياح الشديدة تكاد تقتلعها ..

الجندي المسلم عبيدالله وهو يتشبث بعماد خيمته ، يصيح بزميله «سُليم» :

أعني يا سليم فدتك نفسي
فهذي الريح لم تترك متاعا

سليم وهو يتشبث بعماد خيمته:

دع الفسطاط وانظر من تأذى
من الأمراء ، أو حُبس افتزاعا

يخرج عبيدالله من تحت فسطاط الأمير وبيديه درعان ، عبيدالله موضحا:

تحسست المهود فلم ألاق
سوى درعين من أثر الرفاق

ثم ينظر إلى الجياد وقد اختلف لونها بفعل الريح والمطر وهاله ما رأى من احمرار :

ودوني الخيل من عصف تأذت
فأدمت سَوْرة الرمل المآقي

سليم مطمئنا لعبيدالله:

لها الجفن القدير لذود رمل
فلا تفزع على إبل وخيل

يقبل نحوهما أحد قادة المسلمين وهو « عمير» قائد فرقة الاستطلاع ، فيسلم عليهما ويسلمان عليه من غير مصافحة .. فيبادره عبيدالله بالسؤال:

فما خبر الجيوش فدتك نفسي
وما عدد الذين وراء ترس؟

عمير مكابرا:

قليل أم كثير ، ليس هذا
بمثني همة ومضاء نفس

يطرق عبيدالله ، ويسرح بخياله بعيدا ، سليم لعمير بشيء من الاهتمام:

كأنك قد رأيت قوى بحال
نبات الأرض أو عدد الرمال

عمير بأسى واضح:

رأيت الأرض قد ملئت بجيش
وجند بات يكسوها الحديد
وفرقتنا الصغيرة قد أحيطت
«كفُلكٍ» حوله انعقد الجليد

يصمت هنيهة ثم يقول مقررا بإحباط:

فما للكر من سبل ليؤتى
وما للفر من قتل سبيل

يغتم سليم من كلمات عمير ، وتتملكه الرغبة في زجره لكنه يكظم غيظه ويسأله :

فما رأي الأمير بما رأيتا؟

عمير مجيبا وراسما شارة الصمت بيده على فمه:

تنحى جانبا وأشار «صمتا»

سليم مستفسرا منه بشيء من الغلظة :

فَلِم أخبرت عن أمر عصيتا

عمير مبررا:

لأني لم أطق قهرا وكبتا!

يرفع عبيدالله رأسه بعد تفكير طويل ، وقد ظهرت على ملامحه رغبته في إبداء رأيه في الأمر ... عبيدالله

الله مستفسرا من عمير:

فما رأي الأمير إذا أتينا
بفعل يوسع الأعداء وهنا؟
فإن خديعة في زحف جيش
تريع كتائبا وتهد حصنا

سليم لعمير مازحا ومتندرا من قول عبيدالله :

كأني بالمغيرة أو بعمرو[1]
يزفان الدهاء لنا نجاة

عبيدالله بثقة وإصرار:

ونصرا من يد الرحمن حصرا
وليس لنيله منا انفلاتا

عمير لعبيدالله بنزق:

فقل لي ما رأيت فإن نفسي
كقوس كسرت فغدت فتاتا

يشرح عبيدالله لسليم وعمير خطة دهائه بحركات من شفتيه وإيماءات من رأسه ويديه ، ويظهر اقتناع عمير وسليم من خلال ملامحهما .. وابتساماتهما ..

المشهد الثاني

عبدالله بن سعد بن أبي سرح قائد جيش المسلمين في أصحابه ومنهم عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير على جيادهم ينظرون عن بعد إلى جيوش البربر وقد أحاطت بجيش المسلمين من كل جانب .

يلمح عبدالله بن عمر ثلة من جنود المسلمين وهم يتبارزون بالسيوف فوق ربوة عالية ، يجيل نظره فيرى العديد من الثلل التي تقوم بهذه المبارزة ، فيتوجس خيفة فيقبل نحو إحداها ليستطلع ويستوضح الأمر.. وما إن يدنو من إحدى الفرق المتبارزة حتى يخرج إليه من بين الفرقة «سليم» قائلا :

على رسل الأمير ، فقد ترانا
نريع الخصم في هذا المكان

ثم يكشف سليم لعبدالله بن عمر عن رجله وقد غلفت بالجلود وعن صدره وقد جعل الدرع تحت ثيابه، ثم يتابع قوله موضحا الغاية من هذه المبارزة :

نواري بالثياب درعا وشنا
ونرسل نحوها فيض الطعان
ونكثر دونهم من فعل هذا
فيعلم رهطهم في الصولجان
بأنا لا نموت بطعن رمح
ولا نهوي على وقع السنان

ينظر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما إلى جيش البربر ، فيرى جنودهم قد صعدوا على أجساد بعضهم بعضا ليتحققوا مما شاع فيهم من أخبار..

يهز عبدالله بن عمر رأسه متفهما ، وترتسم على شفتيه ابتسامة تعبر عن استحسانه للفكرة. ثم يقول :

فما حصر الدهاء برأس عمرو
ولا حفص المغيرة قد توارى
فسبحان الذي أوحى لعبد
من الأعراب ما ينهي الحصارا

ثم يلوي عنق فرسه وينطلق راجعا ..

المشهد الثالث

جمع غفير من جنود البربر وقد التفوا حول قائدهم، وعيونهم تتجه نحو فارس منهم قد أقبل من ناحية جيوش المسلمين ..

يترجل الفارس عن جواده ثم يقبل نحوهم، ويتوجه نحو قائدهم ليقول:

لعمري ما رأيت بهم جراحا
وقد غلوا ببعضهم الرماحا

ينظر جنود البربر لبعضهم نظرات اندهاش وفزع. يستطرد الفارس قائلا :

كأن جلودهم من خف فيل
تجفف مدة فأبى اجتراحا

يكثر القيل والقال في جنود البربر ، وتتعالى أصوات الرفض والاحتجاج ، فينسل قائدهم ، ويصعد إلى ظهر جواده ، وينطلق مبتعدا ..

المشهد الرابع

ملك البربر (جرجير) وقد جلس على البرذون ، وحوله الجواري ، فيما يقف دونه قائد جيشه قائلا :

حصرنا جيشهم من كل صوب
فليس بوسعهم كر لحرب

ثم يستدرك قائلا لجرجير الذي انشغل بمداعبة قرد صغير قفز إلى حجره :



ولكني رأيت بهم عـجـابا
أطار اللب مـني والصـوابا
فـإن فطن الجنود إليـه بتنا
نكابد من صدى الأمـر اضطرابا

جرجير لقائد جيوشه ولم يتنبه لما قال القائد :

غدا تهب الوحوش رفات جيش
وتبـقي في غنائمك الكعـابا
وإن كان الخليفة قد أجابا [٢]
بخـمس الخـمس عن نصـر ثوابا
فـإني قـد وهبت إليك ربعـا

وهو يشير بيده للمسير:

وباقي الغنم تودعـه الجـرابا

ينطلق به البرذون ببطء فيما يسير القائد على قدميه خلف جرجير قائلا :

ولكني أردت جلاء أمر

يقاطعه جرجير قبل أن يتم كلامه بقوله :

بعـيد النصـر تسـتجلي أمـورا
وتسـقي الجـيش من فـرح خـمـورا

يبتعد به البرذون وتبدأ جواريه يهفهفن عليه بريش النعام فيما تبدأ قيانه بعزف الموسيقى .

يبقى قائد جيشه في مكانه متلبثا متعجبا مقهورا

المشهد الخامس

عبدالله بن سعد يتوسط عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير ، وقد اعتلوا على ظهور جيادهم في مكان عال يشرف على جيوش جرجير.

عبدالله بن عمر وقد رأى جرجير معقبا :

أرى جرجير في أقصى خيول
على البرذون في ظلل حسان

يتفهم عبدالله بن سعد كلمات عبدالله بن عمر ، فيعقب على ما يرى بقوله :

تهف عليه بالريش الصبايا
ويطرب سمعه عزف القيان

يحدق عبدالله بن الزبير من مكانه بموكب جرجير فتتسع عيناه ، وتبدوان كعيني الصقر الذي يلمح فريسة طال انتظارها لظهورها ، فيقول للأميرين :

أكـر عليـه في نفـر قليل
كـرار الخـيل إذ حـملت رسـولا

ثم ينطلق بجواده نحو جيش البربر ، وما إن يخطو به جواده حتى يتبعه بعض الفرسان من المسلمين .

يتلو عبدالله بن سعد قول رب العزة والجلال احترازا لعبدالله بن الزبير من القتل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾ **(يس) .**

يقترب عبدالله بن الزبير بجواده من جيش البربر ، فيما تلاحقه نظرات الأميرين حتى يدنو من جرجير الذي يتلبث فوق برذونه ، وما إن يرى الشر في عيني عبدالله بن الزبير حتى يهم بالفرار ، فيتبعه ابن الزبير فيطعنه بالرمح ، ثم يجهز عليه بسيفه ، ثم يأخذ رأسه فينصبه على رأس الرمح ويصيح بأعلى صوته: الله أكبر الله أكبر ..

يرى جنود البربر ما حل بملكهم فيتفرقون في كل الاتجاهات .■

الهوامش:

(١) المغيرة : المغيرة بن شعبة ، وعمرو : عمرو بن العاص. والمغيرة وعمرو هما من دهاة العرب .

(٢) الخليفة : عثمان بن عفان وقد وعد القائد عبدالله بن سعد بن أبي سرح خمس خمس الغنائم إذا فتح الله عليه ذلك الفتح بإفريقيا .

قصة قصيرة

لا شُلَّتْ يمينُك



يا شادي، ألا تريد أن تخرج اليوم .

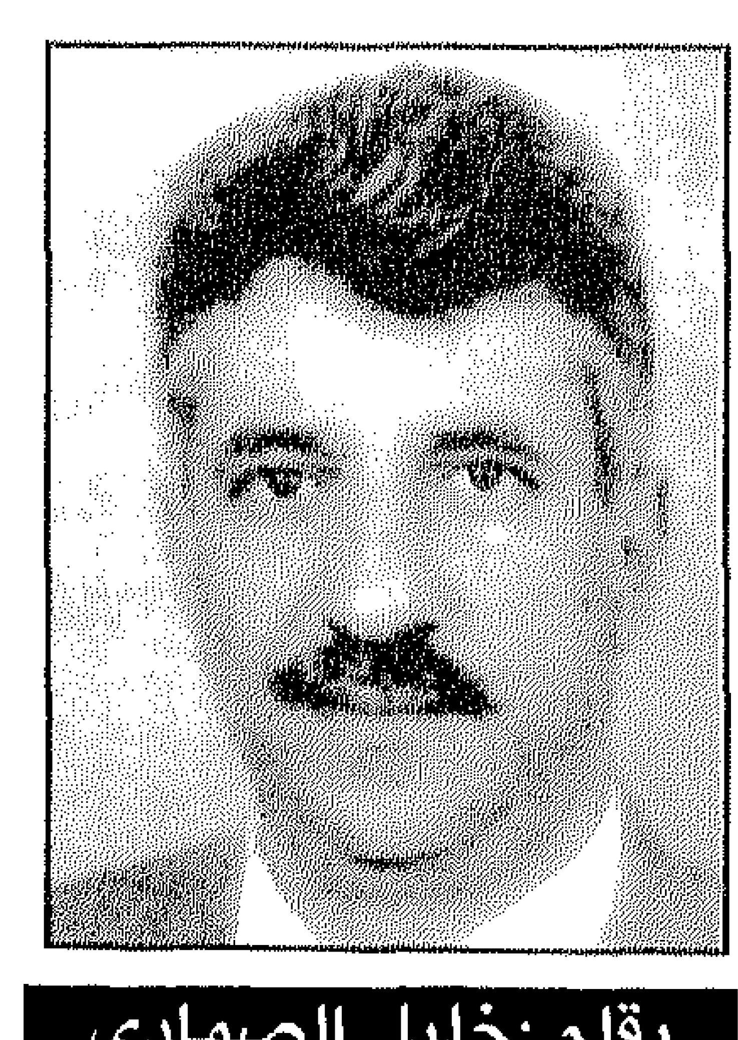
– بلى كيف لا أخرج ؟ لقد اعتدت على ذلك !!

– ظننت أنك تعبت من مواجهات الأمس !!

– وهل الذي اشترك بالأمس يغيب اليوم ؟ إنه يوم مشهود يا حسن ها هم أولاء الأصدقاء قد حضروا كلهم .

ويخرج شادي مع أصدقائه في هذا اليوم العصيب، لقد أمروا شاديا عليهم لأنه أكثرهم شجاعة وحماسة .

عرفوا ضرباته القوية التي قلما تخطئ هدفها، وعرفوا ساعده القوي حتى ظن الصغار منهم أنه فولاذي !! وكثيرا ما كان أصدقاؤه يغبطونه على ذلك .



بقلم :خليل الصمادي
فلسطين

ففي بعض الأحيان كانوا – فيما بينهم – يبحثون عن السر العجيب !!

– ضربات شادي قوية !!

– قل ما شاء الله، بارك الله له في قوة يده.

– بارك الله له .. كم أتمنى أن تكون ضرباتي مثل ضرباته قوية .

– اللهم ارزقنا سواعد قوية كساعدي شادي .

– اللهم آمين، اللهم آمين .

كثير من الأصدقاء كان يسأل شادي عن السر في ذلك فكان يقول : هي هبة من الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾(الأنفال)، وكذلك أنا أتدرب كل يوم على سطح المنزل فعندي الكثير من الأعيرة الأسمنتية جعلتها في علب مختلفة الأحجام أقوم بالتدريب عليها بعد الانتهاء من واجباتي المدرسية، كما أنني مواظب في النادي على تدريبات اللياقة الجسمية، هل تحبون أن تصبح سواعدكم قوية، تعالوا معي بعد المواجهة إلى نادي المخيم .

هنيئا لك يا شادي فكم رأس من رؤوس الأعداء قد شججته بحجارتك القوية !!

وكم من زجاج سيارة من سيارات الأعداء قد حطمت !!

وكم نافذة من نوافذ المستوطنات قد كسرت !!

وكم برج من أبراج الحراسة قد دكتها حجارتك المباركة !!

حتى المقلاع في يدك له طعم آخر لأن ضرباتك تقع على جنود الاحتلال كالقذائف المرعبة فتفرقهم شذر مذر .

لقد عرف الأعداء مصدر هذه القذائف المرعبة فصاروا يحسبون لها ألف حساب صاروا يرتدون الملابس الواقية من ضرباتك وضربات أمثالك من الأبطال الميامين، حتى إنهم اخترعوا غطاء من الشبك ألصقوه بالخوذة المعدنية صار يتدلى على وجوههم كاللجام، خوفا من حجارتكم القوية، وحتى سياراتهم العسكرية وضعوا أمام زجاجها شبكا من الحديد حتى يتقوا ضرباتك وضربات من كان مثلك .

لقد أيقنت تماما قول رسول الله ﷺ حين قال : «ألا إن القوة الرمي » وعلمت أن القوة الفتاكة في حسن الرمي ودقة التصويب.

حتى النبيطة التي كنت تصنعها من أغصان الأشجار ومن بعض المطاط كأنها بندقية حديثة الطراز إذ كانت ترعب الجنود أشد الرعب، وقد ظن الأصدقاء أن النبيطات التي كنت تهديهم إياها ستصيب مواقع العدو كما كانت تفعل في يدك !!

هذا هو شادي وهذه هي يده المباركة !!

هنيئا لك، وبارك الله في السواعد القوية.

لم يغب يوما عن فعاليات الانتفاضة فكيف يغيب وهو الأمير ؟

وكيف تغيب هذه اليد التي كانت محط إعجاب الجميع ؟

كثيرا ما كان يسمع عبارات الثناء والإعجاب كلما رمى حجرا أو أطلق العنان لمقلاعه ليقتلع الشر من جذوره.

– أحسنت يا شادي، لقد أصبت الهدف بجدارة.

– لا شلت يمينك يا أخي.

– بارك الله فيك يا بطل .

– لقد أصاب حجر شادي رأس الضابط البغيض، وها هم يضعونه على نقالة .. إلى جهنم وبئس المصير .

– يدك فولاذية، أتمنى أن تصبح يدي مثلها .

– حسبكم يا جماعة قولوا ما شاء الله .

– خذ هذا الحجر يا شادي فإنه مسنن، سم الله وارمه .

لم يأبه شادي لكل المدح والثناء، وكلما سمع إطراء من هذا القبيل يقول : اللهم اجعلني خيرا مما يعلمون، واغفر لي ما لا يعلمون) .

صار حديث مخيم جباليا عن يد شادي القوية، وسرعان ما انتشرت أخبارها إلى غزة وخان يونس ورفح، حتى فتيان الضفة الغربية والقدس وصلتهم أخبارها، وصارت حديث المجالس، وقد بالغ بعضهم في وصفها حتى قالوا : إن ملائكة السماء تحركها !!

حتى الأعداء علموا بأخبار هذه اليد العجيبة وعرفوا مصدر إزعاجهم .

وأخيرا صدر القرار الأخير .

– صار شادي على قائمة المطلوبين، بل يده هي المطلوبة .

– أحضروه حيا مقطوع اليد أو ميتا!

صوبوا بنادقكم على يمينه .

هكذا صرخ القائد في جنوده، بعد أن تلقى الأوامر من القيادة العليا . انتبه يا شادي أرى النيران تتوجه نحوك أكثر من غيرك .. كن حذرا يا صديقي .

– اخفض رأسك يا أخي .

هكذا حذر الأولاد شاديا لأنهم رأوا شيئا لم يروه من قبل .

وفي لحظات سريعة صاح الأولاد : شادي شادي ماذا حصل لك ؟

– ماذا حصل ؟، لم يحصل شيء .

– بلى يا شادي ألا ترى الدماء تنزف من ساعدك الأيمن ؟

– نعم .. نعم، لقد أصبت يا أصدقائي، لم أشعر بذلك إلا الآن !! لولا تحذيركم ما شعرت .

وفي الحال حمل الأصدقاء شاديا وركضوا به إلى جانب الطريق وهناك أوقفوا سيارة ونقلوه إلى المستشفى ؟

اشتد الألم على شادي حتى غاب عن الوعي، وفي الحال أدخل إلى غرفة العمليات، اجتمع الأطباء حوله وقدموا له الإسعافات الأولية، ولكن الموقف عصيب، إذ إن الجرح غائر في يده، بل منتشر في جميع أجزائها، لم يكن كذلك وقت إصابته .

احتار الأطباء في وضعه، لم يجرؤوا على فعل شيء، اتصلوا بمدير المستشفى وأطلعوه على حالة شادي، حضر في الحال، حاول وحاول ولكن الوضع خطير، أحضروا اختصاصي العظام، وأخذ عددا من صور الأشعة واجتمع مع فريقه ودرسوا الوضع .

قال الطبيب المختص : لا بد من بتر يده، هذا هو العلاج الوحيد، المجرمون أطلقوا عليه عيارا ناريا من نوع « دمدم » الذي يتفجر وينتشر بعد حين في المكان الذي أصابه إنه محرم دوليا .

همس رئيس المستشفى:

– ولكن كيف سنخبره ؟ إن الموقف عصيب !!

رد طبيب الأشعة :

– لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا بد من إخباره وإخبار أهله وأنا سأخبره عندما يصحو من التخدير .

بقي الأطباء مجتمعين حول شادي يراقبونه وهم مشفقون على يده التي ستبتر بعد قليل .

صحا شادي من غفوته فرأى الأطباء حوله، وعلامات الغضب تعلو وجوههم، فسألهم عن السبب .

اقترب منه رئيس الأطباء وحياه قائلا :

– الحمدلله على سلامتك أيها البطل، كيف أنت الآن؟

– بخير والحمدلله ولكن يدي اليمنى تؤلمني ولا أستطيع حراكها .

– لا بأس عليك يا بني، عافاك الله، وردك إلى أهلك سالما غانما .

– ماالذي يحدث هنا ؟ لم أنتم مجتمعون حولي ؟

– من أجل علاجك يا شادي .

– بارك الله فيكم يا عماه، وبارك بكل من يسعف جريحا .

رد طبيب الأشعة :

– ولكن يا شادي ..

– ماذا ؟ قل تكلم ...

– لا ... يا بني، الحمدلله، رأسك لم يصب بأذى، وجسمك سليم معافى، لم تصب إلا يمناك يا شادي، ونحن هنا منذ أكثر من ساعتين نحاول علاجها، ولكن ...

– ولكن ماذا ؟ قل يا عماه .

– لا بد من قطعها يا شادي، وهذا هو العلاج الوحيد .

– ماذا تقول ؟!!!

– يا شادي كل شيء مقدر من الله ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ (التوبة).

– ونِعْم بالله .. ونِعْم بالله .

نظر مدير المستشفى إلى وجهه فرأى الدموع تتساقط من عينيه، فقال له :

– أنت مؤمن يا بني، اصبر واحتسب!

رد شادي :

– لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حاول طبيب العظمية تخفيف المصاب عنه فقال:

– إن شاء الله سنركب لك يدا اصطناعية تساعدك على عمل أشياء كثيرة .

رد طبيب الأشعة :

– وستكون إن شاء الله قريبة من اليد الطبيعية .

جفت الدموع من عيني شادي وبدت الفرحة تعلو وجهه سألهم :

– وهل أستطيع أن أحمل بها الحجارة وأرمي جنود الاحتلال ؟!!.

رد الأطباء جميعا:

– نعم يا شادي تستطيع فعل ذلك .

صاح شادي بأعلى صوته :

– الله أكبر .. الله أكبر ...

الحمدلله.. الحمدلله.■

الإسلامية في الأدب ليست قيدا ونظرية التلقي فيها نظر

بقلم : د . عبدالرحيم الكردي*

فقد طالعت بإعجاب العدد (رقم ٣٩) من مجلتكم الغراء، وإني أهنئكم على نجاحكم الباهر، وأسجل تقديري للجهد الذي تبذلونه ويبذله القائمون على رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

لكن لي بعض الملحوظات على بعض المواد التي وردت في العدد المذكور تسير معها في الاتجاه الذي تسلكه حينا، وتختلف معها حينا آخر، لكنه في كل الأحوال اختلاف لا يصل إلى درجة الخصام، من ثم فإنني آثرت أن أبوح به لكم وللقراء إن وجدتم فيه لهم نفعا، وفي صفحات المجلة متسعا.

مفهوم الأدب الإسلامي

وأول شيء علق بذهني بعد طي صفحات هذا العدد هو التعريف الذي حددتم به مفهوم الأدب الإسلامي في التغطية التي تناول فيها العدد وقائع ندوة تمت في السودان الشقيق بهذا العنوان «مفهوم الأدب الإسلامي» وأقصد العبارة التي تقول : «الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي» .

ودارت في ذهني عدة تساؤلات، من قبيل :

وهل يختلف هذا عن الدعوات التي صاحبت كل الأيديولوجيات في العالم ؟

فالاشتراكية مثلا عندما ظهرت كان زعماؤها ينادون بأن يكون الأدب بوقا لشرح مبادئ الحزب، أو لتمجيد المذهب أو الدعوة إليه، أو تصوير الأبطال المجهولين في المناجم ومصانع الإسمنت، وتحويل الأدباء إلى مبشرين ودعاة، ونتيجة لذلك تسربت أسرار الفن من بين أصابعهم، مما دعا أحد النقاد الكبار إلى القول بأن الفن التشكيلي الروسي في عهد الماركسية كان نوعا من التخلف العقلي . مما دعا منظري الأدب الاشتراكي إلى تعديل هذا الاتجاه ودعوتهم إلى تصوير الواقع حسب المنظور الاشتراكي أو التصور الاشتراكي لتركيب المجتمع وسير الحياة، بحيث يتم خدمة المذهب في النهاية - كما فعل ذلك لوكاتش - وقد أدى ذلك إلى جمود الأدب الاشتراكي في كل الأحوال، وإلى جفاف ينابيع الفن فيه، لأن الأديب يدخل إلى العمل الفني بتصور مسبق، يحرم النص الأدبي من الواقعية والصدق الذي هو ثمرة الحرية .

وتساءلت : هل يريد القائمون على مجلة الأدب الإسلامي أن يتحول الأدب إلى هذا الاتجاه من الأدب الهادف ؟ أو قل :الأدب الجاف أو الدعائي ؟.

وهل يجوز أن نجعل التقوى معيارا فنيا في الأدب فنحكم مثلا على شعر أبي نواس بأنه رديء، وعلى شعر السيوطي بأنه جيد، لمجرد أن أبا نواس اتخذ موضوعه من السلوكيات المحرمة شرعيا وأن السيوطي التزم فيها بقواعد الدين ؟!

بصيغة أخرى، ألم يكن هناك فارق بين المعايير الفنية أو الجمالية والمعايير الدينية الأخلاقية ؟ ولا شك

* أستاذ النقد والأدب الحديث بجامعة قناة السويس - مصر

أنكم معي في أن هذه القضية قد حسمت منذ زمان بعيد، منذ الأصمعي عندما فرق تفريقا حاسما بين المعايير الدينية والمعايير الفنية، فأصبح إماما في ذلك لكل من ابن المعتز والجرجاني، بل إن الأصمعي رأى خلافا لذلك أن الدين قد يكبل شيطان الشاعر فيقلل من جودته ويلين شعره - كما هو الحال مع حسان بن ثابت رضي الله عنه، لأن الشعر - كما يقول الأصمعي - نكد لا يقوى إلا في الشر .

لكنني مع ذلك تساءلت تساؤلا آخر : لماذا إذن أبدع شعراء كثيرون قصائد شعرية رائعة تنبع من التصور الإسلامي ؟، هل يمكن أن ننكر روعة شعر حسان وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير والبوصيري وشوقي وغيرهم ؟!

في الوقت الذي لم ينتج شعراء أو أدباء الشيوعية شيئا ذا قيمة فنية عالية .

إن نقاد الأدب الأوربيين يرجعون إخفاق الفن الشيوعي إلى فقدانه للحرية وللواقعية وللصدق، نظرا لوجود سلطة قاهرة تفرض على الأديب قيودا معينة تكبل حريته وتقدم له تصورا مسبقا للواقع . فهل هذه الحرية مفقودة لدى الأديب المسلم ؟ هل الإسلام يفرض على الأديب تصورا معينا للواقع ؟! إن هذا الفارق الضخم بين الأيديولوجية والدين هي التي جعلت الإسلام لا يعيق الواقعية والصدق في الفن، لأن الدين عقيدة اختيارية نابعة من الفرد نفسه، فيصور الأديب المسلم الحقيقة التي يعتقد أنها تكمن وراء الواقعة .

من ثم فإن المفهوم الإسلامي للواقعية يختلف عن المفاهيم الغربية والمفاهيم الماركسية، ففي الوقت الذي يفهم الأدب الأوربي فيه الواقع الإنساني على أنه مجموعة من الصراع المادي الذي تحكمه الغرائز والمطامع الدنيئة للإنسان، وينظر إلى هذا الواقع على أنه الحقيقة الدفينة التي تتخذ لها أحيانا ظاهرا زائفا من الأخلاق والتدين، بحيث تبدو الحياة على أنها مكونة من طبقتين : طبقة سطحية ظاهرة، وهي الأخلاق والتدين والعفة والطهارة، وطبقة عميقة هي معركة طاحنة من الغرائز والمطامع والنزوات، وأن الأديب يكشف حقيقة الإنسان فيعري هذا الواقع الزائف، ويكشف عن حقيقة الإنسان الدفينة .

أما المذهب الاشتراكي فيرى أن الواقع الدفين عبارة عن صراع دنيء بين الطبقات في المجتمع، تمتص فيه الطبقة العليا دماء الطبقات الدنيا، وتنتهز فيه الطبقات الدنيا الفرصة لسفك دماء الطبقة العليا .

لكن النظرة الإسلامية للواقع تختلف، لأن الأديب المسلم يبحث عن الحقيقة .. الحقيقة الأبدية الخالدة التي تقبع خلف الواقع الزائف، فالإنسان من وجهة النظر الإسلامية يعيش في غفلة، فيظن أن الدنيا باقية فيكذب ويسرق ويخون ويتآمر، فيعيش في وهم الخلود، فيأتي الأديب ليكشف عن زيف هذا الواقع ويصور الحقيقة الغائبة، وهي أن الإنسان يموت، وأن الدنيا فانية، وأن الصدق ينجي، والمكر السيئ يحيق بأهله، وهي حقيقة ترتدي أثوابا مختلفة حسب تصور كل أديب، وتعبر عن قناعة شخصية وإيمان ذاتي عميق، دون إجبار أو مصادرة على رأي .

من هنا استطاع التصور الإسلامي على مر العصور أن ينشئ أدبا رائعا، وفي الوقت نفسه يصور الحقيقة التي تكمن خلف الواقع الزائف، كما هو الحال في أدب محمد إقبال مثلا، بينما فشل التصور الماركسي في إبداع شيء من الفن .

وهكذا نرى أن المفهوم الإسلامي للواقع يختلف عن المفاهيم الغربية والشرقية، فهو مفهوم يرى أن وظيفة الأدب هي كشف الحقيقة التي تكمن خلف هذا الواقع . أما الأدب الغربي والشرقي فيرى أن الواقع نفسه هو غاية البحث، لأنه لا يؤمن بوجود شيء خلف هذا الواقع، ونرى أيضا أن الأدب الإسلامي ليس بوقا للدعاية ولا ينبغي أن يكون محصورا في دائرة الوعظ بل يكون باحثا عن الحقيقة من خلال كشف زيف الواقع الحالي .

في هذه الحالة يكون الأدب معبرا عن الواقع الحقيقي

الذي ضاعت معالمه تحت سنابك الفكر الأوربي الدخيل بل المفروض، ويكون المسلم معبرا عن خصوصيته الفنية والفكرية، ولا يكون مجرد تابع، لأن التبعية تفقد الإرادة والحرية، وفقدان الإرادة والحرية – كما سبق القول – لا ينتج فنا .

***

التلقي في التراث البلاغي والنقدي

أما الموضوع الآخر الذي أود التحدث عنه فهو المقالة التي بعنوان : «التلقي في التراث البلاغي والنقدي»، فقد أراد الكاتب الفاضل (عبدالعظيم فوزي) أن يؤكد أن التراث البلاغي والنقدي العربي قد اهتم بالمتلقي – وهذه حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها – لكنه في سبيل هذا الهدف رأى أن هناك تشابها بين النظرية العربية القديمة عند النقاد العرب من أمثال الجاحظ وعبدالقاهر الجرجاني وبين نظريات التلقي والقارئ في النقد الغربي المعاصر، ونقل عدة آراء من شكري المبخوت وإبراهيم السعافين وانتهى إلى نتيجة يقول فيها : «وهكذا يمكن أن نستنتج أن النص محوري في علاقته بالقارئ، فظاهرة التقبل بدت في الإرث البلاغي والنقدي، وكأنها إجابة على سؤال، فالنص رحم تنمو فيه المعاني وتتناسل المؤثرات، والمتقبل يولد بحسب طاقته القرائية ظلالا من المعنى الممكن أو يضع اليد على معان ممجوجة مكررة، ويستجيب إن صدا أو قبولا لما يبسطه النص من أسئلة يعود معظمها إلى بنية القول وهيأته، ويعود بعضها الآخر إلى ما أنتج قبله من نصوص تزدحم في ذاكرة القارئ ». وهذه النتيجة التي انتهى إليها الكاتب، والتي صرح بأنه أخذها من شكري المبخوت تتلاءم مع نظريات التلقي الغربية، وتظهر عليها أطياف من باختين وأمبرتو إيكو ودريدا ، لكنها لا تتفق مع نظريات البلاغة العربية القديمة عند الجاحظ والجرجاني وعبد القاهر(*) .

فالبلاغة العربية القديمة نشأت في أحضان الدراسات القرآنية، وأهم نظريات البلاغة العربية بل معظمها نبعت من دراسات العلماء للنص القرآني (البيان والبديع والنظم والمعنى ... إلخ) ولم يفرق البلاغيون العرب بين النظريات البلاغية الخاصة بالقرآن وتلك التي تخص الشعر، بل عالجوا القرآن والشعر حسب المعايير الجمالية نفسها، بل وازنوا بينهما أحيانا كما فعل الباقلاني، أو استشهدوا بأحدهما لفهم النكات البلاغية في الجانب الآخر كما فعل عبدالقاهر والجاحظ .

وبصرف النظر عن صحة هذا المسلك أو خطئه فإنه قد أدى بالبلاغيين العرب إلى عدم قبول الحرية المطلقة في تأويل النص، كما تدعو النظريات الغربية الحديثة . فالنظريات الغربية الحديثة ترى أن معنى النص ليس كامنا في النص نفسه بل يتحقق من خلال القراءة ، وأن كل قراءة فإنها سوء قراءة للنص ، لأن قارئا آخر سوف يأتي ويقرأ النص بطريقة جديدة ويفهم منه معنى آخر ، فالمعنى في النص مؤجل دائما ولن يتحقق أبدا. لأن النص لا محور له ، ولا شاطئ للنجاة يمكن أن تهدأ سفينة المبحر فيه ، فكل إنسان يمكن أن يؤوله كما يشاء وسوف يكون تأويله في النهاية مجرد رؤية فردية نسبية لأن النص أصلا لا يملك المعنى ، ولا يسكنه شيء سوى الخواء.

البلاغة العربية القديمة ترفض ذلك رفضا قاطعا، وترى أن القارئ ليس مطلق السراح يمرح في النص كما يشاء، بل هناك في كل نص معنى وإلا لأصبح عبثا، فالنص الذي لا معنى له هو مجرد أصوات، وأن هناك معايير وقواعد وقوانين تحكم القارئ في فهم المعنى والوصول إلى المعنى . هذه القواعد والقوانين هي الأعراف اللغوية والبلاغية للعرب . هذه الأعراف إذا كانت خاصة بالتراكيب فهي النحو العربي، أما إذا تعلقت بالدلالات التي تفهم من التراكيب فقد أطلق عليها الجاحظ مصطلح «البيان العربي » وأن فهم القارئ لمعنى النص بعيدا عن البيان العربي وأعرافه يعد فهما خاطئا وتأويلا ينسب إلى القارئ لا إلى النص .

ولذلك فإن بعض الدهريين وأصحاب التفسير والتأويل، لما قرؤوا آيات القرآن الكريم قراءات خاصة وفهموا منها مفاهيم متعددة، تصدى لهم الجاحظ ورأى أنهم لا يحسنون قراءة النص، ولا يلتزمون قوانين القراءة الصحيحة، فقد فهموا مثلا أن القرآن كان مخطئا عندما قال: ﴿ .. فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِه .. ﴿٤٥﴾﴾ (النور) لأنهم قالوا لأننا لا نفهم من المشي إلا أن يكون بالأرجل لا بالبطون . ومثل ذلك في قوله تعالى ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (طه) لكن الجاحظ يرد عليهم بأن الشعر العربي والبيان العربي يقول بأن الحية تمشي على بطنها على سبيل التشبيه

كلامهم، وإن القرآن قد جرى على مجاري كلام العرب . ومثل ذلك أقوالهم في قوله تعالى : ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ (الواقعة) و ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (يس) و ﴿.. وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ (مريم) قالوا إن العذاب لا يكون نزلا، والجنة كيف يكون فيها شغل، وهل في الجنة بكرة وعشي ؟! ورد عليهم الجاحظ في كتاب الحيوان، بأن القارئ للنص القرآني ينبغي أن يستخدم البيان العربي الذي نزل به القرآن، لا أن يخبط فيه خبط عشواء حسبما تسول له نفسه .



وكان من ناحية ثانية يراعي خلو ذهن المخاطب فلا يأتي له بالكلام مؤكدا، ويراعي تردده أو إنكاره فيؤكد كما في الآيات الواردة في مطلع قصة أصحاب القرية في سورة يس .

وهكذا نرى أن فكرة تناسل المعاني في النص تبعا لرؤى القراء فكرة جديدة لم تتطرق إليها البلاغة العربية القديمة، وهي فكرة جيدة بالنسبة للشعر لكنها لا تنطبق على النصوص التشريعية مثل القرآن الكريم، فالقرآن الكريم يمكن فهم معناه عن طريق المعرفة بأساليب العرب ومذاهب كلامهم .

ولذلك فإن وظيفة الاستعارة مثلا عند العلماء العرب من أمثال الجاحظ وعبد القاهر والرماني تتناقض مع وظيفتها الحديثة عن التلقي والقراءة، فالصورة الاستعارية في البلاغة العربية القديمة أداة لتوضيح المعنى بينما هي في النظريات الغربية الحديثة أداة لتضبيب المعنى وإعاقته، بل إبهامه ومراوغته وحجب معناه إن كان له معنى .

وذلك لأن البلاغيين العرب يرون أن هناك معاني خاصة لا يمكن التعبير عنها باللغة المعتادة، لأن ألفاظ اللغة وتراكيب الجمل محدودة، والمعاني غير محدودة، حينئذ تأتي الصورة لتقوم بالتعبير عن دقائق المعاني بصورة واضحة ومؤثرة، من ثم كانت المهارة في تركيب الشكل هي مكمن الفن عند الجاحظ .

وعندما تحدث عبدالقاهر عن الغرابة بين طرفي التشبيه لم يقصد فقدان المعنى أو تشويشه، بل يقصد تشويق القارئ أو السامع وتلذذه في الوصول إلى المعنى، فالمعنى عنده متحقق بل كامن في النص .

أما حديث البلاغيين العرب عن المتلقي فلم يكن من هذا القبيل، بل كان من ناحية مراعاة الحال، وهو ما عبر عنه الجاحظ بقوله : «لكل مقام مقال »، وهو عدم مخاطبة العامة بكلام الخاصة، ولا مخاطبة السوقة بكلام العلماء، وقد أشار الجاحظ إلى أن القرآن الكريم يسهب ويطيل الخطاب عندما يخاطب اليهود ويتحدث عنهم، ويوجز بل يستخدم الوحي واللمحة والإشارة عندما يخاطب العرب.

ولا نعرف عالما عربيا قديما فرق بين بلاغة خاصة للأدب تختلف عن البلاغة التي طبقت على فهم آيات القرآن الكريم، إلا ما يكون من تفريق الإمام الرازي بين لغة الشعر ولغة الحكمة . إذ رأى أن الحكيم يعمد إلى المعنى ويقصده قصدا أوليا ثم يستخدم الألفاظ بعد ذلك لخدمة هذا المعنى، أما الشاعر فيستخدم الألفاظ عامدا إليها عمدا وقصدا أوليا ثم تأتي المعاني بعد ذلك اتفاقا، وهو هنا يرى أن الشاعر يرسل أنغامه وقوافيه فتأتي الحكمة كما تأتي على أفواه من لا يقصدونها، ولم يستثمر هذا التفريق بعد ذلك . ومع ذلك فإنه ينطلق من المسلمة البلاغية نفسها التي استقرت في البلاغة العربية القديمة وهي أن كل نص لا بد أن يكون فيه معنى، وأن هذا المعنى يمكن أن يعرف ويفهم عن طريق معرفة النحو والبيان، وأن أي إساءة في الفهم فإنما هي نابعة إما من سوء القراءة أو الجهل بالأساليب العربية، أو عن عيب في النص نفسه يتعلق بفصاحة منشئه .

وبعد .. فماذا يضير البلاغة العربية القديمة ألا تكون مشابهة للبلاغة الأوربية ؟ إن هذه ميزة لها، فهي كانت تقف شامخة قبل أن تولد الحضارة الأوربية نفسها بعدة قرون .

وأخيرا لكم مني خالص الدعاء بالتوفيق .■

---

* عندما يطلق النقاد لقب «الجرجاني» يقصدون علي بن عيسى القاضي الجرجاني وليس عبدالقاهر كما فعل صاحب المقال.



أما المقدمة:

فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع ودوافعي إلى الكتابة فيه .

أما التمهيد:

فعنوانه (أضواء على تاريخ البوسنة والهرسك) سلطت فيه الضوء على تاريخ الإسلام في البوسنة والهرسك، وتناولت أهم الأحداث التي مرت بها هذه البلاد، ودعمت كلامي بالأشعار ما أمكن .

الفصل الأول:

عنوانه (شعر البوسنة والهرسك رؤية موضوعية) وقد قسمته إلى عشرة مباحث

المبحث الأول:

عنوانه (حقيقة الحرب وأبعادها) تناولت فيه الأسباب الحقيقية للحرب في البوسنة والهرسك من وجهة نظر الشعراء .

المبحث الثاني:

وعنوانه (الاستنجاد) وتناولت فيه استنجاد أهل البوسنة والهرسك بالمسلمين، ويشمل استنجاد النساء والأطفال والمساجد، واستنجاد الشعراء بأبطال الفتوحات الإسلامية .

المبحث الثالث:

وعنوانه (موقف المسلمين من المأساة) وتناولت فيه عتاب الشعراء للأمة لتخليها عن مسلمي البوسنة والهرسك، وإشارتهم إلى أسباب ضعف الأمة وتعثرها .

المبحث الرابع:

وعنوانه (الدعوة إلى الوحدة الإسلامية) وتناولت فيه تحديد الشعراء للعلاج الناجع لما تعانيه الأمة.

المبحث الخامس:

وتناولت فيه موقف المجتمع الغربي السلبي من المأساة، وتمثيله مسرحية قبيحة لخداع المسلمين .

المبحث السادس:

وتناولت فيه موقف المنظمات الدولية الظالمة من المأساة، وتحديد أهدافها لخدمة المصالح الأمريكية .

المبحث السابع:

(الجانب الإنساني بين المسلمين والكفار) وتناولت فيه تصوير الشعراء لالتزام المسلمين بآداب الحرب على مر العصور .

المبحث الثامن:

(الهجاء) وتناولت فيه هجاء الشعراء للأمين العام للأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة، وهجائهم للصرب .

المبحث التاسع:

(المديح) وتناولت فيه مديح الشعراء لأهل البوسنة

والهرسك، ووصفهم بالشجاعة والتحدي والتمسك بالأخلاق الإسلامية .

المبحث العاشر:

(الرثاء) وتناولت فيه رثاء الشعراء لمدن البوسنة والهرسك، ورثائهم للأمة الإسلامية الثكلى.

***

الفصل الثاني

وجاء الفصل الثاني ليدرس الجوانب الفنية في شعر البوسنة والهرسك وقد قسمته إلى سبعة مباحث كالآتي:

المبحث الأول:

(التجربة الشعرية) وبدأته بتعريف التجربة الشعرية، وتحديد عناصرها ومقوماتها، ثم تخيرت للتطبيق من بين التجارب الناجحة النابضة قصيدة (سراييفو تقول لكم) وقصيدة (أمة تبكي شبابها) عرضت لمضمونهما ثم أتبعته بدراسة نقدية تفصيلية تتضمن عناصر التجربة ومقوماتها .

المبحث الثاني:

(الوحدة الفنية) وبدأته بتمهيد نظري يوضح موقف النقد - قديما وحديثا - من الوحدة، وحددت عناصرها في النقد الحديث ثم اخترت قصيدة (رسالة إلى بوش من طفلة مسلمة بالبوسنة) للشاعر فاروق جويدة نموذجا توافرت فيه عناصر الوحدة إلى حد كبير، واخترت قصيدة (فجر في موستار) للشاعر عدنان النحوي نموذجا اختلت فيه عناصر الوحدة الفنية .

المبحث الثالث:

(العاطفة) وبدأته بتمهيد نظري عن العاطفة وتعريفها وأهميتها، ثم تناولت أنواع العواطف في أشعار البوسنة والهرسك .

المبحث الرابع:

(الاقتباس والتضمين) بدأته بتعريف الاقتباس والتضمين، وسلطت الضوء على إثراء الاقتباس والتضمين للنصوص بالمعاني والأخيلة .

المبحث الخامس:

(الألفاظ والتراكيب) وبدأته بتمهيد يوضح دور اللغة في نجاح التجربة بصفة عامة، ثم تحدثت عن الظواهر اللغوية في هذه الأشعار ومنها: السهولة والإيحاء، وملاءمة الألفاظ للأغراض، وانتشار ألفاظ من المعجم الإسلامي، وتراوح الأسلوب بين الخبر والإنشاء، ثم أنهيت المبحث بذكر بعض العيوب اللغوية والأسلوبية التي وقع فيها الشعراء .

المبحث السادس:

(الصورة الفنية) وبدأته بتمهيد نظري يوضح أهمية الصورة ومفهومها، ثم تحدثت عن الأنماط التصويرية في شعر البوسنة والهرسك ومنها: الصورة الكلية، والصورة الجزئية، والصورة المتقابلة، والصورة الإيحائية، ثم تحدثت عن الصورة وروح العصر .

المبحث السابع:

(الموسيقى) وبدأته ببيان تأثير الموسيقى على النفس البشرية، ثم درست موسيقى الشعر خارجية وداخلية، وتناولت في الخارجية الوزن والقافية، ودرست في الداخلية التكرار والجناس والطباق والتنوين والتنغيم .

***

الفصل الثالث:

وكان بعنوان (موازنات) وتناولت فيه معارضة بين عبدالرحمن صالح العشماوي ومحمود الدغيم، ووازنت بين أحمد شوقي ومحمد أمين أبو بكر، وبين جابر قميحة ومحمود الدغيم، وبين يوسف القرضاوي وسليم زنجير .

الخاتمة:

وتحدثت فيها عن أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث وأعقبتها بفهرسين جعلت الأول للمصادر والمراجع، وجعلت الآخر للمحتوى. .

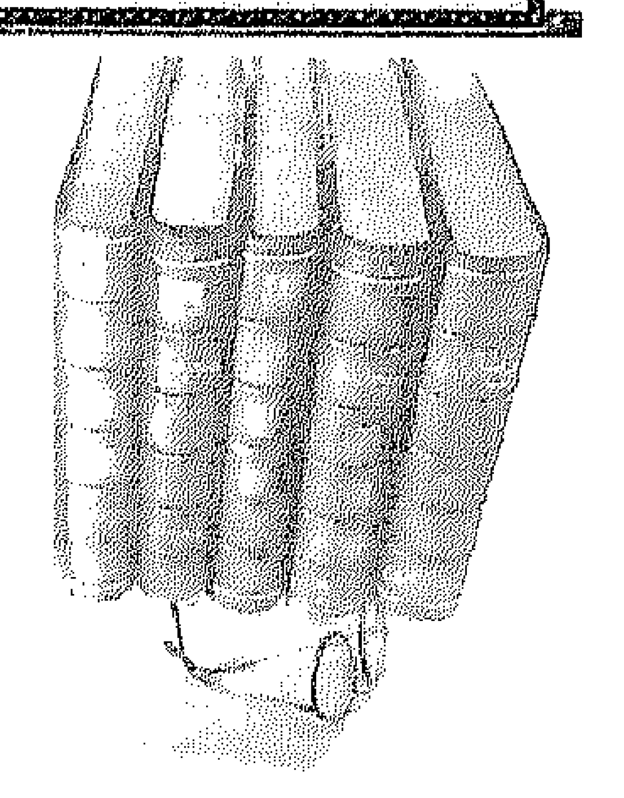
وقد تكونت لجنة المناقشة والحكم من السادة الأساتذة:

١- الأستاذ الدكتور عبداللطيف السيد الحديدي، أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة، مشرفا .

٢ - الأستاذ الدكتور عبدالرحمن محمد هيبة، أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة، عضوا .

٣ - الأستاذ الدكتور حبيب السيد أبو جمعة، أستاذ الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط، عضوا .

وقد نال البحث الرضا وحظي بالإعجاب وحصل صاحبه على تقدير ممتاز. ■



اسم الكتاب: غزوات الرسول ﷺ بين شعراء الشعوب الإسلامية

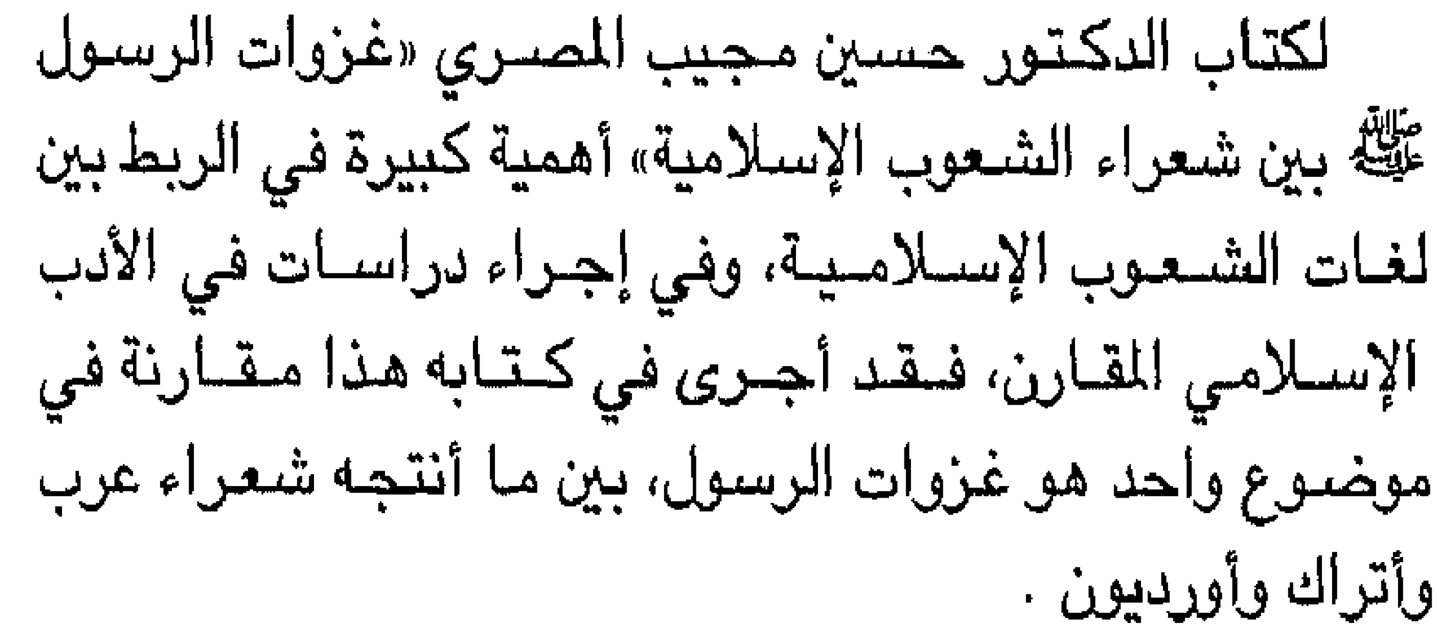
المؤلف : د . حسين مجيب المصري

الناشر : الدار الثقافية للنشر - القاهرة

الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

عرض : صدقي البيك





لكتاب الدكتور حسين مجيب المصري «غزوات الرسول ﷺ بين شعراء الشعوب الإسلامية» أهمية كبيرة في الربط بين لغات الشعوب الإسلامية، وفي إجراء دراسات في الأدب الإسلامي المقارن، فقد أجرى في كتابه هذا مقارنة في موضوع واحد هو غزوات الرسول، بين ما أنتجه شعراء عرب وأتراك وأورديون .

تحدث المؤلف في المقدمة عن أهمية الموضوع الذي اختاره .

وقد جعل كتابه في ثلاثة أبواب، وختمه بترجمات شعرية لقصيدتين طويلتين (ملحمتين) من الشعر الأوردي، أولاهما للشاعر الباكستاني حفيظ الله جالندري «ملحمة الإسلام» (١٧٢) بيتا، تدور حول غزوة بدر وأحد والخندق ... والثانية مترجمة شعرا أيضا تتألف من (١١٢) بيتا للشاعر منير علي جعفري، وهي تدور أيضا حول غزوات بدر وأحد والخندق ..

وقد خص الباب الأول للحديث عن الغزوات في الشعر العربي، فتحدث في الفصل الأول عن الغزوات في الشعر العربي القديم عند حسان بن ثابت .

ويقارن المؤلف أحيانا بين ما قاله حسان وما قاله فيما بعد شعراء عرب أو فرس (البارودي والفردوسي) .

وإلى جانب الحديث عن حسان يتحدث المؤلف عن شعر كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة في كل غزوة من الغزوات،

وفي الفصل الثاني يتحدث عن الغزوات في الشعر العربي الحديث، فيستعرض قصيدة محمود سامي البارودي (كشف الغمة في مدح سيد الأمة)، وقصيدتين لأحمد شوقي (الهمزية والميمية) . ويقارن بين شوقي وبين الشاعر التركي (سليمان جلبي) في قصيدته الطويلة (وسيلة النجاة)، وتحدث بعد ذلك عن تناول (أحمد محرم) لغزوات الرسول ﷺ في «ديوان مجد الإسلام» ويقارن بين هذه الملحمة لمحرم وبين ملحمة الفردوسي التي ملأها ناظمها بالأساطير في حين أن ملحمة محرم لم تتجاوز حقائق التاريخ .

وفي الباب الثاني من كتابه تناول الغزوات في الشعر التركي القديم ثم الحديث، مكتفيا بالحديث عن الشاعر التركي «يازجي أوغلو محمد» المتوفى في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وهو صاحب قصيدة (المحمدية) ذات الشهرة عند الأتراك، ويقارن بين ما قاله يازجي في مدح علي رضي الله عنه ودوره في غزوة خيبر وبين ما قاله (بولس سلامة) في ذلك .

ثم يتحدث عن الغزوات في الشعر التركي الحديث عند الشاعر التركي «نجيب فاضل» في ديوانه (السلام) التي نظم بعضها في سجنه، وهو يتحدث فيها عن سيرة الرسول ﷺ من عام الفيل حتى حجة الوداع، ثم تناول شاعرين آخرين هما سزائي قراقوج، ومصطفى مياس أوغلو.

وأما الباب الأخير فقد خصه للحديث عن غزوات الرسول ﷺ في الشعر الأوردي القديم والحديث، مختصرا الكلام عن الشعر القديم في أربع صفحات فقط خالطا الحديث عن الشعر الأوردي بالحديث عن الشعر الفارسي، مكتفيا بذكر شاعرين أورديين الأول «شيدا» وله مثنوي «مثل الرجز في الشعر العربي» بعنوان (إعجاز أحمدي)، والثاني «محمد باقر آكاه» وله مثنوي بعنوان «هشت بهشت» . وهما يتحدثان عن المعجزات وعن الغزوات، ولم يذكر المؤلف شيئا من أشعارهما لأنه لم يطلع على كتابيهما !!

ثم يتحدث عن الغزوات في الشعر الأوردي الحديث مشيرا إلى كثرة الشعر الأوردي الحديث الذي يتناول الغزوات، ويفصل القول في شاعرين معاصرين، أولهما «حفيظ الله جالندري» المولود عام ١٩٠٠ م، فقد أصدر منظومته (شاهنامة إسلام)، ونظم آلاف الأبيات في أربعة مجلدات على مدى عشرين عاما .

وثانيهما هو الشاعر «منير علي جعفري» الذي قدم منظومته (تاريخ الإسلام)، ويغلب عليها السرد التاريخي بعيدا عن العبارات المتأنقة والخيال المحلق، مقتصرا على ثلاث غزوات .

والكاتب لم يتحدث عن هذه الغزوات في الشعر الفارسي وجودا أو عدما ولا في شعر الشعوب الإسلامية الأخرى في آسيا وإفريقيا . ■

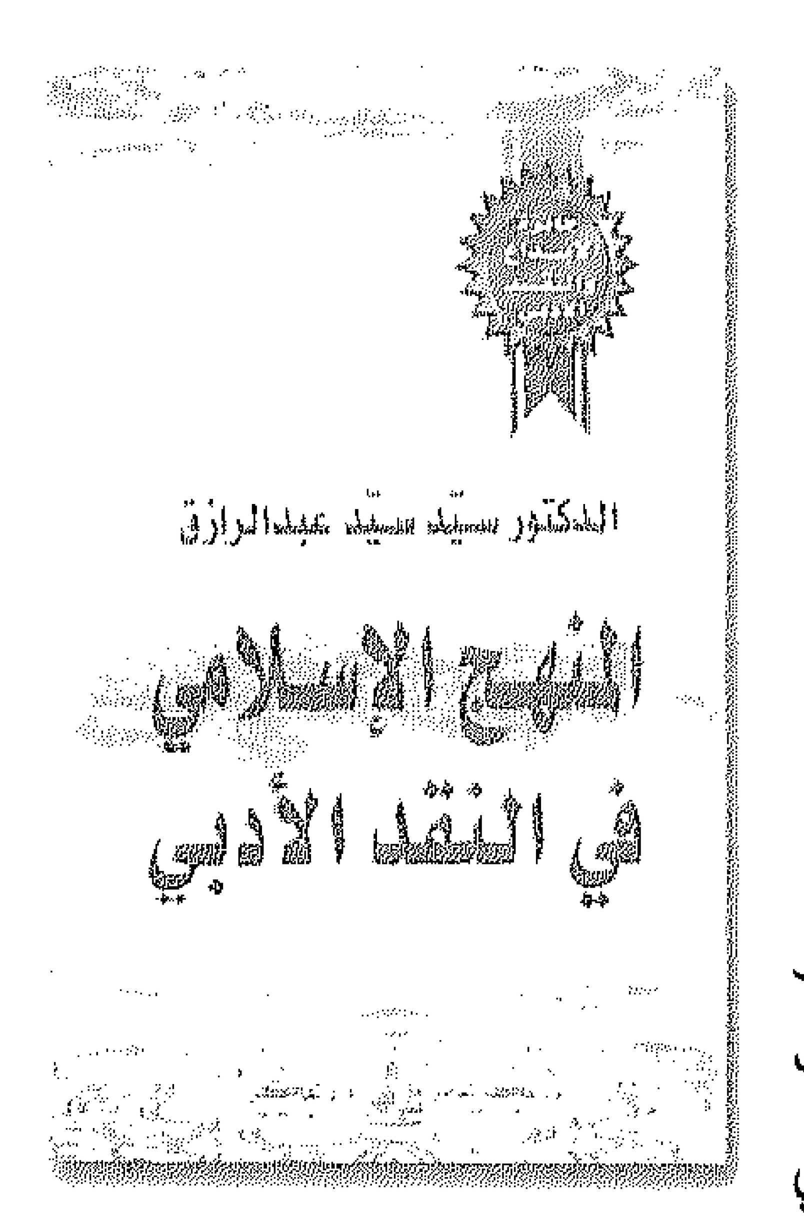
اسم الكتاب : المنهج الإسلامي في النقد الأدبي

المؤلف : د . سيد عبدالرازق

الناشر : دار الفكر - دمشق

الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

عرض : محمد عبدالقادر الشواف



لقد كان للدور الرائد لعدد من النقاد المسلمين أثر كبير في تأصيل المنهج الإسلامي في النقد، كما أن رابطة الأدب الإسلامي العالمية أعطت دفعة كبيرة لازدهار الأدب والنقد، وساعدت في طرح صيغة نقدية تغني أدباءنا ونقادنا عن الحاجة إلى نظريات ومناهج النقد الغربي البعيد عن روح اللغة، والمتناقض مع ظروفنا التاريخية والاجتماعية والحضارية .

حاول المؤلف - في هذا الكتاب - توضيح الموقف الإسلامي من التراث وحدود التعامل معه، ودواعيه ومنهجيته، وأبعاده في محيطه الإسلامي والجاهلي والمادي عبر العصور البشرية المختلفة .

فقد ناقش المؤلف قضية التعامل مع التراث من خلال ثلاثة محاور:

١ - التراث الإسلامي . ٢ - التراث الجاهلي .

٣ - التراث المادي .

وبين المؤلف أهمية التراث الإسلامي وخطورة المساس بالكتاب والسنة الصحيحة، فكلاهما معصوم لا بد من احترامه، أما المنجزات البشرية الحضارية والثقافية فإنها قابلة للانتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة .

كما وقف عند التعامل مع التراث الأدبي ونبه إلى الظواهر التراثية على مستوى النقد والإبداع، حيث عمل بعض النقاد على تفسير الأدب والتاريخ الإسلامي من خلالها مستغلين في ذلك (الإيديولوجيات) الغربية، وأقوال المستشرقين التي تتوافق مع هذه النظرة كما فعل أدونيس في (الثابت والمتحول).

وأشار المؤلف إلى بعض المزالق النقدية المتعلقة بدراسة نصوص القرآن والسنة وأهمها : التسليم بأن القرآن الكريم والحديث الشريف نماذج أدبية، ودراستهما وفق هذا المنظور، وإسقاط المصطلحات الأدبية مثل العاطفة والتجربة عليها، وهي مصطلحات تجافي قداسة النص .

موقف الإسلام من الشعر :

وبين المؤلف العلاقة بين تراثنا الأدبي والمرجعية الإسلامية، وتبنى فكرة أن تتولى لجنة خاصة جرد أكبر قدر ممكن من الأعمال الشعرية عبر تاريخنا الأدبي على ضوء معايير نقدية إسلامية محددة، وأشار إلى أن كتابة تاريخ الأدب العربي من منظور إسلامي يجب أن تكون مبنية على أساس من الرؤية الشاملة والاستيعاب الكامل للتراث العربي .

كما توقف عند التراث الجاهلي وبين أهميته في الأدب، وإمكانية الاستفادة منه فيما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية .

التراث المادي :

يقصد المؤلف بالتراث المادي سائر تخصصات التجربة البشرية الناتجة عن تفاعلات الإنسان مع واقعه الشامل ومعايشته له في الحضارات المادية قديما وحديثا .

ولا يرى المؤلف فرقا كبيرا بين المادية والجاهلية، بل إن التراث المادي أكثر بعدا وتناقضا مع الإسلامية في أصوله وكلياته وتعبيراته العلمية والفكرية والجمالية، وأكد على الحذر في التعامل مع هذا التراث المادي لأنه ركام ضخم من خبائث الغرب وجرائم المدنية المادية المعاصرة وأمراضها .

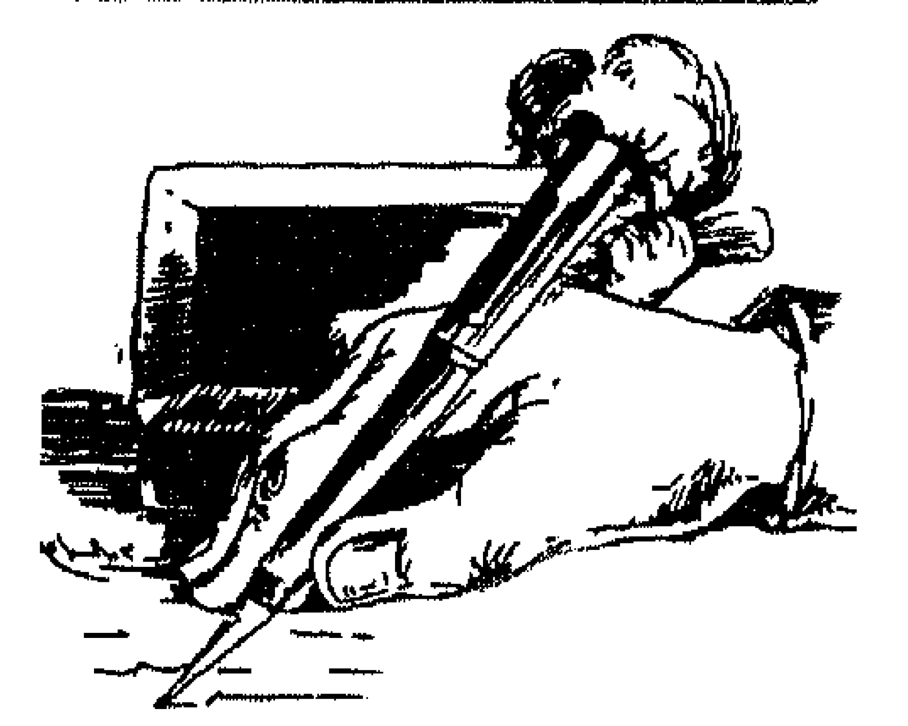
ويضع المؤلف ضوابط التعامل مع الآداب الوافدة ويقدم دراسة نقدية للمذاهب الغربية، ويختم بإضاءات تفيد في ميدان الدراسة النقدية، أهمها :

١ - أن تنبثق الأدوات المنهجية من محيط المنهج الإسلامي بأصوله وغاياته ومقتضياته المعرفية والجمالية، وخصوصيات البناء الجمالي في النص موضع المقارنة .

٢ - مراعاة الخصوصيات الإسلامية من خلال هضم الوافد، وصياغته صياغة جديدة توافقا مع المنهج الإسلامي .

والمؤلف في هذا الكتاب قد أثار عدة قضايا كانت محل اختلاف من النقاد المعاصرين، وربما يلقى معارضة في بعض ما ذهب إليه من فريق من النقاد، لأنه كان جريئا في طرح بعض المواضيع النقدية في قضية التراث والتعامل مع الآداب الغربية .

والكتاب إضافة مباركة - بإذن الله- لمكتبة الأدب الإسلامي، جدير بالقراءة والتأمل، وفيه مجال رحب لتجدد الحوار . ■



قراءة في بريد "الأقلام الواعدة"

إشراف: د. أحمد السعدني

*** محمد حمادو أحمد - مكة المكرمة**

قصائدك الأربع « نور الله » و« الأحداث » و يا سيد السادات يا قدسنا » و تحية إلى المجلة»، تتقاسمها عدة ملاحظات فنية :

١- الخطأ في وزن الشعر.

٢- الصورة الشعرية مسطحة، ومحاولتك الوعظ أفسد فنية القصيدة لأنها أدخلتها في التقرير والمباشرة النثرية وخاصة في قصيدة « نور الله » .

٣ - الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية كثيرة بشكل واضح ونصيحتي لك أن تقرأ شعرا كثيرا، في كل عصور الشعر العربي حتى تستقيم موسيقى الشعر عندك - واقرأ كثيرا في كتب الأدب وفي غيره من الإنسانيات حتى تستقيم لغتك وكتابتك وتسلم من أخطاء النحو واللغة ، ولا تتسرع في الكتابة إلا بعد أن يكون لك رصيد من الشعر والثقافة .

*** المثقف الحر - مكة المكرمة**

حاجتك إلى القراءة المتعمقة والمتأنية كبيرة، فبادر بإثراء ثقافتك اللغوية والأدبية .

*** طارق شفيق حقي-** haqqi@ses-net.org

محاولتك « بدون تغطية » لأن تجعل منها قصة قصيرة محاولة طيبة، بيد أنه ينقصها القراءة المتأنية والمتعمقة في فن القصة القصيرة بخاصة، حتى تشحذ أدواتك الفنية، وتتمرس وتكتسب خبرة فنية تفيدك في الكتابة .

*** أحمد عدنان - فنلندة**

خاطرتك « الحياة خيوط » فكرتها طيبة، وأسلوبها لا بأس به، بيد أن بها بعض الأخطاء النحوية .

وأنا لا أتفق معك في رؤيتك أن الفطرة والموهبة هما كل شيء في نسج خيوط حياتنا سموا وتدنيا، رفعة وانخفاضا، بل إن العمل والخبرة والدراسة والجدارة والدأب والتعب والكد في العلم.. كل هذه الأفعال متشابكة هي التي تشكل خيوط الحياة وتميزها، فدعك من هذه النظرة البائسة، وابتهج للحياة بالحياة.

بدون تغطية

قطرات من المطر الصغير على الشباك أمامي تحرك قطرات من مشاعر صغيرة بداخلي أحاول أن أبحر إلى ما وراء الصغيرة، أرى يدا تمتد تمسح القطرات وكأنها تمزجها أغرق حينها في بحر من قطرات .

كانت لي يد تمسح عني صغير الهم وكبيره، ما أهمني الهم وما أهمني كبيره ولا صغيره، لكن كل ما أهمني أني أواجه الدرب وأنا وحيد، إني أمشي بدون تغطية كالفدائي ما يدري متى تقنصه الرصاصة، إني أمشي بدون تغطية.

حين جلس ذلك الفدائي قرب الشجرة فرح فرحا عارما .. أسند ظهره لساق الشجرة القوي، كانت النسمات تحرك مشاعره قبل أن تحرك أوراق الشجرة لكنه ما كان يدري أن وراء هذه النسمات ريحا عاتية قد تقتلع الشجرة قبل أن تقتلعه.

نظر في السماء.. ما أحس بذلك الغيم الثقيل القادم من البعيد لأنه ما اعتاد أن يزيد همه بالتفكير .. بالهموم ليس من زمان بعيد.. منذ أن بدأت تفيض زوادته بالهموم، تزود من الهموم قبل أن لا يبقى منها، وها هو قد تزود حتى الثمالة.

أخذت عيناه تفيضان بالدموع دون أن يشعر، كان يتعثر بحجارة الطريق، فقد الآن تركيزه، إنه يمشي بدون تغطية، يخشى رصاصة، إنه لا يخشى إلا أن يواجه قائده - ليس للفدائي من قائد - بلى .

هاهو ذا يحس أنه منبوذ في العراء، هل يجتبيه ربه؟! كان هذا الهم الأكبر الذي يقصم ظهره فتراه يمشي.. يتعثر بحجارة الطرق، كان خائفا والخوف أكثر المشاعر التي تزلزل أعماق الإنسان، ينظر إلى السماء.. ينزل رأسه يقول في نفسه: اعمل لنفسك لا تنتظر أن يغيرك الله، غير نفسك أولا.

* **أحمد حمدان الهلال - الرياض**

كلماتك (أنات حائرة) خواطر بحاجة إلى الكثير من الحس الإيماني الذي يؤوب بها إلى رياض الذاكرة الإسلامية بعيدا عن التيه والضياع التي لا تليق بالمسلم . انظر إلى الحياة بتفاؤل ، واكتب بتفاؤل أكبر .

* **حسين بن رشود العفنان - السعودية**

ما أعجب الإنسان!!

إن أعجب ما في الإنسان أنه يشيع كل يوم ميتا - يضرع له الأرض، ويحثو عليه التراب، فيبكيه حينا من الدهر - ثم لا يستظهر من كل ذلك معنى فنائه ولا يستشعر حقيقة زواله، كأن حب الحياة وطول الأمل بلد إحساسه وأخمد مشاعره فأضحى كالبهيمة في يد الجزار تحتز نبت الطريق وهي تساق إلى الموت .

ألا ما أعجب الإنسان يلهث وراء سراب الدنيا منازعا أهلها ومعاديا أحياءها يريد أن يحظى بأكبر قدر من سرابها حتى إذا أقعده الموت علم أن سعيه كان سرابا .!

والأدهى من ذلك والأمر أنه لا يدع هذه الحقيقة تلج ذهنه إلا أطلق عليها وحش النسيان وعرضها للضياع ..! كأنه يريد إبعاد الموت وإرجاء الفناء والتحرر من صفات الموتى .!

ولكن ... هيهات ... فالموت ملاقيه ... ولو كان في برج مشيد، ونفسه ذائقة الموت ولو عاش ألف سنة.

ازداد الحزن في داخله.. إنه يمشي بدون تغطية، وجاء صوت زلزل كل شكوكه وهمومه وأحزانه ومن قبلها تردده أن الفدائي ليس بحاجة إلى تغطية . صاح: بلى ، يا رب إني إنسان هذا العصر أمشي وحيدا، ضائعا، منكسرا، مشربة ذاكرتي بلون الدماء. إن الطغيان قد وصل حده وأنت الأعلى، القنابل تفني شعوبا، وسينتهي عمر كل سكان الأرض إن ظلوا يستجدون معجزة السماء .

إنك أنت الفدائي، لقم روحك، وانظر كيف تتطاير أحزانك ومخاوفك، كيف تجيش ألف جيش من عزم وقوة ؟!

واعمل فإنهم يعملون، عند ذلك علم الفدائي أن هنالك من يغطيه، وما عاد يحني ظهره، وما عاد يخاف أن تقنصه الرصاصة .

طارق شفيق حقي

الحياة خيوط

هذه الخيوط التي نغزلها من الكتان أو الصوف أو الحرير أو النايلون وندرعها وقاية لأجسادنا إنما هي جزء من حياتنا.

وهذه الخيوط التي تنسجها الطبيعة لحما وعظما من غذائنا ودمائنا إنما هي جزء من حياتنا أيضا .

وهذه الخيوط التي لا ترى وتبعثها العواطف رسل معرفة وتعاون وحب، أو أبالسة نكران وتخالف وبغض إنما هي جزء من حياتنا .

والخيوط أيا كان نوعها تكون رخوة رهوة أو شديدة قاسية، وتكون مفتولة مبرمة، أو مهلهلة منقوضة، وتكون خشنة مفككة أو ناعمة متماسكة، وتكون متآلفة منسجمة أو مختلفة متنافرة .

وهي مع كل هذه الصفات سبب من أسباب الهناء أو الشقاوة، وعلة من علل اليسر أو العسر وباعث من بواعث الرضا أو الغضب ودافع من دوافع الحب أو البغض.

وإذا كانت هذه الخيوط - وبعضها أوهى من خيوط العنكبوت - هي جماع حياتنا لحما وعظما . شعرا وثوبا، ميلا وعاطفة، فما هو نوع الخيوط المفضلة والناجحة في هذه الحياة ؟ إن التجارب دلتنا على أن أقدرنا على الحياة وأحقنا بالنصر وأقربنا من المنى الحقة إنما هو غازل الخيوط الناعمة اللطيفة، لا القوية المتينة، ذلك لأنه يحسن بخيطه الناعم من المرور في أضيق المسالك . ومن الدخول إلى أبعد الأعماق فتدنو منه النفوس وتنفتح أمامه الصدور . على عكس ذلك الذي غزل خيطا وثيقا قويا محكما فاعتد بنفسه ووقف إلى زمرة الثقلاء والمتكبرين... الشامخين بأنوفهم، الضاربين بحوافرهم صخر الأرض، والواخزين بمهاميزهم بطون الخيل.

ولكن كيف السبيل إلى نسج ذلك النوع من الخيوط المفضلة الرابحة ؟ هنا تضعف الحيلة، ويبطل النصح ... لأن الفطرة والموهبة هما كل شيء في هذا الموضوع، وليس للبيئة وجو الدراسة أو المران إلا أثر ضعيف يزيد في النعومة، ولكنه لا يخلقها .. ويزيد في القدرة على النجاح وبلوغ الأهداف ولكنه لا يحققها، ويزيد في الجاذبية ولكنه لا يوجدها .

إن منازل بعضهم من بعض قربا أو بعدا، تآلفا أو تنافرا، تعاونا أو تخالفا، تحابا أو تباغضا ... مرتبط إلى حد بعيد بنوع الخيوط التي يغزلونها، وهنا يستطيع المتأمل أن يدرك السر الغامض الذي يجعل من شخص ما زعيم أمة أو رئيس شعب، كما يستطيع أن يدرك السر الغامض نفسه الذي يجعل من آخر شخصا منبوذا مدحورا، يردد مع الغزالي الذي غزل غزلا وثيقا قويا لم يقبله عصره، فمال إلى مغزله فكسره :

غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد ... لغزلي نساجا .. فكسرت مغزلي

أحمد عدنان

إعداد: شمس الدين درمش

ندوة دولية عن الشيخ أبي الحسن الندوي

في الفترة ٢٠-٢١ صفر ١٤٢٥هـ
الموافق ١٠-١١ نيسان / أبريل ٢٠٠٤م



باكستان - إسلام آباد - د. محمود الحسن عارف
ترجمة : عابد القريشي

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في باكستان ندوة دولية عن سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي (رحمه الله)، وذلك بالتعاون مع جامعة العلامة محمد إقبال المفتوحة، والجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد.

وقد حضر الندوة وفود من جنوب إفريقيا، وإيران، كما شارك كل من رئيس الرابطة د. عبدالقدوس أبو صالح، والشيخ محمد الرابع الندوي نائب رئيس الرابطة، رئيس مكتب شبه القارة الهندية بكلمة مكتوبة ألقيت بالنيابة عنهما.

وبذل كل من د. سيد ألطاف حسين رئيس جامعة محمد إقبال المفتوحة، و د. محمود أحمد الغازي نائب رئيس الجامعة الإسلامية العالمية جهودا مشكورة في إنجاح هذه الندوة. وعقدت الندوة في خمس جلسات صباحية ومسائية كما يلي :

جلسات اليوم الأول في
القاعة الرئيسية للعلامة محمد إقبال المفتوحة

بدأت **الجلسة الأولى** بآيات من الذكر الحكيم تلاها د.محمد طاهر (أستاذ قسم الدراسات الإسلامية سابقا في الكلية الحكومية بفيصل آباد ومدير تحرير نشرة «أخبار الرابطة») ثم قدم د . جنيد الندوي (أستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد) مديح النبي ﷺ.

وكان ضيوف الشرف لهذه الجلسة :

- د. سلمان الندوي.
- الشيخ الحاج نذير أحمد.
- الشيخ سميع الحق (مدير مجلة «الحق» ومدير دار العلوم الحقانية).
- د. سيد ألطاف حسين (رئيس جامعة العلامة محمد إقبال المفتوحة).

وتولى إدارة الجلسة د. محمد ضياء الحق (رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة العلامة إقبال المفتوحة)، والذي قال : إن جامعة العلامة إقبال المفتوحة تعتز وتفتخر بعقد هذه الندوة عن الشيخ الندوي في رحابها.

ثم ألقى الشيخ الحافظ فضل الرحيم (رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان) كلمة الاستقبال والترحيب، وأسدى الشكر خصوصا لسعادة حاكم بنجاب اللواء متقاعد خالد مقبول والذي ترأس هذه الجلسة.

وقال الشيخ فضل الرحيم : إن الشيخ أبا الحسن الندوي امتد عطاؤه العلمي والأدبي إلى أكثر من نصف

قرن، وكان شخصية مثالية للعاملين في مجال الأدب والدراسات الإسلامية. وقد قدم في مجال الأدب ما لا نظير له في العصر الراهن.

ثم قدم د. ظهور أحمد أظهر كلمة رئيس الرابطة وترجمها إلى الأوردية.

وقدم د. محمود الحسن عارف كلمة الشيخ محمد الرابع الندوي.

وشارك في إلقاء الكلمات كل من د. سيد ألطاف حسين، ود. سلمان الندوي (أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة دربن، جنوب إفريقيا).

ثم أشاد حاكم بنجاب في كلمته بما بذله الشيخ الندوي من الخدمات العلمية والأدبية، وقال إنني طالعت كتاب سعادته «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» باللغة الأوردية. هذا الكتاب الذي فتح أبعادا فكرية جديدة.

الجلسة الثانية:

ترأس الجلسة الثانية د. ألطاف حسين وأدارها د.زاهد أشرف.

وقدمت البحوث التالية :

قدم الحافظ زاهد علي ملك بحثه حول كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» واستعرضه علميا وفكريا وقال : إن هذا الكتاب هو الذي عرف الشيخ الندوي في العالم العربي.

ثم قدم د . سعيد الرحمن (قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بهاء الدين زكريا في ملتان) مقالا عن ترجمة الندوي لحياة الشيخ عبدالقادر رائيبوري.

ثم ألقى الشيخ محمد يوسف خان (أستاذ الحديث وعلومه بالجامعة الأشرفية بحثه «صفات دعاة المستقبل كما يقررها الشيخ الندوي».

ثم قدم د. شفقت الله رانا (الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بجامعة بهاء الدين زكريا في ملتان) منهج النحو والصرف المعد من قبل الشيخ الندوي. وقال: إن الشيخ الندوي يدعو إلى تغيير الأسلوب القديم في تدريس علوم النحو والصرف، ودراسة كتب أصول النحو والصرف في اللغة الأم.

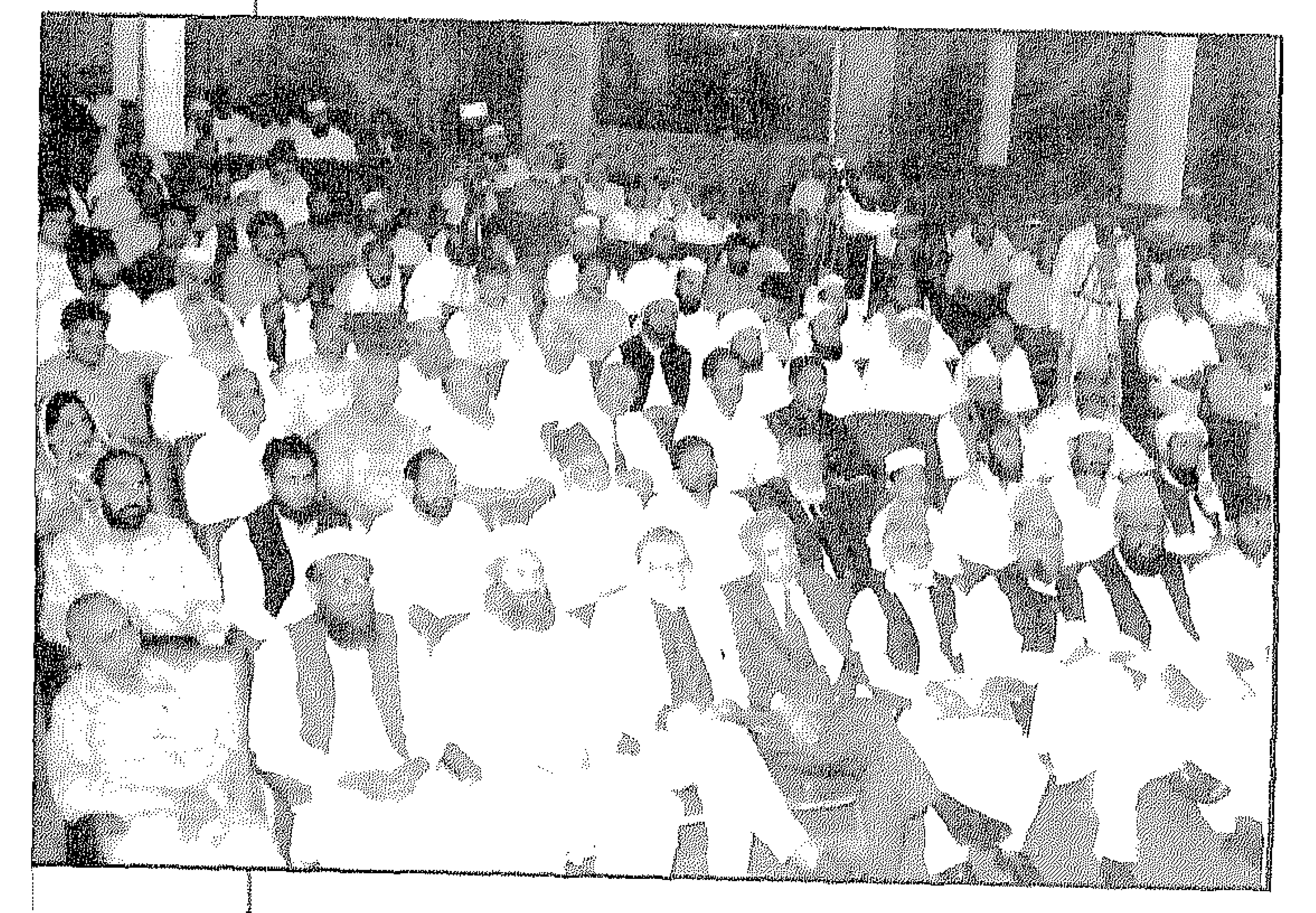
ثم قدم د. عبدالرؤوف ظفر (مدير كرسي السيرة النبوية في الجامعة الإسلامية في بهاولفور) بحثه بموضوع «الشيخ الندوي داعية إلى الله ومصلحا».

ثم قدم الشيخ الحافظ نجم الحق (نائب مدير جامعة خير في ملتان) بحثه بموضوع « الشيخ أبو الحسن الندوي خبيرا للتعليم» وقال : إن التعديلات التي قام بها الشيخ الندوي في مقررات ندوة العلماء أسفرت عن نتائج مرجوة. وهذا ما جعل الندوة يتخرج منها العلماء البارزون.

ثم قدم د. ظهور أحمد أظهر (رئيس تحرير مجلة «قافلة الأدب الإسلامي» لمحة عن كتاب الشيخ الندوي (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين).

الجلسة الثالثة :

ترأس هذه الجلسة د. ظهور أحمد أظهر وأدارها د.زاهد أشرف.



وأول من قدم بحثه في هذه الجلسة من الكلية الحكومية للتجارة في لاهور د. سرفراز خالد، وموضوعه «الشيخ الندوي والشباب المسلم».

ثم قدم د. نور الدين الجامي (رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة بهاء الدين زكريا في ملتان) بحثه بموضوع «مصاحبة أولي القلوب»، وقال: إن كتاب «مصاحبة أولي القلوب» للشيخ الندوي يشتمل على تعاليم المربي الجليل الشيخ محمد يعقوب المجددي، قسم الكتاب إلى قسمين. قسم يحوي ترجمة حياة المجددي، وقسم يشتمل على مواعظ المجددي والتي ألقاها في ثمان وعشرين جلسة.

ثم قدمت السيدة حفصة نسرين (مديرة دائرة المعارف الإسلامية) بحثها حول «الشيخ الندوي وباكستان»، وقالت: إن الشيخ الندوي رغم أنه كان يميل إلى الذين يخالفون استقلال باكستان عن الهند إلاّ أنه كان بعد إنشاء باكستان يحث المسلمين الساكنين في باكستان على القيام بواجبهم في ترقية بلادهم وتقدمها وتطويرها.

ثم ألقى د. أنور محمود خالد (رئيس فرع المكتب الإقليمي للرابطة في مدينة فيصل آباد) بحثه حول: «تراجم حياة الشخصيات معتمدا على كتاب الندوي « السرج القديمة » وأفاد بأن الشيخ ذكر اثنتين وأربعين شخصية في مجلدين في كتابه هذا وهذه المقالات هي خواطر الشيخ عنهم.

ثم قدم د. محمد صديق الشبلي (عميد كلية الدراسات الإسلامية والشرقية بجامعة العلامة إقبال المفتوحة بإسلام آباد) بحثه عن «الشيخ أبي الحسن الندوي ومعرفته عن إقبال»، وقال إن كتاب «روائع إقبال» للندوي أقبل عليه



العرب إقبالا شاملا، وكذلك نالت ترجمة هذا الكتاب إلى الأوردية والتي صدرت باسم «نقوش إقبال» إعجابا كبيرا من قبل الحلقات الأدبية والعلمية في شبه القارة الهندية والباكستانية.

ثم قدم د. محمود الحسن عارف (نائب رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان) بحثه عن «الشيخ الندوي كاتبا» وقال: كان الشيخ الندوي يملك أسلوبا خاصا لا يستطيع أحد تقليده، وسيبقى ما كتبه بأسلوبه البليغ الرائع ما بقيت اللغة الأوردية.

ثم قدم د. خالد ظفر الله الداؤدي (أستاذ قسم الدراسات الإسلامية بالكلية الحكومية في مدينة سمندري، منطقة فيصل آباد) بحثه حول «الحديث النبوي الشريف والشيخ الندوي» وقال: إن الصلة بين الشيخ والحديث النبوي الشريف كانت صلة وثيقة وطيدة عميقة.

ثم قدم د. محمد جنيد (رئيس قسم المواد الإلزامية في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد) بحثه عن «ترجمة حياة الشيخ الندوي والتعريف بمؤلفاته الأوردية» وقال : إن عدد كتب الشيخ الندوي باللغة الأوردية يبلغ إلى (١٨٧) كتابا بين الصغير والكبير، ولا يوجد قطر من أقطار العالم الإسلامي إلا وفيه مآثر الشيخ الندوي المكتوبة.

ثم قدم د. محمد عبدالشهيد النعماني (من جامعة كراتشي) بحثه بموضوع «الشيخ الندوي كما يراه زملاؤه ومعاصروه» فقال: ما من أحد من زملائه ومعاصريه إلا وقد أشاد بخدماته الجليلة في مجال الأدب والثقافة. وإن هناك نواحي عديدة من شخصية الشيخ الندوي ما زالت مجهولة عند عامة الناس مثل حبه للرياضة البدنية وعنايته بها وممارستها.

ثم قدم د. محمد أكرم رانا (من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بهاء الدين زكريا بملتان) بحثه عن «الميول الفكرية للشيخ الندوي».

جلسات اليوم الثاني في القاعة الرئيسية
لمركز البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية
الجلسة الرابعة:

ترأس الجلسة القاضي (المتقاعد) خليل الرحمن (رئيس الجامعة الإسلامية العالمية. وتولى إدارتها د.محمود الحسن عارف.

وقدم د. سليم طارق (رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية في بهاولفور) بحثه بموضوع «المقارنة الفكرية بين الشيخ الندوي ومعاصريه»، وقال: إن الشيخ أبا الأعلى المودودي على رأس معاصريه أسس ونظم جماعة سياسية، بينما الشيخ الندوي رتب نظاما على أساس شخصي لتزكية الرجال وإصلاحهم.

ثم قدم د. محمد عبدالله (أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة بنجاب، لاهور)، بحثه بموضوع «العالم العربي وما قدمه الشيخ الندوي من الأفكار» وقال إن الشيخ الندوي وحيد عصره من شبه القارة الهندية والباكستانية الذي خاطب العالم العربي. ونبهه على فتنة القومية والفتن الأخرى المحيطة به. وقال: كان الشيخ الندوي يتوقع من العالم العربي القيام بدوره في قيادة الأمم والشعوب المعاصرة.

ثم قدم د. همايون عباس (من جامعة الكلية الحكومية بلاهور) بحثه بموضوع «الشيخ الندوي مؤلف السيرة النبوية المتفرد».

ثم قدم د. ممتاز أحمد خان (من كديان بمنطقة قصور) بحثه بموضوع «الشيخ الندوي مترجما للحياة».

ثم قدم د. عبدالقدوس صهيب بحثه بموضوع «أصول ترجمة الحياة التي اختارها الشيخ أبو الحسن الندوي».

ثم قدم د. مسعود أحمد مجاهد (رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كلية الإخوان للعلوم في لاهور) بحثه باللغة العربية وقال: إن الشيخ الندوي أول من عرف العرب بشخصية إقبال.

ثم قدم الشيخ الحكيم محمود أحمد ظفر (مؤلف شهير من مدينة سيالكوت) بحثه بموضوع «الشيخ الندوي والرد على القاديانية» وقال: إن الشيخ الندوي كتب ردا على القاديانية بطلب من شيخه عبدالقادر رائيفوري. وأضاف قائلا: إن شاعر الشرق العلامة محمد إقبال أيضا كتب ردا على القاديانيين متأثرا بما كتبه المحدث الكبير الشيخ أنور الكشميري – رحمه الله –.

ثم قدم د. سفير أختر (من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد) بحثه بموضوع «في ضوء رسائل مفكر الإسلام».

ثم قدم د. الحافظ عبدالرحيم (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بهاء الدين زكريا بملتان) بحثه بموضوع «القراءة الراشدة دراسة وتحليل» وقال: إن هذا الكتاب يؤهل الطالب لقراءة اللغة العربية وفهمها.

وكانت كلمة الشيخ محمد الرابع الندوي كلمة رئيسية لهذه الجلسة، بعنوان «الشيخ الندوي معمار الأمة» قرأها د. زاهد أشرف (أمين المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان).

الجلسة الخامسة والأخيرة

ترأس هذه الجلسة الأستاذ محمد إعجاز الحق (الوزير الفيدرالي للشئون الدينية وشؤون الأقليات).

ثم ألقى د. سليم طارق (رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية) كلمته ، وقال: إن هذه الندوة ناجحة من جميع النواحي والأبعاد. وجمعت أصحاب العلم والمعرفة من الجامعات والمدارس الدينية والأهلية والكليات والجامعات الحكومية والمحاضرين فيها.

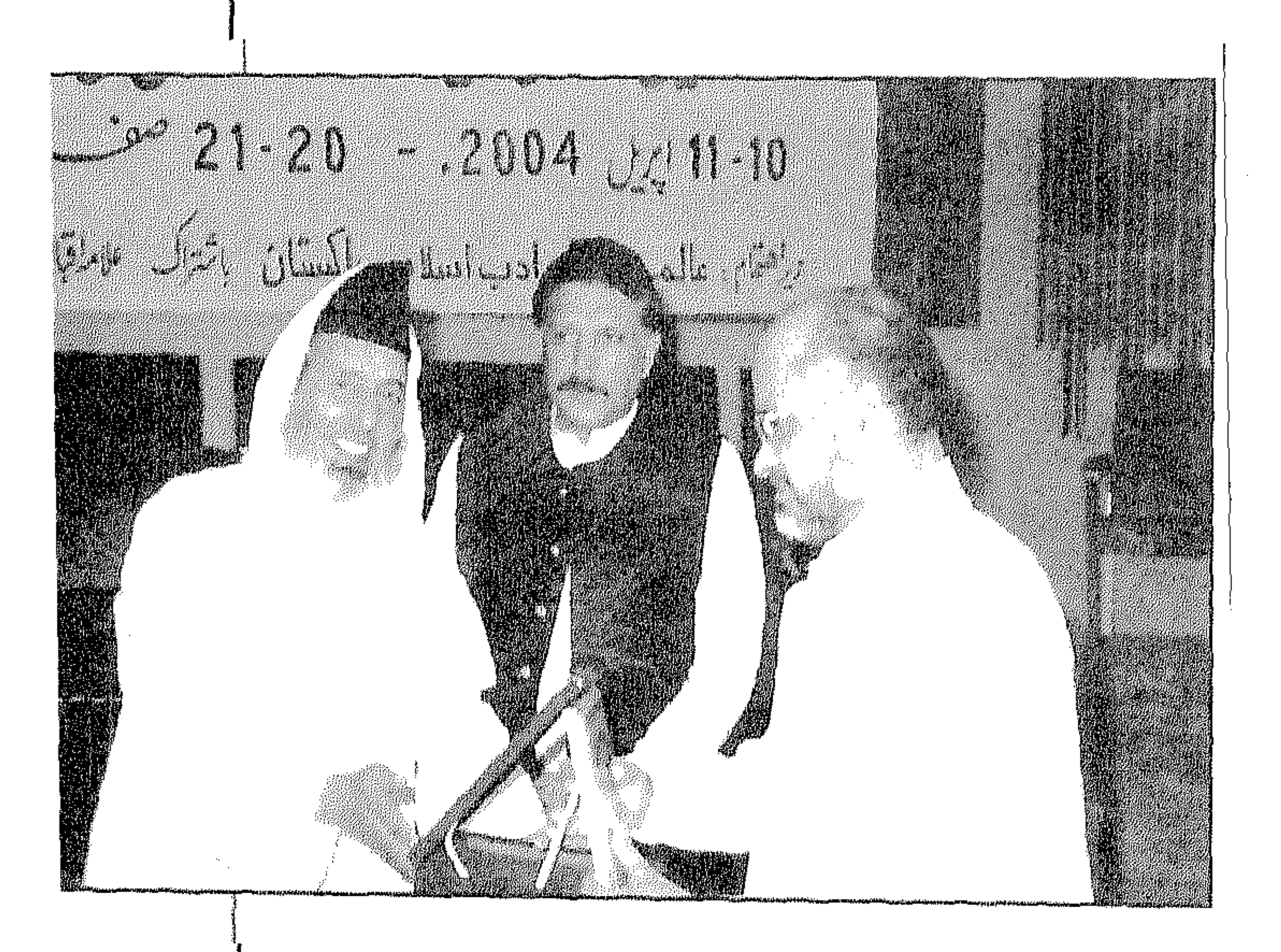
ثم ألقى الشيخ محمد قاسم ممثل جمهورية إيران الإسلامية كلمة عن الشيخ الندوي، وقدم إلى المشاركين خواطره عن الشيخ. وقال : إن مؤلفه الشهير «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» ترجم إلى اللغة الفارسية منذ زمن مبكر، وقال: إنه قام بترجمة كتاب الشيخ «نبي الرحمة» إلى اللغة الفارسية بنفس الاسم. كما قام بترجمة كتاب التفسير السياسي للإسلام.

ثم ألقى د. رياض مجيد (الشاعر الشهير) كلمته، ودعا إلى توسيع دائرة رابطة الأدب الإسلامي بين الأدباء المعاصرين.

التوصيات:

وانتهت الجلسة بقراءة توصيات الندوة ومنها :

- إنشاء مركز عالمي يقوم بترجمة كتب الشيخ الندوي إلى اللغات العالمية الحية.



- إنشاء كرسي للشيخ الندوي في الجامعات الباكستانية.
- العناية بالأدب الإسلامي باللغات المحلية في باكستان.
- ترجمة معاني القرآن الكريم وكتب السيرة إلى اللغات المحلية.

دروع تذكارية

ثم قدمت الدروع التذكارية بيد د . السيد ألطاف حسين (رئيس جامعة العلامة محمد إقبال المفتوحة) من قبل رابطة الأدب الإسلامي العالمية إلى كل من :

- الشيخ الحاج نذير أحمد (صاحب شركة نذير وشركاؤه)، و د. سلمان الندوي.

وقدمت جامعة العلامة محمد إقبال المفتوحة دروعاً إلى كل من : د. عبدالقدوس أبو صالح، والشيخ محمد الرابع الندوي، والشيخ الحافظ فضل الرحيم، ود.سلمان الندوي، والشيخ سميع الحق.

مكتب تركيا - إستانبول

* اجتمع رئيس الرابطة د. عبدالقدوس أبو صالح بأعضاء الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي للرابطة في تركيا، واطلع على أنشطة مكتب الرابطة، وبحث وسائل نشر الأدب الإسلامي وتنشيط الدعوة إليه في تركيا.

* أجرت القناة الخامسة في التلفزيون التركي حوارا مع د. عبدالقدوس أبو صالح حول الأدب الإسلامي تحدث فيه عن آفاق الأدب الإسلامي وضرورة الدعوة إليه . كما عقد مؤتمرا صحفيا حضره ممثلون لعدد من الصحف والمجلات التركية أجاب فيه عن أسئلة الصحفيين حول الأدب الإسلامي ورابطته العالمية والمكتب الإقليمي للرابطة في تركيا.

* ألقى الأستاذ علي نار رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في تركيا محاضرة حول الشاعر التركي الكبير نجيب فاضل وشعره الإسلامي، وذلك بقاعة المحاضرات في مقر وقف الأدب الإسلامي بإستانبول.

* وعقدت ندوة عن الشاعر نجيب فاضل بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لولادة الشاعر، وذلك في مقر رابطة الإعلاميين الأتراك بإستانبول، وشارك في الندوة ستة من الشعراء والأدباء من تلاميذ نجيب فاضل - رحمه الله - وهم:

- شاكر دجلة خان وتحدث عن الأدب الديواني الإسلامي.
- محمد أمين أوزتورك وتحدث عن أدب الأطفال الإسلامي.
- نورالدين آل بايراق وتحدث عن الأدب الشعبي.
- علوي آله جه قابطان وتحدث عن المسرح الإسلامي.
- علي حيدر حقصال وتحدث عن القصة والرواية في الأدب التركي الإسلامي.

وأدار الندوة الأستاذ علي نار.

وقد شهدت الندوة حضورا كبيرا نقلتها وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة.

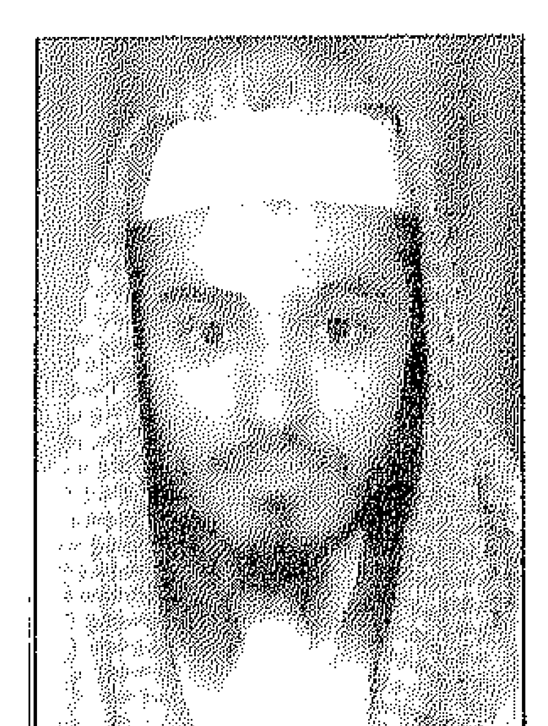
شاكر دجلة خان

* أسس المكتب الإقليمي للرابطة في تركيا (حلقة) للأدب الإسلامي في محافظة أرضروم التركية على البحر الأسود، وتشكلت الهيئة الإدارية من د. تورغوت قاره بك رئيسا، و د. محمد تورنك نائبا للرئيس، ود. نور الله كنج أمينا للسر.

* تعتزم مجلة الأدب الإسلامي التركية إصدار عدد خاص عن الأدب التركي الإسلامي تشمل آداب الشعوب الإسلامية التي تتحدث بالتركية من البحر الأدرياتيكي إلى الصين، وتمت مراسلة أكثر من خمسة وثلاثين أديبا وكاتبا وناقدا في الأدب التركي من أجل ذلك.

من أخبار أعضاء الرابطة

الخنين في إذاعة الرياض



د . ناصر الخنين

استضاف البرنامج الأسبوعي المباشر «أسئلة في اللغة والأدب» في حلقته السابعة والخمسين والتي أذيعت الساعة العاشرة من مساء الأربعاء ٣٠ / ٣ / ١٤٢٥ هـ، د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية اللغة العربية بالرياض ونائب رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

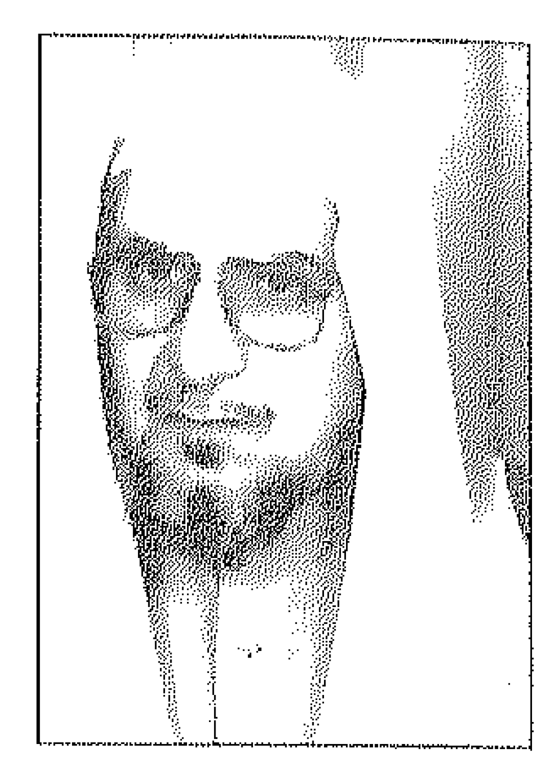
وقد أجاب الدكتور الخنين عن أسئلة المستمعين والمستمعات هاتفيا وبريديا عبر موجات إذاعة الرياض من خلال المحاور التالية:

البلاغة القرآنية، القضايا البلاغية والنقدية، الأدب الإسلامي.

وشارك في حقل المداخلات كل من : د. سعد أبو الرضا، د. وليد قصاب، د. محمد بن خالد الفاضل، الأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل.

البرنامج أعده وقدمه الدكتور عبدالله الحيدري، وأخرجه سعيد شوشة الثبيتي.

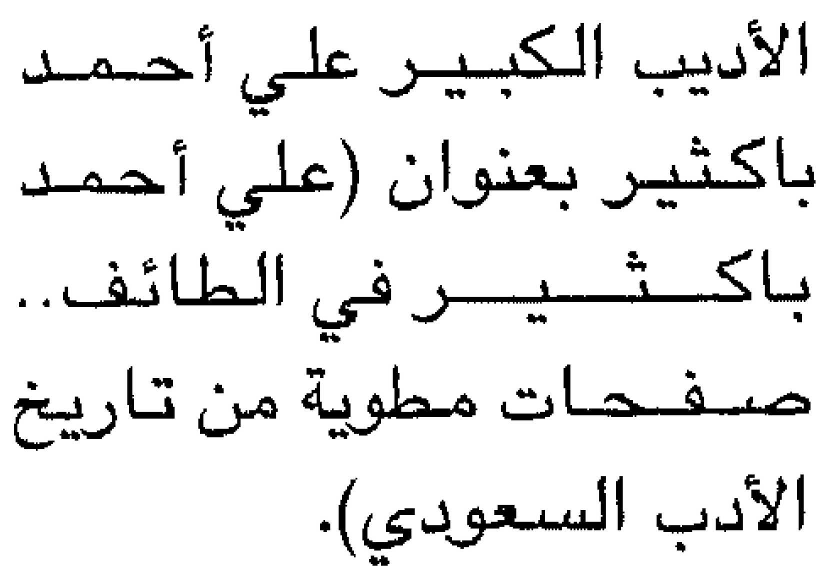
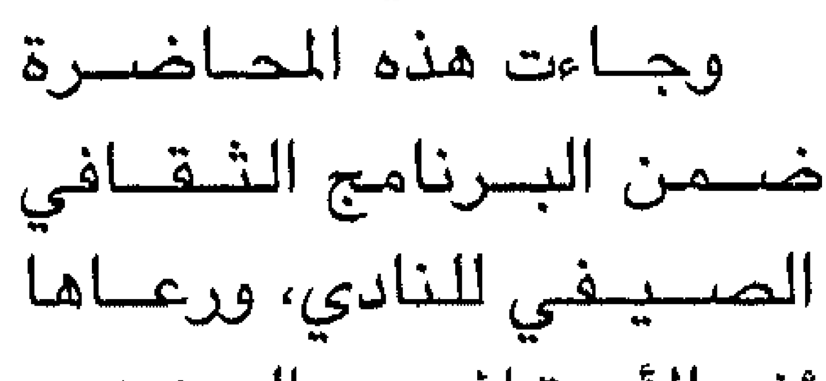
* ألقى الأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل محاضرة في خميسية (حمد الجاسر) الثقافية تحت عنوان : شيء من الذكريات عن التعليم في المملكة العربية السعودية، وذلك في ١ / ٤ / ١٤٢٥هـ.


الشيخ سعد المليص

* استقبل الشيخ سعد ابن عبدالله المليص رئيس النادي الأدبي بمنطقة الباحة الشاعر الدكتور خالد بن سعود الحليبي عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / فرع الأحساء، والأستاذ علي الزهراني عضو هيئة التدريس بتعليم المنطقة الشرقية، ودار البحث في شؤون الأدب والثقافة بحضور الشيخ عبدالرحمن الدهري والدكتور سعيد بن عطية أبو عالي.

باكثير في الطائف

* ألقى د. محمد أبو بكر حميد محاضرة عن الأديب الكبير علي أحمد باكثير بعنوان (علي أحمد باكثير في الطائف.. صفحات مطوية من تاريخ الأدب السعودي).



د محمد أبو بكر حميد

وجاءت هذه المحاضرة ضمن البرنامج الثقافي الصيفي للنادي، ورعاها معالي محافظ الطائف الأستاذ عبدالعزيز بن معمر.

وقد طوّف المحاضر في آفاق باكثير الأدبية في الشعر والمسرحية والرواية وريادته للاتجاه الإسلامي التأصيلي في الرواية التاريخية العربية.

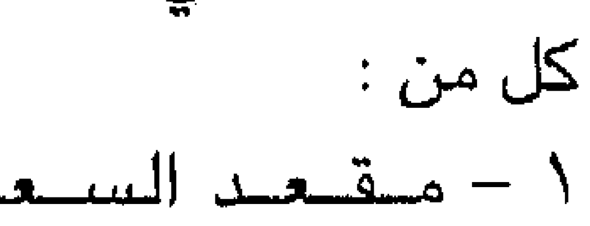
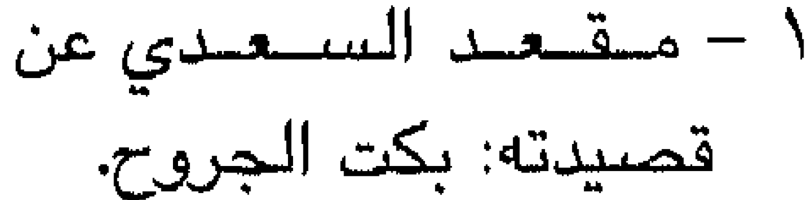
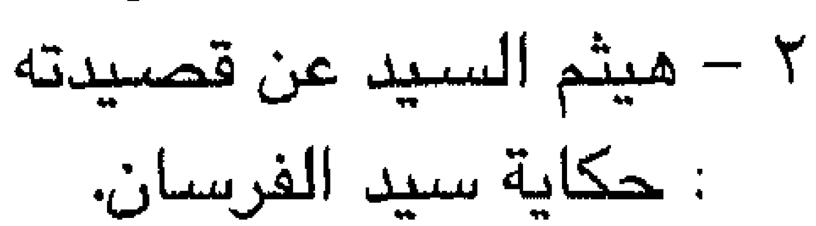
كما تحدث عن أثر مدينة الطائف في أدب باكثير، واستعرض صداقاته مع الأدباء السعوديين الرواد.

* فاز عبدالله علي السعد بالمركز الأول في مسابقة القصة القصيرة التي أجراها النادي الأدبي في المنطقة الشرقية بالسعودية. عبدالله السعد عضو جديد في الرابطة، ندعو له بدوام التقدم والنجاح.

مسابقة (الأدب الإسلامي) في صحيفة المحايد

د. العشماوي

شارك كل من د.عبدالرحمن العشماوي، ود.حسين علي محمد، و د. حبيب المطيري، ود.وليد قصاب في تحكيم الإبداعات الشعرية والقصصية المقدمة إلى مسابقة (المحايد) الأدبية.

وقد فاز في مجال الشعر كل من :

١ - مقعد السعدي عن قصيدته: بكت الجروح.

٢ - هيثم السيد عن قصيدته : حكاية سيد الفرسان.

٣ - عوض بن عبدالله القرني عن قصيدته : تمازج يعربي بالرغاة.


فائق منيف

وفاز في مجال القصة:

١- لبابة محمد زهير أبو صالح عن قصتها : فسيفساء.

٢ - هاشم بانقا الريح عن قصته : القرار.

٣ - أمل المطيري عن قصتها : الوقوف تحت الشمس.

ومجلة الأدب الإسلامي تهنئ الفائزين والفائزات وترجو لهم مستقبلا أدبيا حافلا بالعطاء، وللأستاذ فائق منيف المشرف على الصفحة الأدبية مزيدا من النجاح.

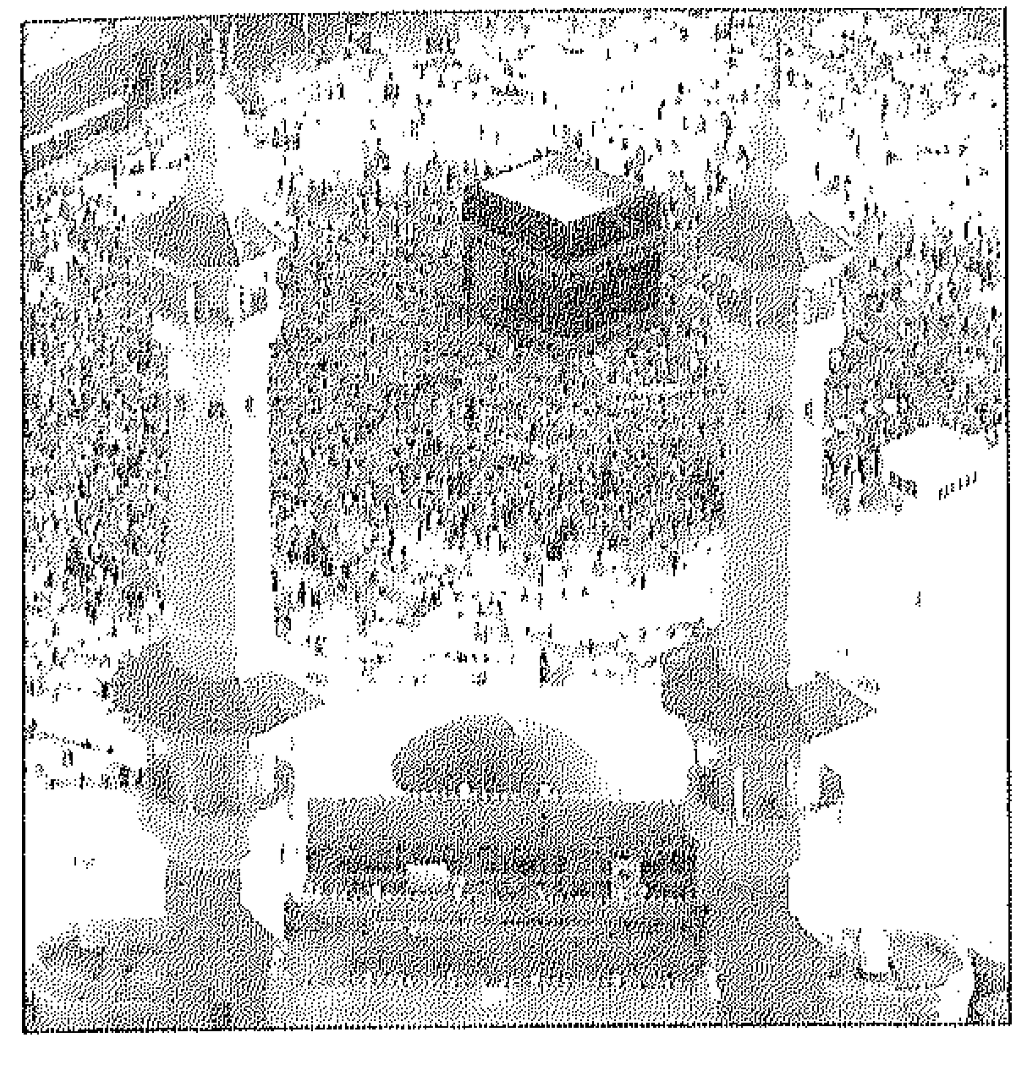
أخبار عامة

شعر انتفاضة الأقصى المبارك

* أصدر الأستاذ يوسف شحدة الكحلوت الجزء الأول من كتاب (شعر انتفاضة الأقصى المبارك).. مختارات شعرية. وهو بصدد إعداد الجزء الثاني من الكتاب. للراغبين في المشاركة. يتم إرسال القصائد على العنوان التالي :
ykahlout@mail.iugaza.edu

ندوة مكة المكرمة تاريخ وحضارة

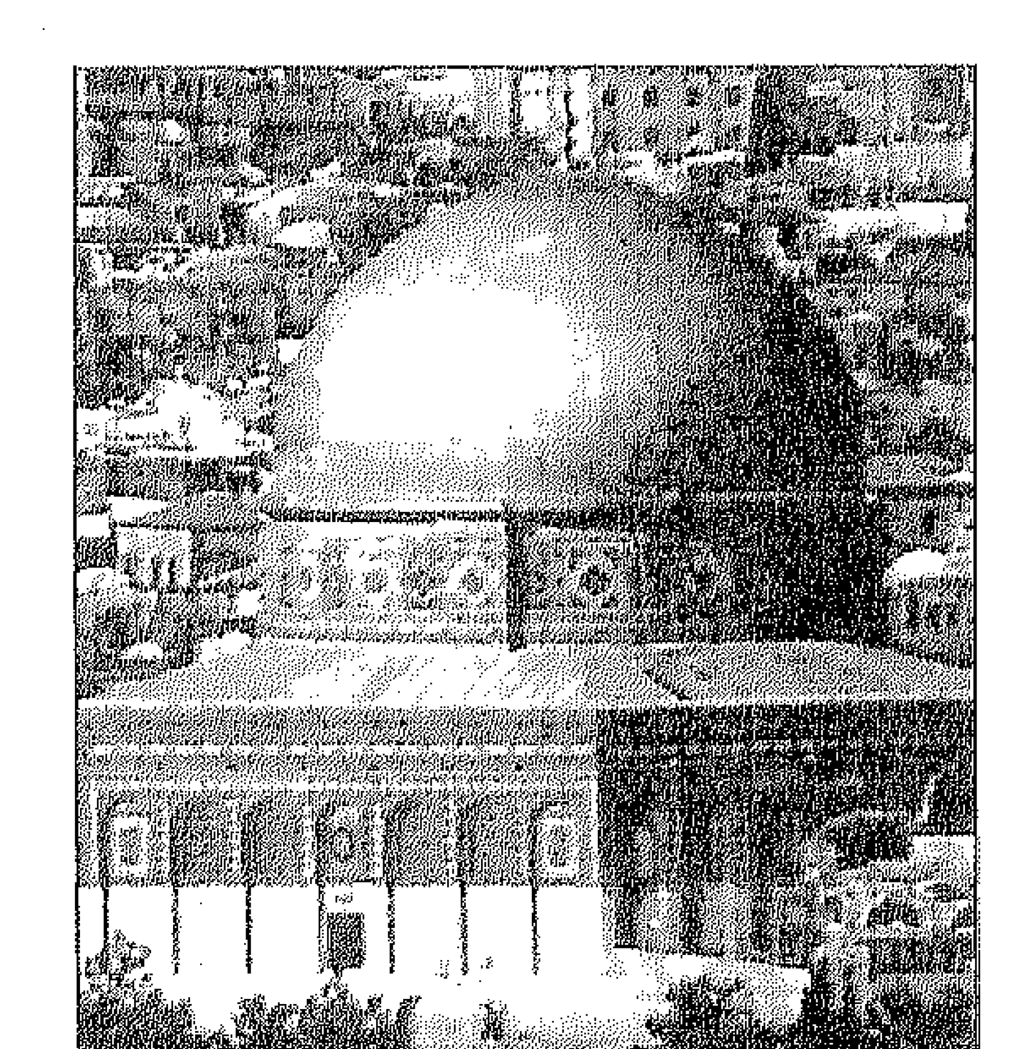
أقامت كلية التربية للبنات للأقسام الأدبية بالأحساء / السعودية ندوة خاصة عن مكة المكرمة في ٢٧ / ٢- ١ / ٣ / ١٤٢٥هـ. ضمن فعاليات «مكة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٥هـ» تضمنت الندوة أربعة محاور هي :



١ - مكة بين القرآن الكريم والفقه الإسلامي.
٢ - مكة المكرمة في اللغة والأدب.
٣ - جغرافية منطقة مكة المكرمة.
٤ - مكة المكرمة في الدراسات التاريخية.

واشتمل المحور الثقافي على الموضوعات التالية :

١ - القسم بمكة المكرمة في القرآن الكريم، د. محمد كمال.
٢ - مكة المكرمة في الشعر الأندلسي، د. بسيم عبدالعظيم.
٣- مكة المكرمة في أدب الرحلات والمذكرات السعودي، د. بسيم عبدالعظيم.



الأدب الفلسطيني

يعتزم المركز الفلسطيني للإعلام بافتتاح قسم (الأدب الفلسطيني)، وسيكون القسم الأدبي مفتوحا بفروعه الجديدة (الشعر والقصة والرواية والمسرح والخواطر النثرية والدراسات الأدبية التي تحمل قضية فلسطين في ضميرها ولغتها وبيانها.

ترسل المشاركات على العنوان:

sa_aladeeb@hotmail.com محمد عطية.

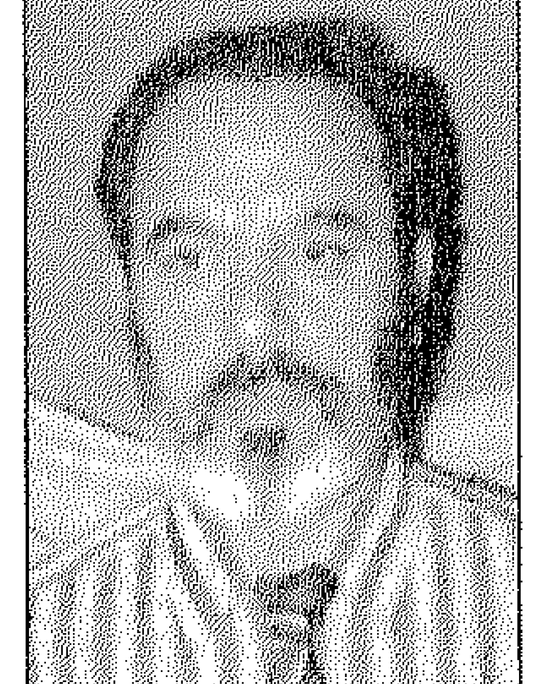
وعنوان الموقع هو :

www.palestine-info.info/arabic

البراق في العراق

بدأ الشاعر العراقي المعروف د. حكمت صالح بإصدار مجلة تعنى بالأدب الإسلامي باسم (البراق)، ويقول د . حكمت صالح عن أهداف المجلة:

* تهدف مجلة البراق إلى التعريف بالأدب الإسلامي بأطياف موشوره وأجناسه الأدبية (مولية عنايتها بالشكل فنيا وجماليا إلى جوار المضمون)، وتطمح إلى التحديث والتجديد فيما لا يتقاطع مع الثوابت الإيمانية والشرعية.. وتستضيف تأملاتها في التراث، تواصلا مع الأصالة، بغية التقريب بين الأجيال، وتعميم الكلمة المتوضئة بنور الإيمان، وتفعيل دورها في التحول والتغيير باتجاه الصحوة المباركة..


حكمت صالح

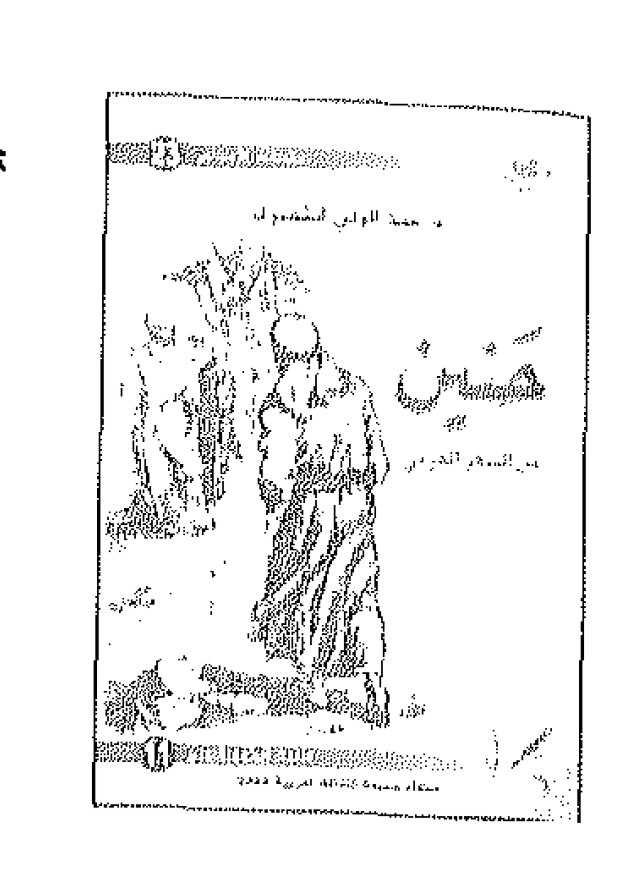
تطمح (البراق) إلى أن تكون منبرا ومنتدى للأدباء الإسلاميين، لا سيما أدباء (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) سعيا إلى تحقيق الوحدة من خلال التنوع.

تفتح (البراق) أبوابها للإفادة من الخبرات الأكاديمية.. وتفسح مجال المساهمة أمام الدارسين المتخصصين.. وتدعو إلى الترغيب بتدريس الأدب الإسلامي في أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية والإسلامية.

عنوان المراسلة:

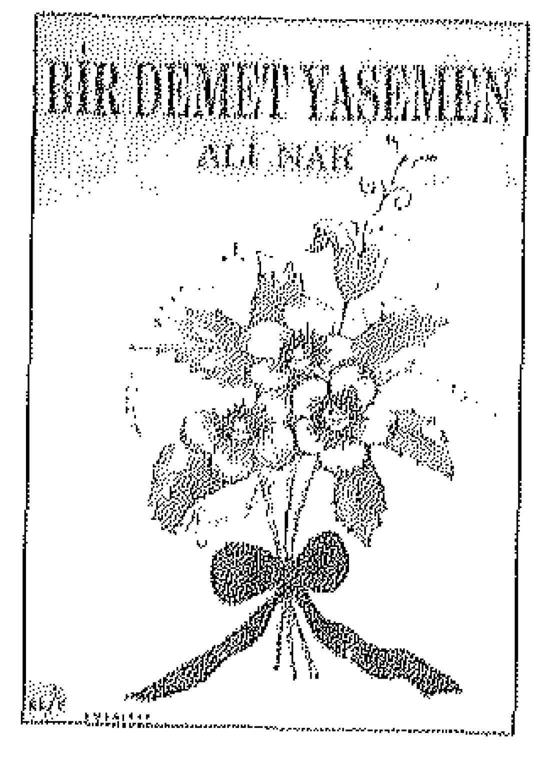
alburaq2003@yahoo.com

من إصدارات أعضاء الرابطة



* حنين من الشعر العربي ، مختارات شعرية من القديم والحديث في موضوع (الحنين) ، ضم ما يزيد على مئتي مقطوعة شعرية ، جمعها د.عبدالولي الشميري ، صدر عن مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون بصنعاء برقم (٢٣) ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

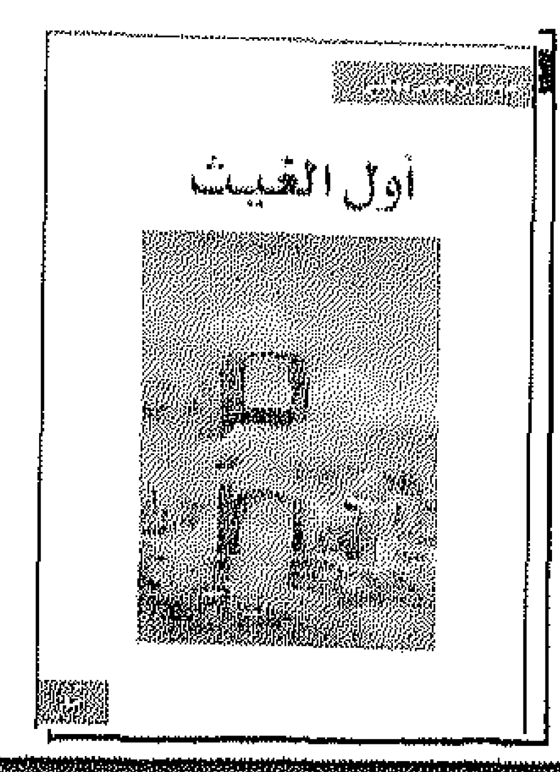
* الإسلام في مواجهة الاستئصال ، تأليف د.حلمي محمد القاعود ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة .



* باقة ياسمين - تأليف علي نار ، طبعة جديدة ومزيدة ، قصص للأطفال باللغة التركية ، دار (ELIF) للنشر - إستانبول - ٢٠٠٤م .

* نداء القلوب ، شعر وأناشيد للأطفال ، جودت علي أبو بكر ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، المفردات للنشر والتوزيع ، الرياض .

* النائمون تحت الرماد ، مجموعة قصصية ، تأليف نوف عبداللطيف الحزامي ط١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، نشر وهج الحياة للإعلام ، الرياض .



* أول الغيث ، شعر أحمد بن يحيى بهكلي ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، إصدار مركز البحوث التربوية في كلية المعلمين بجازان ، السعودية.

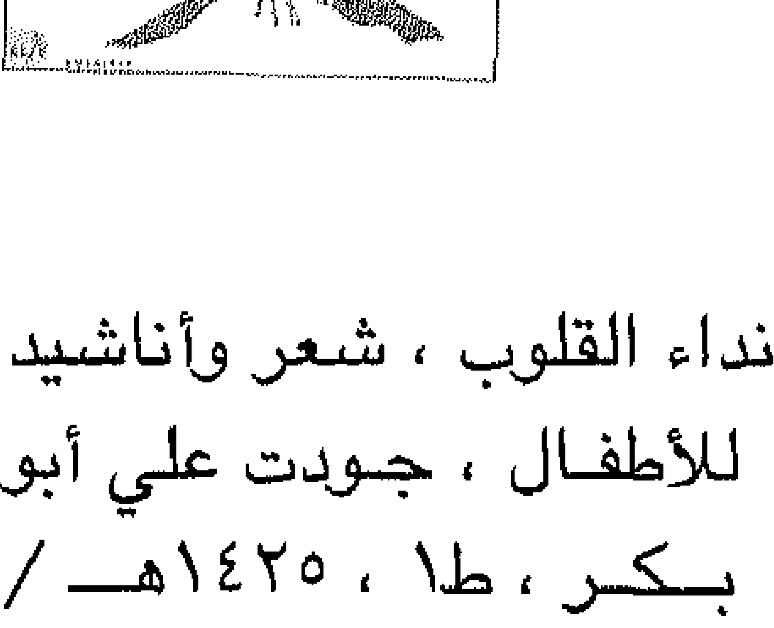
* الصوار ، شعر محمد السعدي ط١ ، ٢٠٠٤م، مؤسسة النخلة للكتاب ، وجدة ، المغرب .

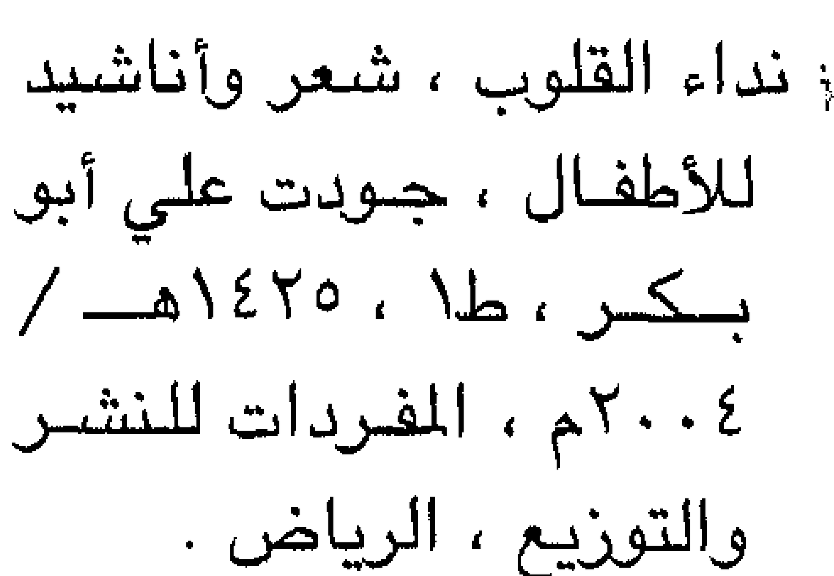
* من ألحان الزهور ، منظومات للأطفال ، شعر عقيل بن ناجي المسكين ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر ، دمشق .

* صدر للأستاذ محمد فتحي في القاهرة:

١- ضمائر في قفص الاتهام ، رواية ، عن مركز الحضارة العربية.

٢- محاكمة فرعون ، مسرحية ، عن دار الفتح للإعلام العربي .





* أهدى د . عثمان بن صالح الصوينع مجموعة كاملة من كتبه إلى مكتبة المجلة ، ومنها :

١- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، جزآن ، (٧٧٦) صفحة من القطع العادي مع الفهارس.

٢- دموع ناسك .

٣ - الكنز الذهبي.

٤ - امرأة تحت التجربة.

٥- مغامرات تافه حتى النهاية .

٦- عولمة الأخلاق .. سلوك عصري (روايات) .

٧ - أوهام في الطريق (مجموعة قصصية) .

٨ - الدرعية .. العاصمة التاريخية للدعوة السلفية.

٩- الرياض .. عاصمة الدولة السعودية . حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، الرياض .



* حسين مجيب المصري .. تجربة فريدة في الشعر العربي الحديث ، دراسة تحليلية نقدية، تأليف صلاح حسن رشيد ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، مكتبة الآداب ، القاهرة .



الفرحة الغامرة

أثناء مطالعتي مجلة المستقبل الإسلامي العدد ١١٨، ١١٩ شاهدت على الغلاف الخارجي إعلانا، عن مجلتكم « الأدب الإسلامي » فشعرت بالفرحة الغامرة .

شعرت بالفرحة لظهور مجلة تهتم بشكل واسع بالأدب الإسلامي وبما فيه من الإبداع والنقد والأصالة والتجديد وكذلك مسيرة الأدب الإسلامي ورابطته العالمية في عصر طغى فيه الأدب الجاهلي العلماني وسيطر فيه الغزو الفكري على المسلمين، وظهر فيه الكتاب والأدباء يتطاولون على الإسلام عقيدة وشريعة باسم حرية الفكر والأدب، ولم يصبح للأدب الإسلامي ذكر إلا في المناسبات الإسلامية، ولم تنفرد مجلة لهذا الغرض، وإذا بكم تنتبهون لهذا الغرض وتصدرون هذه المجلة التي سوف تهتم بهذا الجانب. فجزى الله القائمين على هذه المجلة خيرا .

حزام ناجي هادي السودي
اليمن

أتشوف لمطالعتها

لعله تقصير مني وإهمال ألا أتواصل مع مجلة الأدب الإسلامي التي لم أشاهدها من قبل وكنت أتشوف لمطالعتها حين أسمع عنها. وكم كنت أتمنى أن أكون أحد أعضاء الرابطة ، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . ولعلي إذا سمحت الظروف أستطيع أن أستأنف المسيرة التي بدأتها في رابطة الوعي الإسلامي منذ ما يقارب نصف القرن وأكون أحد الذين استثناهم البيان الإلهي من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون...

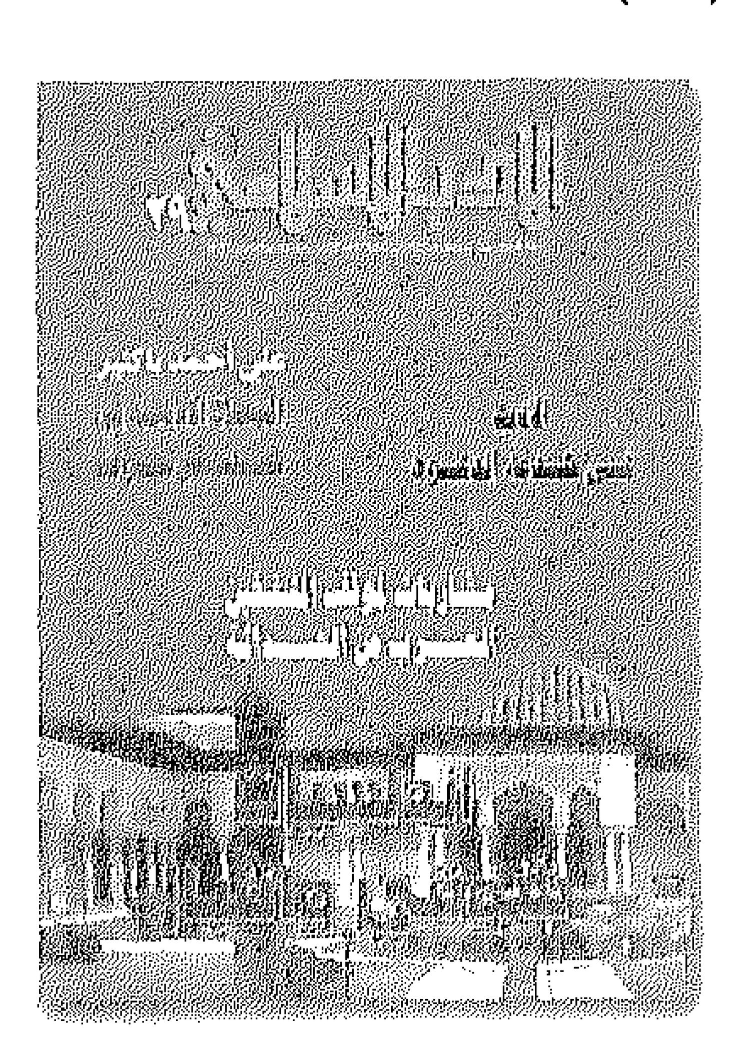
محمود محمد كلزي
سورية

الأدب في خدمة الدعوة

سعادة رئيس التحرير حفظه الله

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

قرأت بنهم شديد في العدد(٢٩) مقال الدكتور حامد أبو أحمد « الأدب في خدمة الدعوة » والتعقيب المثمر المثري الرصين عليه بقلمكم . وأعجبتني ملاحظاتكم الدقيقة وانتقاداتكم السديدة وتصويباتكم الصائبة التي كان لا بد منها لكيلا يقع السذج من القراء، أو الكتاب الذين لم تتوسع قراءتهم للأدب ومذاهبه والمناوئين لاتجاه الأدب الإسلامي عن « طريق غير مباشر » أو الداعين لتمييع تعريفه لإفقاده معياريته وهويته . وأحسنتم حينما قلتم :« ومن حق دعاة الأدب الإسلامي أن تأخذهم الحيرة من مواقف بعض النقاد، فهم إذا تركوا تحديد الأدب الإسلامي أو تعريفه، قيل لهم : ما هذا الأدب الذي تدعون إليه، وما حقيقته، وما تعريفه، وما حدوده ؟، وهم إن توصلوا إلى تعريف لهذا الأدب كما تم في الواقع وضمن تطور مدروس في سيرة هذا التعريف، قيل لهم : إن التحديد يؤدي إلى التضييق » .



وقد أكبرت مقال الدكتور محمد أبو بكر حميد بعنوان (صفحات مجهولة .. علي أحمد باكثير، النشأة الأدبية في حضرموت)، فقد مهد الطريق حقا إلى معرفة شيء كثير عن حياة الأديب العربي الإسلامي الكبير « علي أحمد باكثير » ظل مجهولا لدى كثيرين ولا سيما أمثالنا النائين عن العالم العربي.

وما كتبه الدكتور عبده زايد عن المجامع اللغوية المتزايد عددها، حيث أعلن عن إقامة مجمع لغوي في ليبيا، حق لا يجحد وصدق لا ينكر، ولكن من سيرغم من على أن يستجيب لدعوته إلى تنسيق جهود هذه المجامع، حتى يركز كل مجمع جهوده على جانب معين، فتتجلى جدواها وإفادتها ويعم نفعها ؟!.

نور عالم خليل الأميني
رئيس تحرير مجلة « الداعي» العربية
وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، يوبي، الهند

نوم الظالمين

بقلم: د . عبدالقدوس أبو صالح

نوم الظالمين رحمة!

هذا ما كانت جدتي تردده على مسمع من أمي، كلما رأتني أخلد إلى النوم مع أخواتي الصغيرات، وقد أعيانا التعب بعد أن ملأنا البيت ضجيجا وشغبا، وقلبنا أثاثه رأسا على عقب.

وكنت من الصغر بحيث لم أفهم تلك الحكمة المأثورة.. إلى أن دخلت المدرسة الابتدائية وابتليت بمعلم ظالم، كان اسمه يملؤني بالخوف والهلع.

ولم أكن وحدي من يخاف « رأفت أفندي » ويخشى سطوته .. بل كان الطلاب جميعا يتحاشون لقاءه في الطريق ، ويهربون من مرآه في أبهاء المدرسة.

وكنت تراه يوم مناوبته، يخطر مزهوا كالديك، وعيناه تقدحان شررا، وعصاه في يمناه، وهو ينتظر أن تسنح له الفرصة ليتناول بها طلاب المدرسة جميعا، إذا ترامى إليه صخبهم في إحدى الفسح، أو لم ترق له طريقة دخولهم إلى الفصول أو خروجهم منها.

وما أشد ما كنا نعانيه، نحن طلاب فصله، من ويلات.. ويكفي أننا لا نرفع أعيننا إلى السبورة إلا ونرى بجانبها أنواعا من العصي، علقت على الجدار، كما تعلق السيوف. وقد اتخذ منا معلمنا الكريم «حقل التجارب» لابتكاراته التي لا تنتهي في فنون العقاب.

وكانت للمعلم «تعرفة» حفظها الطلاب، ولم يكن يحيد عنها أبدا... فمن اضطر إلى الخروج من الفصل لأي سبب نال ثلاث ضربات بالعصا قبل أن يغادر فصله.. ومن قصر في واجب مدرسي أو في حفظ درس سابق رفعه «رأفت أفندي» من سالفيه إلى الأعلى، ثم تركه يهوي إلى الأرض مرة واحدة.. فإذا كثر عدد المقصرين، ولم يشأ أن يتعب نفسه في معاقبتهم فردا فردا، أمرهم بالوقوف صفا واحدا، وقد تماسكت أيديهم ثم يقبض بكفه على يد أقرب الطلاب إليه بينما يلمس بيده الأخرى مأخذا كهربائيا، مما يجعل الطلاب ينتفضون مذعورين وكأن بهم مس من الجنون.

ولعل أحدا من الطلاب لا يذكر أنه رأى «رأفت أفندي» إلا والعصا معه.. «فالطلاب عنده أنجاس مناكيد».. فإذا دخل الفصل أهوى بالعصا على أقرب منضدة أمام الباب، فتطير أفئدة الطلاب لهول المفاجأة، ويقفزون وقوفا، وهم يرعدون كالأرانب المذعورة..

أما الراحة القليلة التي كنا نتعلل بها، فهي في الدرس الذي يلي فسحة الغداء، إذ يأتي «رأفت أفندي» وقد كظه الطعام فيهوي إلى المنبر متثاقلا في إعياء ظاهر، ويدير عينيه الذابلتين في الطلاب، وقد انطفأت فيهما وقدة الشرر، ثم ما يلبث النوم أن يغلبه على أمره، فيتنفس الأولاد الصعداء ويأخذون بأطراف الحديث الهامس واللهو الهادئ.. وعندئذ فقط كانت الجرأة تدفعني إلى أن ألكز جاري بمرفقي قائلا :

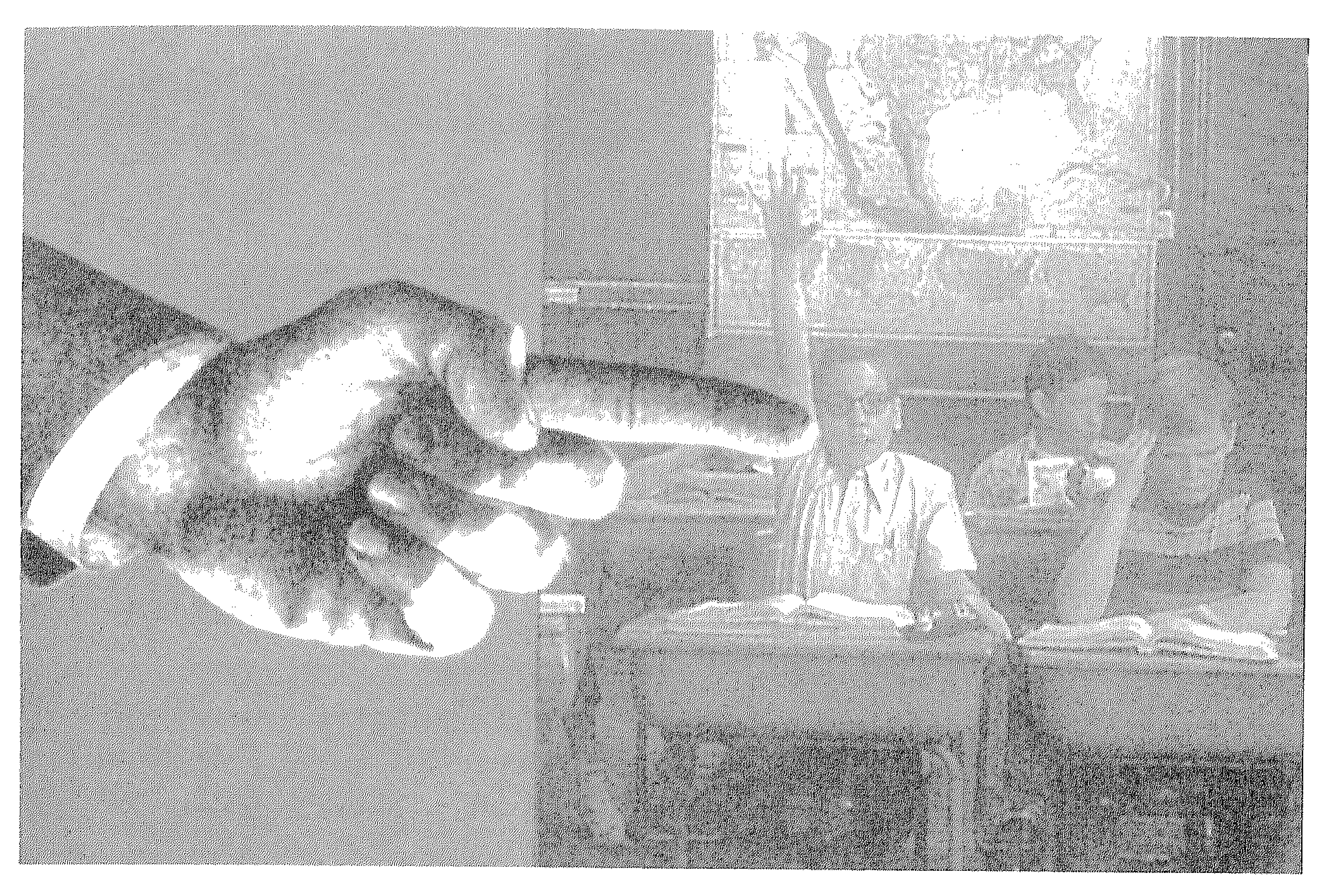
– انظر.. أخيرا نام المعلم والحمدلله!

وكان جاري يجيبني دائما :

– أنامه الله نوم أهل الكهف.. ألا تعلم أن نوم الظالمين رحمة؟!..

ولكن ما أسرع ما تنقلب تلك الرحمة إلى نقمة!.. إذ يتعالى صخب الأولاد، فيصحو «رأفت أفندي» من إغفاءته، ويرى طلابه لاهين عابثين، فيفجؤهم بضربة مروعة من عصاه، تهتز لها أعواد المنبر، وتطير لها أفئدة الغافلين.

وقد فاتني أن أذكر لكم «تعرفة» التأخر والغياب، فما هي إلا دقائق معدودة، يتأخرها الطالب، حتى يتلقاه المعلم بألوان من الصفع والركل، ثم يصدر حكمه عليه بالحرمان من فسحة الغداء ويحبسه مع أمثاله في غرفة خانقة لا يعرف النور طريقا إليها، مما يحمله على التبكير إلى المدرسة قبيل إشراقة الشمس.



أما التغيب يوما كاملا عن المدرسة فهو عند «نافع أفندي» الذنب الذي لا يغتفر، إلا أن يكفر عنه صاحبه باحتمال سائر ما ابتكره معلمنا العبقري من أفانين العقاب.

ولم تكن شكوى الطلاب إلى ذويهم لتلقى منهم أذنا صاغية، إذ كانت مدرستنا في حي خيم عليه الفقر والجهل، وكان أولياء الطلبة يرون فيما يفعله المعلم الخير كل الخير، وكان الواحد منهم إذا لقي المعلم بادره بقوله : «الله يعطيك العافية.. اللحم لك والعظم لنا»، وويل للطالب الذي يدفعه الظلم إلى الهروب المتواصل من المدرسة، أو التمرد على ذويه المتواطئين مع معلمه!.. ذلك أن مصيره عند «رأفت أفندي» هو الفصل النهائي بحجة أن «عقله ليس في العلم» وأن من الخير له أن يترك المدرسة ليتعلم إحدى المهن..

وحل يوم أسود في حياتي.. اضطررت فيه إلى الانقطاع عن المدرسة، وبكرت في اليوم التالي بعد أن أمضيت شطرا من الليل، وأنا أدعو الله أن ينسي المعلم أمر غيابي، وكان والدي مسافرا، فلم أحمل معي «تذكرة» الاعتذار التقليدية : نرجو غض النظر عن طالبكم.. إلخ.. وكان من المحتمل أن يغفل عني «رأفت أفندي» لولا أن عينه وقعت عليّ عرضا، فرآني أرتجف كالعصفور المبلول بالماء.

– أحمد.. تعال هنا.. لماذا ترتجف؟.. أين كنت بالأمس!...

– يا أستاذ.. أنا.. أنا..

– أنا.. أنا «قالها مستهزئا».. لا بد أنك كنت تلعب مع أولاد الشوارع، فأنا لا أرى على وجهك أمارات المرض.

– يا أستاذ.. لقد.. لقد...

– أه.. لقد.. لقد عجز ذهنك عن اختراع عذر كاذب، فاستعد للاستعراض. وما تذكرت «الاستعراض» حتى انحلت عقدة لساني :

– يا أستاذ لقد ولدت أمي بالأمس.. فاضطررت إلى الانقطاع عن المدرسة !!

يا سلام!.. وما علاقة غيابك بولادة أمك.. هل كنت تقوم بمهمة القابلة!..

وضحك زملائي لهذه السخرية.. وأخذ العرق أ

يتصبب من جبيني، وعادت الحبسة إلى لساني.. ولكني لم أستسلم إلى المصير المروع بسهولة.

– يا أستاذ.. يا أستاذ.. لقد ذهبت لاحضار القابلة ثم أرسلوني لشراء الأدوية وبعض الحوائج المنزلية.

– طيب.. وماذا ولدت أمك؟.. اسمع.. إذا كان المولود صبيا أعفيناك من العقاب، وإن كان بنتا كان عقابك مضاعفا..

– صبي.. ولدت أمي صبيا يا أستاذ!..

هذا ما قلته دون تدبر.. ودون أن أسأل نفسي : لماذا يكره «رأفت أفندي» البنات ويؤثر الأولاد؟ ولماذا يتفق موقفه مع موقف جدتي، التي تقيم مناحة في البيت كلما ولدت أمي بنتا؟!..

وحمدت الله تعالى على النجاة، وحسدني كثير من الزملاء على إفلاتي من عقاب محقق، قلما يفلت أحد منه!!.

ومضت على ذلك أيام. وكنت أهم بمغادرة الفصل مع رفاقي لنستمتع بالفسحة القصيرة فإذا بصوت المعلم يجلجل كالرعد :

– أحمد.. اتبعني إلى غرفة الأساتذة.

وجمدت في مكاني.. ثم تبعته صاغرا، كأني مسوق إلى الإعدام.. إذ لم تكن دعوة «رأفت أفندي» إلا نذيرا بالسوء.

– إيه.. هل تذكر ماذا ولدت أمك؟ صبيا أم بنتا؟!..

واسترجع ذهني بسرعة البرق حادثة التغيب، فقلت بصوت خافت، وقد أوجست شرا:

– صبي يا أستاذ.

– صبي.. ما شاء الله.. ولكني لقيت أباك في السوق بالأمس.. ولما هنأته أكد لي أن المولود بنت.

وأطرقت برأسي، فتابع المعلم كلامه :

– إذن فقد كذبت عليّ عامدا لتنجو من العقاب.. وهذا يعني أنك جدير بأن تنال الجزاء مضاعفا.. فما رأيك؟..

– «دخيلك» يا أستاذ.. التوبة يا أستاذ.

– ستكون التوبة بعد العقاب أيها الكذاب.

– «دخيلك» يا أستاذ.. ألا يكفي أن أمي ولدت بنتا، بينما كنت أمني النفس بأن تلد لي أخا، حتى لا أبقى الصبي الوحيد بين أخواتي الخمس.

وبرقت عينا «نافع أفندي» بالارتياح، وهتف قائلا :

– عظيم.. إذن فأنت لا تحب البنات!..

– أبدا.. «جعل الله الألف منهن واحدة».

– الآن أعجبتني يا ولد.. اسمع.. سوف أعفو عنك ما دمت لا تحب البنات.. ولكن بشرط واحد، هو أن تخبرني ما هو رأي الطلاب فيّ؟.. وماذا يقولون عني؟..

وأخذت أتدبر الإجابة بسرعة.. لقد كذبت عليه بشأن المولود.. فانكشف له كذبي.... وعرضني إلى العقاب.. أو ليس حبل الكذب قصيرا؟.. وإذن لماذا لا أصدقه القول هذه المرة.. وليكن ما يكون.

وهتفت ببراءة الطفل، وبكل ما أملك من جرأة :

يا أستاذ.. أنت ظالم.. والأولاد الكبار يلقبونك بالحَجّاج.. ونحن لا نستريح منك إلا عندما تنام في الفصل بعد الغداء.. ونقول «نوم الظالمين رحمة».

– ماذا؟.. أنا ظالم؟.. ونوم الظالمين رحمة!.. ما شاء الله. ما هذه الفصاحة؟!.. من علمك هذا الكلام يا ولد؟!..

تعلمته من جدتي.. وهي ترّدده كثيرا عندما أخلد مع أخواتي إلى النوم.

وكنت أختلس النظر إلى «رأفت أفندي» وهو يذرع الغرفة ذهابا وإيابا، ويكرر المثل، حتى خيل إليّ أنه لم يسمع به من قبل.

– إذن أنا ظالم.. ونوم الظالمين رحمة.. ولعلك سوغت كذبك عليّ بقولك : إذا كان نوم الظالمين رحمة.. فالكذب عليهم تسبيح.. أما هكذا؟..

وانكمشت في جلدي موقنا بأن «الاستعراض» سوف يبدأ عما قليل.. ولكن «رأفت أفندي» أخذته الرأفة من حيث لا أدري.. فقد رمقني بنظرة عجيبة، تراءت فيها طيوف من الحسرة والندم.. وامتزج فيها الهدوء والاضطراب.. ثم انطفأت تلك النظرة لتشتعل العينان بالغضب :

– هيا.. اغرب عن وجهي.. ولا تنس أن تشكر جدتك لأن «حكمتها» هي التي أنجتك من العقاب.. ولعلك لن تنسى أيضا أن الكذب لا يفيد صاحبه ولو كان.. كذبا على الظالمين!..■

تبادلية العلاقة بين الناقد والمبدع

بقلم : ممدوح القديري*

على الرغم من ضعف الحركة النقدية نسبيا في الساحة الأدبية وعدم مجاراتها النتاج الإبداعي المنشور إلا أن وجودها له تأثيره المتباين في إلقاء بعض الضوء على المشهد الإبداعي فوق المسرح الأدبي العربي .

ولا بد من الاعتراف منذ البداية بأن هناك فرقا أو مسافة بين ما يكتب من إبداع وبين ما يكتب عنه من نقد، لأن الناقد مهما حاول التفسير لا يستطيع أن يعطي صورة كاملة عما كان يعتمل في نفس الأديب، ولهذا تخرج من النقد مستويات متباينة من التفسيرات، قد تقترب كثيرا من مضمون العمل الإبداعي وما يحتويه من أفكار أو تبتعد بعض الشيء عن ذلك، وبما أن النقد كما يقول د . أحمد ضيف ليس عملا وإنما هو فن يضبطه العلم ». فبناء على ذلك فإن النقد الموضوعي للعمل الإبداعي أمر بالغ الصعوبة . ويرجع ذلك إلى أن العقل اللاواعي هو الينبوع الذي يزودنا بكل الأفكار والحلول حين نكتب عن الإبداع كمتلقين غير معروفين عند المبدع، إلا أن ذلك المتلقي موجود خارج وعيه في لحظة الإبداع عميقا في وجدانه لمعرفة التأثير المباشر الذي أحدثه نتاجه الأدبي والفني، لكن ذلك لا يتأتى بالسرعة المطلوبة، فقد يكون المتلقي أكثر معرفة وصاحب عبقرية تفوق ما لدى المبدع ، فيستخرج من عمله صورة أكثر إشراقا مما في عقله (أقصد المؤلف) .

وهنا تبرز مسألة الذاتية في النقد التي تتيح للناقد قدرا من التأثير المشروع والاستجابة المعترف بها، وهي ثمرة التفاعل بين الأعمال والأذواق . ولكن لا بد للناقد المتلقي من قدر من الموضوعية التي تتيح له مقاييس ومعايير يحتكم إليها في التمييز بين المنتوج الأدبي والمفاضلة بين الأساليب التي يستخلصها من طبيعة الفن الإبداعي، حتى لو كان متعدد الأصوات، ثم يتبع ذلك عملية التنظير أي استنباط بعض القواعد والقوانين من العمل التي يرجع إليها فيما بعد لتقويم النصوص، وتقدير قيمتها الفنية، والناقد يعتبر قاضيا يتوج تفسيره للنص بالحكم عليه بالجودة أو الرداءة، بالحسن أو القبح، إلا أنه لا يصح للناقد أن يفرض بعض ما يعتقده دون التوصل إلى درجة من الموضوعية النسبية بلا انحياز أو تعصب لتأكيد ذاتيته رفضا أو قبولا للعمل الإبداعي، فقد يأتي هذا النقد انطباعيا مليئا بالمدح والثناء دون مبرر، أو يأتي قدحا دون تسويغ معقول وقد يغضب بعض المبدعين من النقد عندما يظهر نادرا على صفحات المجلات والصحف، أو حتى بين دفتي كتاب يطول انتظاره، وذلك لأن آذانهم وعيونهم قد تعودت على الإطراء والمدح .

ومن ناحية أخرى قد يأتي النقد بلا إبداع بمعنى أن يكون مدرسيا، جافا، عاما خاليا من التذوق الفني المطلوب الذي يثير في النفس الرضا ويشبع الظمأ إلى التذوق المتقن الجاد . وليس معنى ذلك خلو المجال النقدي من الرؤية الحاذقة المليئة بالتذوق الإبداعي التي تعطي الأديب حقه في فنه وليس في شخصه أو لعلاقته مع غيره .

وتأسيسا على ما سبق أستطيع القول بأن هناك علاقة حوارية تبادلية بين الناقد والمبدع قد تكون مباشرة أو غير مباشرة تتعلق بالنتاج الأدبي في محاولة لفهمه والوقوف على كنهه مع تعدد مستويات التفسير، وهي ظاهرة صحية في النقد ومناهجه المختلفة، وهذا يدفعني إلى ذكر ما قاله وامان سيلدن " في كتابه " النظرية الأدبية المعاصرة » ترجمة د . جابر عصفور عن دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٠ م، ص١٦٠ : « أن الأديب المتأخر في الزمن لا بد له من الدخول في معركة نفسية لخلق مساحة تخيلية تمكنه من الكتابة اللاحقة وتتضمن تلك المعركة قراءة للأدباء القدامى من أجل تفسير جديد ».

---

* كاتب فلسطيني مقيم في السعودية.

قسيمة اشتراك

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة ....

ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية - حساب المجلة

بمبلغ ....

بيانات المشترك

الاسم: ....

الجنسية: ....

الوظيفة أو العمل: ....

العنوان: ....

هاتف المنزل: .... هاتف العمل: ....

ملاحظات أخرى: ....

قيمة الاشتراك السنوي

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً - خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.

للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة باسم د. عبدالقدوس محمد ناجي أبو صالح رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي ، الحساب رقم (٣/٨٠٠٨) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض.

وللتحويل من الحساب الشخصي إلى حساب المجلة على رقم الحساب (١٦٦٠٠٨٠٠٨٣)

وترسل صورة الحوالة أو إشعار التحويل مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:

السعودية - الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

قسيمة اشتراك (هدية - تبرع)

سعادة **رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي:**

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة .... يرسل هدية إلى:

الاسم: ....

العنوان: ....

ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية - حساب المجلة

بمبلغ: ....

بيانات طالب الاشتراك

الاسم: ....

الجنسية: ....

الوظيفة أو العمل: ....

العنوان: ....

هاتف المنزل: .... هاتف العمل: ....

عدد النسخ المطلوب الاشتراك فيها: ....

المبلغ المدفوع: ....

قيمة الاشتراك السنوي

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً - خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.

للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة باسم د. عبدالقدوس محمد ناجي أبو صالح رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي ، الحساب رقم (٣/٨٠٠٨) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض.

وللتحويل من الحساب الشخصي إلى حساب المجلة على رقم الحساب (١٦٦٠٠٨٠٠٨٣)

وترسل صورة الحوالة أو إشعار التحويل مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:

السعودية - الرياض ١١٥٣٤ - ص.ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

أخي القارئ

في مجلة الأدب الإسلامي:

- **الإبداع والنقد.**
- **الأصالة والتجديد.**
- **منبر الأدباء الإسلاميين.**
- **مكتبة الأدب الإسلامي.**
- **رسائل جامعية في الأدب الإسلامي.**
- **الأقلام الواعدة.**
- **مسيرة الأدب الإسلامي ورابطته العالمية.**
- **اشتراكك في المجلة دعم للأدب الإسلامي ورابطته العالمية.**

أخي القارئ

- **إهداء المجلة إلى صديق لك يجعله من أنصار الأدب الإسلامي.**
- **إهداء المجلة إلى أحد المراكز الإسلامية يتيح لعدد كبير من القراء أن يطلعوا على الأدب الإسلامي ومسيرة رابطته العالمية.**
- **إهداء مجلة الأدب الإسلامي من العلم الذي ينتفع به.**

مصطفى صادق الرافعي

في عدد خاص



تعتزم مجلة الأدب الإسلامي إصدار عدد خاص عن الأديب الإسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي « يرحمه الله » وذلك في عدد مزدوج يضم العددين (٤٣ - ٤٤).

وتدعو المجلة الكتاب والنقاد والأدباء الأفاضل بالكتابة في المحاور الآتية :

١- المعارك الأدبية والفكرية للرافعي.

٢- رؤية الرافعي في كتابة تاريخ الأدب العربي.

٣- جهود الرافعي في مجال الدراسات القرآنية والبلاغة النبوية.

٤- إبداعات الرافعي في :

- الشعر.
- القصة.
- أدب الأطفال « الأناشيد».

٥ - المقالة عند الرافعي « الأدبية - الاجتماعية - العاطفية .....» .

٦ - عرض ودراسة لأحد مؤلفات الرافعي الأدبية.

* يمكن الكتابة في أحد الموضوعات السابقة أو جانب منها.
* يشترط أن تكون الكتابة موضوعية وموثقة.
* أن تكون الموضوعات موافقة لشروط النشر في المجلة .
* تخضع جميع البحوث للتحكيم.

العنوان: السعودية - الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦

هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ / فاكس ٤٦٤٩٧٠٦

Web page address :www.adabislami.org

E-mail:info@.adabislami.org